

BOBST LIBRARY

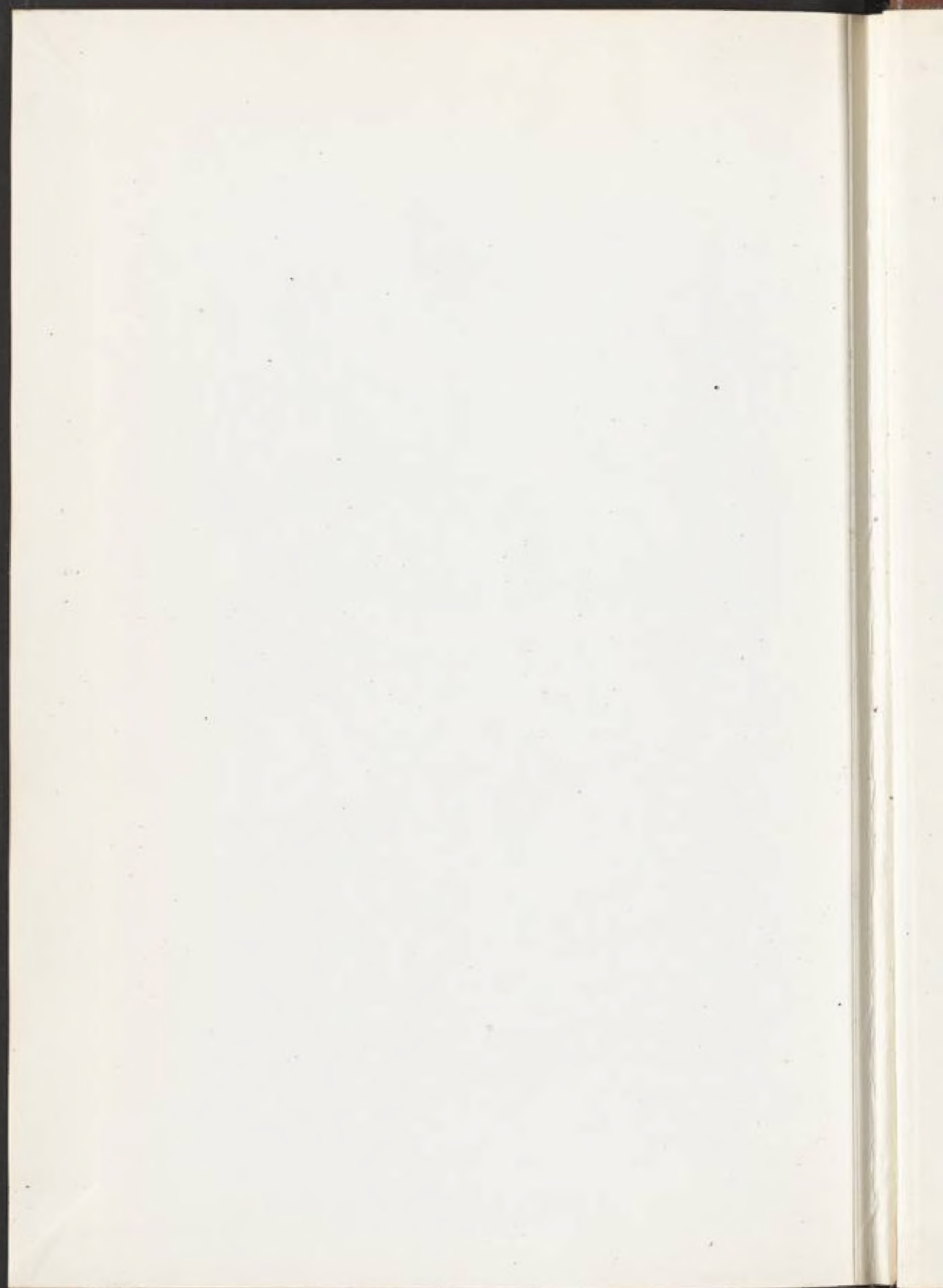


3 1142 02840 9301



NEW YORK
UNIVERSITY
LIBRARIES

GENERAL UNIVERSITY
LIBRARY







1894

1894

Darwazak, Muhammad
'Izzat

دار اليفظ العربى للناليف والترجمة والنشر

Mashākil al-ālam al-arabī/

FRONT

سائل العالم العربى

الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

تأليف

محمد عزة دروزه

N. Y. U. LIBRARIES

نال الكتاب جائرة من الجامعة العربية

Near East

HC
498

D3

c.1

Y. U. LIBRARIES

بسم الله الرحمن الرحيم

اقترحت الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية على كتاب العرب وضع رسالة في المشاكل التي تعوق المجتمع العربي عن التقدم في الاقتصاد والاجتماع والسياسة والاخلاق . وقد كنا عقدنا الجزء السادس من كتابنا « حول الحركة العربية الحديثة » على حاضر الحركة العربية الحديثة ومستقبلها ومشاكلها ألمنا فيه بكثير من المشاكل التي تعوق المجتمع العربي عن التقدم في المجالات المختلفة المذكورة ، غير أن إبعائه جاءت مقتضبة لأنه جاء خاتمة لسلسلة الكتاب ومعقبا على أجزائه السابقة .

وقد رأينا أن نستجيب الى اقتراح الادارة المشار اليها فاعدنا نظرننا في فصول الجزء السادس واستوفينا البحوث والفصول التي جاءت مقتضبة فيه ، وأضفنا اليها مواضيع لم نطرقها قبل ، فجاء كتاباً جديداً أرسلناه الى الجامعة فنحنته جائزة ، وطلبت طبعه ليستفيد منه العالم العربي .

وها نحن نلبي طلبها فنقدم الكتاب الى الطبع راجين أن يكون نافعا للعالم العربي ، ووسيلة لشحذ هم الواعين من أبناء امتنا العزيزة حتى يمكن التغلب على مايعوق سير الامة العربية نحو أهدافها العليا التي يتحقق بها ما نرجوه لها من الحياة الكريمة المأجدة .

إن مشاكل الامة العربية عديدة ومتنوعة ، وهي في ذات الوقت متداخلة متشابكة من حيث أن بعضها مؤثر ببعض ومتأثر من بعض . وسنتناول بحثها في نطاق فصاين رئيسيين الأول : المشاكل الاجتماعية والاقتصادية ، والثاني : المشاكل السياسية . ومن الله التوفيق .

الفصل الأول

المشاكل الاجتماعية والاقتصادية

مشكلة الجهل

- ١ -

هذه المشكلة تأتي في مقدمة المشاكل الاجتماعية العربية . فالجهل هو السبب الأقوى لما ترتكس فيه الأمة من فقر وضعف ومرض وفوضى وخمول وسوء أخلاق وأذواق ، ثم لما هو بارز من ضعف الانسجام والتماسك والاتساق من جهة والتفاوت العظيم بين طبقاتها من جهة أخرى .

وشرح ذلك مستغن عن الاسهاب . فان من تحصيل الحاصل أن يقال أنه كلما اتسع نطاق التعليم اتسع نطاق الوعي والتطور من مختلف النواحي ، وتقاربت الأذهان والأمرجة ، وانسجمت الأفكار واتسقت الأهداف والمقاييس والمفاهيم في مختلف الشؤون ، وبرزت مظاهر وحدة الأمة الشعورية والذوقية والثقافية والاجتماعية ، وأمكن التغلب على كثير من العادات والتقاليد والأخلاق والمظاهر والفوارق التي لا يمكن أن تستمر إلا في ظل الجهل وظلماته والتي هي من أعظم العثرات في طريق الإصلاح الأخلاقي والاجتماعي والاقتصادي ، كما أمكن التهيؤ لقبول كل دعوة إصلاحية صالحة ، وتقوية الاستعداد للعمل والنشاط في سبيله ، وبعبارة ثانية أمكن تكوين مجتمع متمازج متسق الأفكار والأهداف والمقاييس

والعادات والتقاليد والمفاهيم ، واع لما يحيط به ، غير شامل في مجال العمل والكسب قابل للتقدم والتطور في كل مضمار صحي وعلمي وخلقي وقومي .

وقد بذلت جهود كبيرة في مختلف الاقطار العربية في سبيل معالجة هذه المشكلة حتى تضاعف عدد المدارس والطلاب أضعافاً كثيرة وصلت في بعض البلاد والحالات الى عشرين ضعفاً .

فقد كان عدد طلاب المدارس الحكومية على اختلاف درجاتها في مصر سنة ٩٢٠ - ٩٢١ (٩٤٠٧١) فقدا سنة ٩٤٧ - ٩٤٨ (٩٠٨٢٧٨٤) . وكان عددهم في سورية (١٧٥١١) فقدا (١٥٥١٤٨) ، وكان عددهم في العراق (٧٦٢٧) فقدا (١٥٥٩١٢) ، وكان عددهم في الأردن الشرقي (٣٣١٦) فقدا (١٢١٢٠) على ما يستفاد من الدراسات والاحصاءات .

- ٢ -

غير أن هذه الجهود لم تخفف كثيراً من شدة المشكلة . فإن نسبة الأولاد الذين هم في الدراسة من صبيان وبنات والذين تتراوح أعمارهم بين السادسة وبين العشرين بالنسبة لسكان الدولة يكرنون عادة ١٨ ٪ أو ٢٠ ٪ . بينما نسبة عدد الطلاب في جميع المدارس على اختلاف أنواعها ودرجاتها وصفاتها وجنسياتها في مصر سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ هي ٦٫٧ ٪ . حيث أن عدد الطلاب (١٢٨٢٣٣٢٥) والسكان (١٩٠٣٩٠٠٠) وفي سورية ٦٫٩٩ ٪ . حيث أن عدد الطلاب (٢٠٩٨٣١) والسكان (٣٠٠٠٠٠٠) وفي العراق ٨٫٣ ٪ . حيث أن عدد الطلاب (١٩٠٥٠٢) والسكان (٥٠٠٠٠٠٠) وفي الأردن الشرقي ٥٫٢ ٪ . حيث أن عدد الطلاب (١٩٣٢٢٢) والسكان (٣٥٠٠٠٠) (١) وبعبارة ثانية أن الذين يجدون مقاعد في المدارس أو يداومون على المدارس مازالوا نحو الثلث في مصر وسورية ونحو السدس في العراق ونحو الربع في الأردن الشرقي الى السنة المذكورة . ونسبة الأمية بالتبعية مازال عالية بل وفي بعضها عالية جداً فهي

(١) حولية الثقافة لساطع الحمري .

في مصر والعراق والأردن العربي لا تقل عن ٧٠ و ٧٥ ٪ وفي سورية والأردن العربي لا تقل عن ٥٠ ٪ . وبديهي أنها في جزيرة العرب والمغرب العربي أعلى كثيراً من أعلا هذه الأرقام . وإذا كان لبنان يبدو أحسن حالاً حيث أن نسبة الطلاب الذين هم في المدارس ٨ و ١٤ ٪ ونسبة الأمية لا تزيد عن ٢٥ ٪ فإن ذلك ناشئ عن أسباب خاصة ؛ لا تتعلق بجهود حكوماته . فإن عدد المدارس الطائفية والخصوصية فيه هو في سنة ١٩٤٧ - ١٩٤٨ (٨١٩) وعدد طلابها (٦٨٩٤٧) وعدد المدارس الأجنبية فيه هو (٢٧٥) وعدد طلابها (٤٨٧٩٤) بحيث يبلغ عدد المدارس غير الحكومية (١٠٩٤) وعدد طلابها (١١٧٧٤١) في حين أن عدد المدارس الحكومية (٦٣٧) وعدد طلابها (٥٤٦٦٣) (٢) . وهذا فضلاً عن أنه جزء صغير جداً بالنسبة للامة والبلاد العربية وليس من شأن خصوصيته هذه أن يمدل من حالة الجهل والامية كثيراً في هذه البلاد كما هو واضح .

والمشكلة تبرز بل تتركز بنوع خاص بالنسبة للقرى والقبائل بسبب عسر امكانيات المال والمكان والمعلم . لأن وسائل التعليم في المدن أكثر وفرة والامية فيها منخفضة جداً بالنسبة للقرى والقبائل التي تبلغ نسبتها الى المجموع ٧٥ ٪ في مصر وسورية والعراق والأردن و ٩٠ ٪ او أكثر بالنسبة لجزيرة العرب . وبكلية اخرى ان الاكثرية الساحقة من الشعوب العربية ما تزال ترتكس في ظلمات الجهل والامية .

- ٣ -

واقعد كانت هذه المشكلة مما واجهته الحكومة التركية التي لم تكن حالتها أحسن من حالة البلاد العربية ، وظلت معقدة الى سنة ١٩٤٠ ، فقد كان عدد الذين هم في السن المتراوح بين السابعة والسادسة عشر (٩٠٩ و ٧٤٩ و ٣) أطفال ٨٠ ٪ منهم قرويون وكان عدد المتدربين على المدارس منهم (٨٨٤ و ٧٠٩) أي ٢٣ ٪ فقط من المجموع ، وكان عدد مدارس القرى في سنة ١٩٣٨ (٤٧٨٨)

(٢) نفس المصدر .

من أصل (٣٦.٠٠٠) قرية (١) وبكلمة أخرى إن نحو ٨٥ ٪ من القرى لم يكن فيها مدارس الى هذه السنة . وفي هذه السنة خطت الحكومة خطوة حاسمة في سبيل حل المشكلة وأعقبتها بخطوة متممة لها في سنة ١٩٤٢ بعد أن رأت ان المحاولات النصفية لم تحلها . وقد أسفرت الخطوتان عن نتائج عظيمة مما يسوغ القول بأن تركيبة ستبلغ بها للغاية خلال عشر سنين أو أقل . وقد انطوى في الخطوتين حل مشكلة التهذيب والارشاد والتوجيه الزراعي والصناعي في نفس الوقت أيضاً . وكانت الخطوة الاولى اصدار قانون معاهد القرى أوجب على وزارة المعارف انشاء معاهد قروية لتثنية ملمي القرى واختصاصيين بالمهن المتنوعة المتنوعة التي تحتاج اليها القرية ، وأوجب على طلابها خدمة عشرين سنة في التعليم القروي ونص على حرمان من يخل بهذا الواجب من وظائف الدولة الاخرى مع اعادة نفقات تعليمه مضاعفة وأوجب دفع مرتباتهم من ميزانية الدولة ، واعطائهم الآلات والوسائل اللازمة للزراعة من بذور ومواشي وغراس من ميزانية الدولة كذلك مقابل قيامهم بكل نوع من انواع التعليم بما في ذلك انشاء مزارع وحدائق وكروم نموذجية وفنية وارشاد أهل القرية وتدريبهم . وقد كان التعليم الابتدائي ودر المعلمين الابتدائية مما تتحمله الولايات من ميزانياتها المحلية ، وكان يسير بسبب ذلك سيراً بطيئاً متمثراً فكان تحميل نفقاتها على مالية الدولة من أهم مظاهر الخطوة الحاسمة .

وكانت الخطوة الثانية اصدار قانون تشكيلات مدارس القرى ومعاهدها حيث نص على واجب مجلس القرى في انشاء بناء المدرسة وتقديم نفقات المدارس الدائمة - غير مرتب المعلم - وتخصيص ارض ملائمة للزراعة النموذجية استناداً الى قانون القرية الذي يخول هذا المجلس فرض الضرائب لهذا الغرض وغيره من حاجات القرية ، وحيث نص على مسؤولية المجلس المالية والجزائية والتفريقية اذا أبطأ أو قصر أو أهمل في هذا الواجب .

وقد فصل القانون واجب معلمي القرى ومرشديها كما يلي :

(١) تركيبة المدينة المؤلف

- ١ — تشغيل اراضي المدرسة لتكون مزرعة نموذجية .
- ٢ — انشاء مصنع وحديقة للمدرسة .
- ٣ — تشغيل مصنع المدرسة على وجه ينتفع به أهل القرية واتخاذ التدابير اللازمة لتعليم وتهذيب ابناء المدرسة وحمل الاهالي على ذلك .
- ٤ — دفع كل ما يهدد صحة الطلاب واتخاذ التدابير اللازمة لذلك وحمل الاهالي عليها .
- ٥ — ترقية مستوى الثقافة الوطنية في أهل القرية وتوجيههم وفق ما يقتضيه الزمن والحياة الاجتماعية .
- ٦ — اقامة حفلات في ساحة المدرسة في الاعياد والمواسم المحلية والقومية وانشاد الاغاني الوطنية والقومية واستعمال الآلات الموسيقية اثناءها وتدريب وتشجيع أهل القرية على ذلك .
- ٧ — جعل أهل القرية يستمتعون بالراديو باوسع نطاق ممكن .
- ٨ — عمل اعمال زراعية وصناعية وميكانيكية تكون نماذج لأهل القرية ومفيدة في تحسين اقتصادياتهم .
- ٩ — اقامة معارض في المدرسة وبذل الجهد لاقامة أسواق عامة في المكان والزمان المناسبين .
- ١٠ — مساعدة أهل القرية فيما يقتضي من التدابير والوسائل لانعاش حياة القرية وزيادة غلاتها ونشاطها .
- ١١ — اشراك الطلاب وأهل القرية في الأسواق والمعارض العامة التي تقام في أماكن يسهل عليهم الذهاب اليها واثارة اهتمامهم وإرشادهم .
- ١٢ — توسيع معلومات أهل القرية في شؤون الاحراج وفوائدها .
- ١٣ — الاهتمام بصيانة الآثار التاريخية والفنية والبدائع الطبيعية في القرية وجوارها .

١٤ - التعاون مع أهل القرية على عدم انتشار الاجتاس الجيدة من الحيوانات وتحسينها .

١٥ - مساعدة أهل القرية في كل ما يمس حياتهم من خير وشر ونفع وضرر واعلام مؤسسات الحكومة بكل ما يتصل بذلك .

١٦ - الاهتمام بمصلحة القرية ومصلحة الدولة والدفاع الوطني .

١٧ - بث فكرة التعاون في وسائل الزراعة والنقل المشتركة وتأسيس منظمات تعاونية متنوعة .

١٨ - اتخاذ التدابير المناسبة مع المحيط والوسائل والتعليم وتعبود شباب القرية على السباحة والرحلة والمصارعة والقروسية والرمي والصيد واستعمال الدراجة العادية والبخارية والالات الزراعية الحديثة ...

ولقد انشئ وفقاً للقانون الأول خلال ثلاث سنين عقب صدور عشرين معهداً داخلياً يتبع كل واحد منها مزرعة تجارب كبيرة ومعمل للصنائع اليدوية والميكانيكية المتنوعة . وقد وزعت المعاهد توزيعاً حسناً بحيث انتشرت في مختلف أنحاء البلاد واهتم خاصة ليكون طلاب كل معهد من أبناء منطقته وكيفت دروسها وحقوق تجاربها ومصانعها حسب بيئة كل منطقة ومناخها .

والخطة المرسومة هي تخريج عدد يتراوح بين ٢٠٠٠ و ٣٠٠٠ معلم ومرشد في السنة وفتح مدارس جديدة في القرى بنسبتهم بحيث تقوم مدرسة في كل قرية في ظرف عشرين عاماً .

ولقد تبع هذه الخطوة خطوة فنية مهمة حيث انشئ بالمعاهد الريفية المذكورة فصول لتخريج مولدات ومأموري صحة ، واستهدف تخريج ٥٠٠ مولدة و ٥٠٠ مأمور صحة سنوياً لاستخدامهم اجبارياً في القرى فجاءت هذه الخطوة متحمة للعمل العظيم من ناحيته الاجتماعية والصحية (١) .

(١) تركيبة الحديثة للفؤلف .

فجدير بالحكومات العربية اقتباس هذه الخطوات في سبيل حل مشكلة تعليم القرية التي هي المشكلة الأولى في تعميم التعليم على أن تكون الخطوة كفيلة بحل المشكلة حلاً حاسماً ونهائياً خلال عشر سنين أو خمس عشر سنة على الأكثر . ولقد قدرت سورية المدة التي يجب أن تزول الأمية فيها بعشر سنين وأوجبت تحقيق ذلك في الدستور الجديد الذي سنته سنة ١٩٥٠ وأن هذا في الامكان اذا ما اعارته الحكومات العربية العناية الواجبة فاستمعنا معاهد رفيعة لتخريج المعلمين والمرشدين بنطاق أوسع مما هو موجود عندها . ورسمت خطة ناجمة لتهيئة الأماكن اللازمة في القرى والبادي لإنشاء مدارس جديدة بنسبة مائة في المائة من هذه المعاهد سنوياً ، وضاعفت الجهد في سبيل تهيئة مقعد لكل طفل في المدن أيضاً بحيث لا يعطي عشر سنين أو خمس عشرة سنة إلا ويكون في القرى والبادي والمدن مدارس ابتدائية تستوعب جميع الأطفال الذين هم في سن الدراسة .

وتبقى مشكلة أمية الكبار . ومن الواجب معالجتها بحمد وسعة لأنها تطوي فيها أسوأ مشكلة الجبل بالنسبة للجبل الذي يمكن أن يقلل حياً ثلاثين سنة وتعميق التطور المنشود في الأذهان والمعادن والوعي والمفاهيم والنشاط الانساني والوقائي هذه المدة الطويلة .

ولن يقدر على الاضطلاع بعبء معالجة هذه المشكلة الا الحكومات لأنها أقدر على تهيئة الوسائل والسير في التنفيذ بحمد واستمرار . ومن الواجب أن يسار في معالجتها بخطوات سريعة محاذية للخطوات التي يجب السير بها في سبيل تعميم المدارس في المدن والقرى والبادي .

وأول ما ينبغي أن تفعله هو اصدار قانون يجبر كل امي ممن تجاوزت سنة سن الدراسة من ذكر وانثى وفي كل مدينة وقرية ان يلبي الدعوة الى تعلم القراءة والكتابة حينما توجه اليه تحت طائلة العقاب التعزيمي المتضاعف ، ووضع منهاج

كامل شامل للقرى والمدن وضمن لازالة امية السكار خلال خمس سنوات او عشر على الاكثر .

ومن الممكن الانتفاع بطبيعة الحال ببنائات مدارس القرى والمدن واساتذتها بحيث ينشأ في المدارس فصول مسائية أو ليلية للأميين وبحيث تجعل نوبات بين اساتذتها للتعليم في هذه الفصول أو الاشراف عليها مقابل أجر اضافي زهيد . بل أن هذا ليصح أن يكون حجر الزاوية في معالجة المشكلة .

ويجب الي هذا وبقوة القانون :

(١) ان يجند الذين يحملون الشهادات المتوسطة وما فوقها من موظفي الدولة وغيرهم مقابل أجر اضافي ولدورات محدودة ونوبات متتابعة للتعليم في فصول الأميين الكبار .

(٢) ان يقرض على اصحاب الأعمال والمصانع والورشات والمعامل والمزارع واجب الزامي بتعليم الاميين الكبار الذين يشتغلون عندهم فيمدد تامين لهم وتحت رقابة وتفتيش حدي .

(٣) ان يشغل اقسام من اي ناد أدبي او رياضي أو اجتماعي او أي مكان صالح آخر اينشأ فيه فصول للأميين .

ويجب ان يوضع لتعليم الاميين منهاج يشتمل بالاضافة الى تعليم القراءة والكتابة مبادئ في الحساب والتاريخ والجغرافية والدين . وأن لا تقل الدورة التعليمية عن ستة أشهر ، وأن يعطى الذين انتهوا بشجاح شهادات ، وأن يجبر الذين لم يتنجحوا في الدورة على اعادة ثافية .

ولا يداخلنا شك في أن مثل هذه الخطة والمنهاج اذا سير فيها بقوة وجد واخلص ودأب كفيلا ان بالقضاء على الأمية في البلاد العربية وعلى الأقل في بلاد الشام والعراق ومصر في مدة لا تزيد عن عشر سنين ، وتكون الخطة الأولى في اعداد مدرسة في كل قرية ومقعد مدرسي لكل طفل قد سارت هي الأخرى في التنفيذ فتخلص الأمة العربية في نهاية السنين المذكورة من هذه المشكلة التي هي

من أشد العوائق في طريقها إلى التقدم والسير في مضمار التنظيم والازدهار الاقتصادي والثقافي والصحي والاخلاقي والانتاجي .

ولا ينبغي أن تقف المسألة المالية في الطريق . فكل شيء يجب أن يهون في سبيل هذه المشكلة . وتستطيع الحكومات العربية إذا جرت وحزمت أن تحل المسألة المالية بأسلوب ما ، ولا سيما أن جهازها فضاء وموظفها أكثر بكثير من حاجتها والكماليات والمظاهر والفخفة تستغرق كثيراً من المال تبناً ، وهذا فضلاً عن قدرة البلاد وواجبها معاً في الدفع لحل هذه المشكلة الحيوية ، فضلاً عن حق الحكومة وواجبها معاً في الأخذ من القادرين المتخمين بقوة القانون ما يكفي لحلها .

- ٥ -

ويتصل بهذا الموضوع من الوجهة التطبيقية أمور كثيرة :

(١) فالتعليم الابتدائي في القرى والبادية بنوع خاص أبعد من أن يزيل الأمية من الأطفال ، ولا يسكاد الطفل الذي يتيسر له دراسة في مدرسة من مدارس القرى والبادية يدرس أكثر من ستة أو سنتين في أكثر الحالات ، ولا تكاد يمر عليه مدة حتى يفقد كل ما وعاه وكثيراً ما يقود أمياً أيضاً . فالصلحة القومية والثقافية والاقتصادية تقضي بأن يعالج هذا الأمر بحيث يجبر الآباء بقوة القانون على إبقاء أولادهم في المدارس ثلاث سنين على الأقل وبصرف الجهد الأكبر إلى تخريج الطفل فيها معلماً بأوليات المعارف الجوهرية في حياته العملية وقادراً على الانتفاع بها .

(٢) والأكثرية الساحقة من الشعب العربي فقيرة أو متوسطة الحال وأطفالها في حاجة شديدة إلى التعليم المهني المتوسط الذي يضمن تخريج أجيال صناعية وزراعية وفنية ومهنية ماهرة وعملية فيزداد بذلك النشاط والانتاج العام . فمن الواجب أن يكثر من المدارس الزراعية والصناعية والمهنية المتوسطة لتستوعب

أكبر عدد ممكن من خريجي المدارس الابتدائية في القرى والمدن ، وأن يوجه القسم الأكبر من هؤلاء الخريجين نحوها .

(٣) والتعليم الثانوي والعالي ما يزال غير موطد على أساس توجيهي واصطفائي صالح . وقد أدى إلى تكثير الطبقة التي تحمل شهادات وتكون في ذات الوقت ضعيفة المواهب والقابليات فلا تعمل في المجال الرفيع الذي تخرجت له . ولا تنزل إلى المجال الأدنى منه ولا تستوعبها دواوين الحكومة التي هي هدفها بالدرجة الأولى مما اتسعت فتظل عاطلة متذمرة . فمن الواجب أن يعالج هذا الموضوع معالجة ناجعة بوضع أسلوب اصطفائي دقيق يقوم على طرائق اختيار الذكاء الحديث ليضمن به عدم دخول الجامعات على الأقل إلا لمن يكون له من المواهب ما يجعل نجاحه ونفعه أكيداً . أما غيرهم فيوجهون كما قلنا إلى التعليم المهني والفني المتوسط .

(٤) وأسلوب الاصطفاء الذي ترى ضرورة السير عليه لمعالجة النقطة السابقة يجب أن يشمل فيما يشمله تعديل طريقة الفحوص . فالضدفة العمياء تلعب دوراً كبيراً في هذه الفحوص وكثيراً ما يساعد الخط ضعيفاً قليل الجهد ضعيف الموهبة ويخذل قوياً موهوباً . وهي إلى هذا كثيراً ما تكون سبيل الضعفاء وغير الموهوبين إلى التعليم الثانوي والجامعي .

(٥) ولقد ارتفعت الأصوات بالشكوى المريرة مما يلبس في أبناء الجيل الجديد من ميوعة في الأخلاق والعادات والاجتماعيات والذوق ومن ضعف النظام والتنظيم ومن التحلل من الواجبات والتبعات والتقاليد . فمن الضروري جداً معالجة هذا الأمر والعناية به بحيث يجعل للتربية الاخلاقية والاجتماعية والتنظيمية والروحية حيز كبير في المناهج والتنظيمات المدرسية وبحيث يسار على أساليب ناجعة لمراقبة السلوك والاشراف عليه بالتعاون مع الاسر وبحيث يسار في المدارس على طرائق من شأنها تعويد الطلاب على محاسبة أنفسهم ومراقبتها واداء ما عليهم من واجبات والنظام والتنظيم وآداب السلوك العامة .

مشكلة الفوارق المذهبية والطائفية

- ١ -

وهذه المشكلة من ما يقف عقبة في طريق الانسجام والوحدة في الشعوب والمفاهيم والأهداف ويكون ثغرة تنفذ منها دسائس الدسائس ووساوس الشياطين وكيد الكائدين ، ووصمة توهم بها الأمة العربية في حركتها القومية وتعرقل خطاها في سبيل تحقيق أهداف هذه الحركة .

وقد تكون هذه المشكلة من تفرعات مشكلة الجهل ، غير أن لها خصوصية خطيرة في البلاد والشعوب العربية تتمثل أن ينظر اليها كمشكلة مستقلة .

ولسنا نقصد من هذه المشكلة الى ما هو موجود في صفوف المسلمين والنصارى من تعدد الفرق وتنوع العقائد الدينية والأساليب المذهبية . فان هذا متصل بالوجدان الديني الذي غدا لاشعورياً والذي قد يكون مألوفاً لأنه يرافق الأديان والعقائد في كل مكان وزمان . ولكن الذي تقصده هو ما أشرنا اليه من الخصوصية الخطيرة التي يمتاز بها هذا التعدد في البلاد والشعوب العربية من حيث إثارتها الاحقاد والضغائن والانكشاش والحذر وسوء الظن والروح المتعصبة المتناظرة المتنافسة في أصحاب هذه الفرق الدينية والمذهبية ازاء بعضها . بعضها قلت نسبة بعضها للأخرى .

فالدم العربي والتاريخ واللغة والمصلحة تجمع بين الشيعة والسنة والدروز والملاويين والاسماعيليين ، كما أن الاسلام من حيث المبدأ والتاريخ يجمع بينهم ، غير أن روح أبناء هذه المذاهب غير متازجة ويغلب عليهم الانكشاش والحذر والحقد بالنسبة لبعضهم .

والاسباب التي أدت الى هذه الفرق سياسية امتزجت بالدين وتغذت بالدعاية المديدة من جهة وبحوادث واعتبارات متنوعة في مختلف المناسبات والادوار من جهة أخرى حتى غدت رغم اغتبات الصلة وزوال الاسباب التي ارثتها لا شعورية تفعل عملها في جسم الأمة وروحها وتؤدي الى مذكرونا من الآثار الروحية والنفسية والاجتماعية .

وقد استغاليا الأجانب استغلالاً غير يسير في سورية ولبنان والعراق بسبيل ابقاء الأمة غير موحدة القوى في نضالها ضدهم ، وحركوا بسبيل ذلك بعض المتحررين والطامعين من أبناء الطوائف الاقمية كالدروز والاسماعيليين والمجوس والشيعة حتى جعلهم يرون في بقاء طوائفهم متميزة منافع ووجهات ومناسبات قد لا تيسر لهم إذا اعتبرت الطوائف الاسلامية واحدة ، مع أن انتهاء من أبناء هذه الطوائف يعرفون في قرارة أنفسهم سخف ووهن الاسس التي تقوم عليها الفوارق الموجودة بين المسلمين وأن الاستمرار عليها عبث لامعنى له ولا سند من دين وخلق ومصلحة ومنطق وتاريخ .

- ٢ -

فقد كان منشأها خلاف سياسي وتنافس في مجال الحكم والسلطان بين الامويين والمهاجرين قبل الف وثلاثمائة سنة ونصف ، وأخذ الهاشميون يشنون دعايتهم ودعوتهم ويترجونها بالدين ويسندونها بروايات فيها المصيب الغريب من التأويل والتعجل . وكانت هناك بعض حوادث دموية حملت أكثر مما تتحمله من الاسباب والآثار واستغلت استغلالاً واسعاً في مجال الدعوة والدعاية ، واندمج المعجم في ذلك بسبب تقهتهم على العصر العربي الذي هدم دولتهم وأطاح بسلطانهم وبدأ قوياً عزيزاً في حقبة الدولة الاموية التي امتد سلطانها الى الأندلس في الغرب وإلى الهند والصين من الشرق وإلى البحر الاسود وبحر الخزر من الشمال وإلى بلاد التوبة من الجنوب فأدى هذا الى هدم الدولة الاموية وقيام الدولة العباسية بسيوف الاعاجم الذين بذلوا جهودهم ليكونوا أصحاب الشأن في هذه الدولة ، وتضامن الفريقان

يعضدهم سلطان الدولة في تقوية الدعوة والدعاية حتى يظل المسلمون فريقين وتظل دولة العباسيين والاعاجم قائمة .

واتهم العلويون العباسيين بغضبهم حقهم في الملك فعمدوا بدورهم إلى بث الدعوة والدعاية لأنفسهم ضد العباسيين والعمل على هدم دولتهم ، واندمج في هذه الدعوة والدعاية الاعاجم أيضاً لأن فيها توهيناً على توهين لقوة العرب عامة ، وأدى هذا إلى ثورات ودعاء في بلاد العرب والعجم معاً تنوعت وتكررت كثيراً واستمرت مدة طويلة وأضعفت كيان العباسيين ومكنت الفاطميين من انتشار دولتهم في شمال افريقية ومصر والشام والحجاز واليمن ، ونشط هؤلاء في الدعوة والدعاية لعزيتهم بنوع خاص لتمكين دولتهم في الأرض ، وأدى كل هذا إلى ظهور هذه الفوارق الطوائفية التي اضطربت بالدين نتيجة لأسلوب الدعوة والدعاية كما أدى إلى انحطاط عام في سلطان العرب والاسلام وظلت الفوارق راسخة تتغذى بالخرافات والاثوام والروايات والمبالغات وتشكف بين أصحابها بسبب ذلك الاحقاد والضغائن وسوء الثقة والحذر .

والطوائف الاسلامية غير السنية في بلاد العرب هي اقلية بالنسبة للسنيين ، ولها بعض مفاهيم وتقاليد دينية تغاير مفاهيم وتقاليد السنيين ، فأدى هذا إلى تجهم هؤلاء نحو الاقلية وإلى انطواء هذه على نفسها وتضامنها فيما بينها ازاء غيرها وتكتلها وانكاثها . وكل هذا أوجد جوّاً غير مستحب ساعد على استمرار تلك الآثار . وقد مكن هذا أن كان كان السلطان في بلاد العرب منذ ثمانئة عام في يد السنيين .

على أن من الحق ان يقال ان حدة هذه الآثار قد خفت كثيراً عن ذي قبل وانه صار في كل طائفة فئة صالحة وكبيرة تستنكر التمييز الموجود بين طوائف المسلمين وتتأذى من استمراره وتعرف ان بقاءه عظيم الضرر والخطر على المصلحة القومية العامة أولاً وعلى مصلحة كل طائفة ثانياً . وهذا مما ييسر معالجة المشكلة معالجة ناجحة اذا تعاون نهاء هذه الطوائف وتخلصوها تعاوناً صادقاً وافقوا على خطة واساليب ووسائل من شأنها تنوير الأفكار وتبيين الأسباب والحقائق

والمآخذ من جهة والجمع بين ابناء الطوائف في مختلف المناسبات وبث الحب والولاء فيما بينهم من جهة أخرى . وتستطيع الدوائر الحكومية الاجتماعية والثقافية أن تساهم في رسم وتنفيذ هذه الخطة بنصيب كبير ، وبذلك تضعف قوة التميز والافتراق في الكبار والجيل الحاضر . اما بالنسبة للأطفال فيجب ان تسكفل مناهج التعليم بمعالجة هذه المشكلة فيهم بحيث يكون التعليم القومي المشترك هو سياسة التعليم العامة في الوطن العربي حتى يسهل بذلك اندماج الجيل الجديد والأجيال القادمة تحت لواء القومية الخلفاء اندماجاً يصبح مع الزمن شاملاً وتاماً .

- ٣ -

وكما يجمع الدم العربي بين كثير من مسلمي الغرب من ناحية والتاريخ واللغة من ناحية ثانية يجمع بين مسلمي العرب ونصاراهم كذلك في الشام ومصر والعراق . غير ان الأعراض التي ذكرناها قبل من ضعف التمازج والانكساح والنفقة والحذر من وجود ظاهرة حيناً ومستترة حيناً بين المسلمين والنصارى ايضاً . وهذه الأعراض تعدت كما تمت تلك إلى أسباب سياسية وتاريخية امتزجت بالدين وتغذت بالدعاية المديدة من جهة وبحوادث واعتبارات متنوعة في مختلف المناسبات والدوائر من جهة أخرى حتى غدت هي الاخرى برغم زوال الاسباب التي أرستها لاشعرية تعمل تخلفها في جسم الأمة وروحها وتؤدي إلى ما ذكرناه من الآثار السيئة الروحية والنفسية في حين انه ليس لها سند من الدين ، فالمسيحية النقية تبشر بالحب والسلام ومحارب الاحقاد والآثام الشخصية . والنصوص الاسلامية صريحة وقوية في المثلث على البر والاقساط والمودة وحسن المعاملة نحو المسلمين الموالين واحترام المحايدين والوفاء بعهود المعاهدين من غير المسلمين واحترام حرياتهم وحقوقهم . واعداً المسلمين في الدين الاسلامي هم فقط الذين يعتمدون على المسلمين ويكيدون لهم ويكفرون بهم ويؤذونهم ويظاهرون أعداءهم عليهم ويطلعون في دينهم ، والتاريخ شاهد عدل على أن السلطان الاسلامي قد لزم هذه الحدود بدقة كبيرة وأن معظم الذين اعتنقوا الاسلام من المسيحيين قد اعتنقوه باختيارهم ورغبتهم بدليل وجود فئات هنا وهناك يمتنون

بأصولهم إلى تاريخ صحيح قد احتفظوا بأديانهم ومعابدهم خلال الاضطرابات الطويلة التي كانت ذلك السلطان قوياً وشاملاً فيها ووسط خضم الاكثريّة الاسلاميّة الساحقة .

وما رواه التاريخ من حوادث مكثرة بين المسلمين والنصارى خلال قيام السلطان الاسلامي يعود الى أسباب سياسيّة وخارجيّة . فالروم الذين انسحبوا من مصر وشمال افريقيّة أمام زحف الجيوش العربيّة في القرن الهجري الأوّل والذي نشب بينهم وبين العرب والمسلمين نتيجة لذلك نزاع امتد قروناً عديدة دأبوا على إثارة نصارى البلاد العربيّة وتحريضهم على السلطان العربي الاسلامي بخلاف الاساليب وفي مختلف الظروف فكان ذلك يؤدي الى وقوف بعض فئات من النصارى مواقف إيجابيّة ضد المسلمين وسلطانهم فيكون لها رد فعل في المسلمين والسلطان الاسلامي ضد هذه الفئات مما هو طبيعي وسيأتي بحث .

واقدر كانت الحروب الصليبيّة التي امتدت مئتي سنة نتيجة من نتائج ذلك النزاع ، وكان لها أسباب وحرائق سياسيّة واقتصاديّة واجتماعيّة متنوّعة مما هو مسلم به من قبل الباحثين ، غير أنّ الذين دعوا اليها وحرصوا عليها من نصارى الاثرفنج قد صبغوها بالصبغة الدنيّة لاثارة الحاس في الجماهير ، فرافقتها دعاية دنيّة ضد المسلمين ودينهم كأنها - - - - - بها تكن قائمة على الكذب والسخف والتشويه . آثار إيجابيّة في نفوس النصارى ضد المسلمين ودينهم وسلطانهم وعقائدهم وتقاليدهم لم ينح منها نصارى العرب . وقد كان سلوك صائبي الاثرفنج أثناء زحفهم وحينما وصلوا الى القدس وحشياً بربرياً في القتل والنهب والتهتك والتعصب . فكان لكل هذا رد فعل في المسلمين جعلهم يتداعون الى الجهاد ويصفون حركتهم بالصبغة الدنيّة . فكان هذا وذلك مما اثار الاسحقاد والاضغائن في نفوس المسلمين والنصارى ضد بعضهم وبقيت آثاره مستمرة في النفوس بعد انتهاء تلك الحروب .

واقدر كان المسلمون هم الاكثريّة الساحقة في البلاد العربيّة حينما انتهت تلك الحروب وشمل السلطان الاسلامي جميع هذه البلاد ، فكانوا هم الأبرز

والأقوى والأنفذ بطبيعة الحال في مجال الحكم والسلطان فأدى هذا إلى انقلاوب
الأقليات النصرانية على نفسها وتضامنها فيما بينها إزاء المسلمين وتكتمها وانكماشها
وتشوشة أجيالها على مثل ذلك فجعل هذا الجو غير المستحب الذي كان يسود
المسلمين والنصارى مستمراً . وقد استغلته الدول الكبرى الحديثة حينما أخذت
تطلع في البلاد العربية هذه الحالة استغلالاً عظيماً ، حيث أخذ وكلائها ومدبروها
وبنائها التي كانت تستر بتأثير موهبة من الدين والتبشير والتعليم والتطبيب
يدسون أيديهم بين النصارى ويشيرون مخاوفهم من المسلمين ويشيرون فيهم الكراهية
نحوهم والاشتمزاز منهم ويشيرون كذلك مخاوفهم من العرب الذين تتألف منهم
أكثرية المسلمين الساحقة ويلقنونهم أنهم ليسوا من العروبة في شيء ، وإن العروبة
هي البعبع الإسلامي والهداوة المتوحشة ، ويجعلونهم يرون في الدول الكبرى
الحماة المقيدين ، وقد انشأوا في ظل الامتيازات التي كانت منحة فقدت اغللاً
مدارس اقبل عليها النصارى اقبالاً واسعاً يتعلمون فيها اللغات الأجنبية والتاريخ
الأجنبي ، ويتشربون فيها العواطف الأجنبية والتعريضات الأجنبية على كل ما
هو مسلم وعربي .

وحدثت في أواسط القرن التاسع عشر الميلادي بعض أحداث دموية —
ثبت من محاضر تحقيقها ضلع عملاء تلك الدول الطامعة في اثارتهما — فكانت مما
هيج الأعداء والخائف وزاد في اربسداد الجو النير المستحب الذي يفلل
المسلمين والنصارى .

وكما انه ليس لهذا الجو سبب من الدين المسيحي والإسلامي وإنما كان نتيجة
تفاعلات واحداث سياسية ودعائية على ما هو واضح من الزبدة التي أوردناها فإنه
ليس له سبب من مصلحة المسلمين والمسيحيين ، وليس هناك أي تباين بين الفريقين
سواء في مجال السياسة والحكم والتنظيم والتشريع أو في مجال الحقوق والواجبات
المقابلة أو في مجال الاقتصاد والاجتماع أو في مفهوم وأهداف الفكرة العربية
وما يعود على الفريقين من منافع وعز وسؤدد من تحقيقها . فليس الدين والتأز
الديني أي دخل في كل ذلك لأنه ممارسة وجدانية ولأن الدين الإسلامي المؤثر

في حياة المسلمين يضمن كل الضمان حقوق الموادين والمسلمين وبالتالى حقوق
 المواطنين من غير المسلمين وحرانيتهم ولا يأمر بأي تمييز في ذلك المسلمين عليهم .
 على أن من الحق أن يقال هنا ما قلناه في المناسبة السابقة ان حمدة أربداد
 الجو والآثار السيئة النفسية والروحية القدية قد خفت عن ذي قبل ، ولا سيما
 بعد أن انكشف من نيات الاجانب الدسائس ومأجوريتهم وعملائهم ووكلائهم
 نحو العرب مسلميهم ونصاراهم على السواء ما انكشف من كيد ومكر وسوء نية
 وقصد تفريق واستهداف استقلال الجميع . فلقد استنارت الافكار كثيراً فاخذت
 تدرك وتلمس وهن الاسس الذي يقوم عليها ذلك الجو وتلك الآثار وعدم صلتها
 بالبادئ ، والتعاليم الدينية والمصلحة الوطنية والقومية . ولقد ساهم عدد غير يسير
 من النصارى في الحركة العربية الحديثة منذ انبعاثها مع رجال المسلمين وذهب
 بعضهم في حملة من ذهب من الضحايا العزيزة في سبيل هذه الحركة . ولقد اتسع نطاق اندماج
 نصارى العرب في الفكرة العربية القومية كثيراً واتضح لكثير منهم ريف
 الدعايات المضللة ضد صلتهم بالقومية العربية . ولقد جعل ما انكشف لهم من نيات
 الاجنبي المستعمر الدسائس السيئة ومكره وكيدته كثيراً منهم يندمجون في الحركات
 الوطنية النضالية التي قامت في مصر وفلسطين وسورية والعراق ولبنان ويساهمون
 فيها بنصيب وافر . فكان كل هذا مما خفف الحدة السابقة وبما جعل كثيراً من
 الفريقين يستنكرون استمرار هذا الجو ويأملون فيه عظيم الخير والحقار . على
 القضايا القومية والوطنية وعلى مصلحة الفريقين معاً هو في الحقيقة اسباب مسهلة
 لمعالجة المشكلة اذا ما تضامن مثقفوا المسلمين والنصارى معاً وقاموا بحملة صادقة
 وقوية بسبيلها وتوسلوا اليها بشق الوسائل لتنبيه الاذهان وتصحيح الاخطاء
 وتبين الاسباب والحقائق والمآخذ وبث الحب والولاء فيما بين الفريقين في مخازف
 المناسبات . وتستطيع الدوائر الحكومية الاجتماعية والثقافية أن تساهم في تنفيذ
 هذه الخطة بتصويب كبير فيؤدي ذلك الى اضعاف قوة التمييز وتيسير اسباب
 الاندماج في الكبار والجيل الحاضر . أما بالنسبة للاطفال فيجب أن تتكفل
 مناهج التعليم بمعالجة المشكلة فيهم كذلك بحيث يكون التعليم القومي المشترك
 هو سياسة التعليم العامة في الوطن العربي - في دمج اندماج الجيل الجديد والاعمال
 القادمة تحت لواء القومية الخلق اندماجاً يصبح مع الزمن شاملاً وتاماً

(٣) مشكلة تنوع المدارس والمناهج

- ١ -

وهذه المشكلة كذلك مما يقف عثرة في طريق الانسجام والوحدة في الشعور والمفاهيم والاهداف ويكون تفرقة تنفذ منها دسائس الدسائس ووساوس الشياطين وكيد الكائدين . وقد تكون من تفرعات مشكلة الجهل ، غير أن لها في البلاد العربية خصوصية خطيرة تجعل أن ينظر إليها كمسكلة مستقلة ايضاً . ان المصلحة القومية تقضي كما هو بدهي بتوطيد الوحدة الثقافية والأنظمة الثقافية الموحدة في بلاد العرب وفي مختلف درجات التعليم بحيث تكون معاهد العلم بوتقة تضرع جميع أبناء الجيل الناشئ وتخرجهم أمة متجانسة في العقول والقلوب والاسلوب متحدة في الاهداف والغايات ترمي عن قوس واحد وعقيدة قومية واحدة .

والناظر اليوم فيما هو عليه التعليم ومعاهده في بلادنا يرى صوراً عديدة متناقضة مع تلك الغاية . ويدرك سراً من اسرار ما يبدو في الجيل الجديد من ضعف البنية الأخلاقية والقومية واختلاف الأمزجة والميول والغايات والأساليب .

- ٢ -

فمن هذه الصور ما يقوم في بلادنا الى جانب المدارس الرسمية من المدارس الأجنبية المتعددة الجنسيات المتنوعة المناهج والغايات والتي تتجه في الأعم الأغلب في اتجاه معاكس للغاية التي ذكرناها سراً وعلناً ومباشرة ومداورة . وموضوع المدارس الأجنبية من المواضيع الخطيرة الأثر في حياتنا وحركتنا

- ٢١ -

ومصلحتنا يجب ان يعار اهتماماً كبيراً وعاجلاً من جانب حكوماتنا وهياتنا القومية وأن تشتد الدعوة الى ذلك. واذا كان حقاً ان لهذه المدارس بعض الفائدة في توسيع نطاق العلم فان مما لا يمكن ان يحارى فيه انه كان لها آثار سيئة ايجابية وسلبية في حياتنا القومية أضف أضف ما كان لها من فائدة كما ان هذه الآثار ستمتد ما دامت هذه المدارس قائمة .

فاكثر المدارس الاجنبية وبالأحرى اكثرها الكبرى هي مدارس تبشيرية سيرتها وسيطرت عليها روح المبشرين المتعصبة التي يعرفها الخبيرون في مؤلفاتهم وأبحاثهم وجداهم ومطاعهم الصريحة والضمنية التي تصدر عن غرض وهوى وحقد وضيق افق . وهذه الروح كانت عاملاً قوياً خاصة في بث روح الخوف والحذر والحقد والريبة والانكماش بين المسلمين والنصارى العرب ، وفي تعطيل كل اتجاه يمكن أن ينبثق في نفوس الناشئة النصرانية نحو العرب والعروبة على اعتبار ان الاسلام والعروبة لفظان مترادفان ، وفي اثاره الحقد بل والاحتقار في نفوسها نحو العرب وفي تشويه تاريخهم تشويهاً منكراً .

ولقد كانت هذه المدارس من الناحية الأخرى وسائل استعمارية مباشرة ومدافرة بما كانت تقتصر عليه تقريباً من ملء ذهن الناشئ بلغة الأجانب وتاريخهم وآدابهم وتقاليدهم . وفي حين لا يكاد الناشئ يكون قد عرف شيئاً او عرف ما هو مشوه وناقص من اللغة العربية والآداب العربية والتاريخ العربي يكون قد تشبع بروح الأجانب وانماهم وآدابهم وتقاليدهم وابطالهم وبالتالي قد استغرق فيهم استغراقاً تاماً . وهكذا ينشأ الناشئ الذي يخرج في هذه المدارس غريباً عن العرب والعروبة في لسانه وروحه وعقله وعلمه متدحجاً بالأجنبي بكليته . وانك لترى كثيراً من فتياننا وفتياتنا بسبب ذلك مسلمين وغير مسلمين لا يكاد يبنون باللغة العربية ولا يكادون يفهمون شيئاً عن العرب ولا يكادون يحسسون شيء من الشعور العربي والكرامة القومية ، بل ويكادون يكونون أعداء للعرب والعروبة وتاريخهم شاعرين في قرارة نفوسهم بالآثم والحسرة لانهم يتنون اليها في حين يكونون ملهين شديد الامام بتاريخ الافرنسيين أو الانكليز

وانتمهم وآدابهم مندججين في عاداتهم وتقاليدهم وشعورهم وقد اتخذوا من اللغة الانكليزية أو الافرنسية لغة بيت ومجالس وسمر ، وإذا تكلموا اللغة العربية العامة التي اقبسوها في صغرهم رصموها بالطلانات الانكليزية والافرنسية. وهذا سر ما نراه في مزارنة لبنان وكاثوليكه بنوع خاص من التعلق الشديد والاستغراق التام في كل ما هو افرنسي والكراه والخوف والانتقاص من كل ما هو عربي اسلامي مما هو من مشاكل حركتنا القومية في هذا القطر العربي لأن غلبتهم درست وما تزال تدرس في مدارس افرنسية او مصبوغة بالصبغة الافرنسية فضلاً عن الصبغة التبشيرية التي تسود فيها . وشيء من هذا ملموخ في كاثوليك سورية ومصر وإن كان أخف حدة وأقل اتساعاً بسبب قلتهم أولاً وبسبب كوث الافرنسيين قد ركزوا معظم جهودهم في لبنان ليكون معصمهم في الشرق العربي ثانياً .

هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن تمدد أنواع وجنسيات المدارس الاجنبية أدى بطبيعة الحال الى تنوع الشعور في الناشئة التي تخرج منها وأدى بالتالي الى تناقض الامزجة والمظاهر والميول والاساليب تناقضاً عجيباً حتى صارت الامثال تضرب بنا وخاصة ببلاد الشام التي نكبت بالتناقض الاجنبي الاستعماري على اختلاف الميول والامزجة والاساليب ليس في البلد الواحد فحسب بل في الاسرة الواحدة ...

والتعليم الاجنبي الاستعماري التبشيري هذا ليس قاصراً على النصارى بل كان وما يزال ينهل منه عدد كبير من ابناء المسلمين منهم من يرسله ذووه على اعتبار أن النظام والتربية في المدارس الاجنبية خير منها في المدارس الرسمية والاهلية، ومنهم من يرسله ذووه للمباهاة والتزلف دون أن يفكروا بما يترتب على ذلك من آثار سلبية أو ايجابية في حياة ابنائهم واتجاهاتهم وشعورهم ومقوماتهم أو دون أن يبالوا بذلك . وهكذا شمل سوء اثر هذا التعليم وضرره طبقة غير قليلة من نصارى العرب ومسلمين على السواء حيث اساعت لابنائها هذه النشأة المسيحية المشوهة المفايرة كل المفايرة للكرامة القومية والمصلحة القومية والمعتلة للانسجام

الذي يجب توطئه بين ابناء الامة الواحدة في الأمركة والميول والأساليب
والغايات والشعور .

ومما قيل أن هذه المدارس ساعدت على اتساع نطاق العلم والتثذيب وأنه قد
نشأ أفراد من العرب منها كان لهم جهد ومشاركة في الحركات القومية والوطنية
العربية وكانوا متشبعين بمبادئ الحرية والاستقلال فما لاشك فيه ان هؤلاء قليلون
من جهة وان ما كان قد كان من قبيل رد الفعل من جهة اخرى ولم يكن على كل
حال نتيجة جهد وتوجيه مخلصين ، وليس من شأنه أن يبرر استمرار هذه
المعامل البشرية في عملها لتشوه أخلاق ابنائها وأرواحهم وتعطل شعورهم القومي
وتجلبهم يستغرقون شعوراً وانجذاباً في الاجنبي وتاريخه وآدابه وابطالته دون
تاريخهم وآدابهم وأبطالهم ، ولا سيما أن الشعور القومي فينا لم يرسخ وعم
ويقوى ويكون لنا منه مناعة كافية ، وان بعض بلادنا لا تزال منكوبة بالاجنبي
وأن بعضاً آخر منها عرضة لظلمته ودسائسه وتربصاته .

والعلاج الناجع هو التخلص من هذه المدارس وإيس هذا مستحيلاً . فبصر
وسوريا ولبنان والعراق والمملكة الاردنية التي توجد فيها هذه المدارس قد
تخلصت من الامتيازات الأجنبية التي كان وجود هذه المدارس واستمرارها
يستندان اليها ، وهي في شؤونها الداخلية مستقلة استقلالاً تاماً . وقد آن لحكومات
هذه البلاد أن تنبه الى خطر هذه المدارس وضررها وأن تعمل جاهدة على
التخلص منها . ومن واجب الواعين القوميين العرب من صحفيين واساتذة وكتاب
وخطباء ووعاظ ان يشتدوا في الدعوة الى ذلك .

على انه اذا لم يكن امكان التخلص منها في الحال فإن الواجب يقتضي بسذل
الجهد السريع القوي لاستدراك امرها الى ان يصبح ذلك في الامكان مما هو
ضرورة لا مناص منها وعاية لا يجوز التكوؤص عنها . وفي المثل الذي ضربه
الكنايون احسن الاسوة . فقد ساروا في سياسة رشيدة حازمة في سبيل إيقاف
هذه المعامل أو حد اذاها وتربك من رغب في البقاء فيها . وقد قامت هذه السياسة
على حظر التبشير والطابع الديني الكهنوتي على أي مدرسة أجنبية ووضع قيود

وشروط شديدة على المدارس الأجنبية مما أدى إلى إقفال كثير مما كان موجوداً ، ولم يبق في تركية مدرسة واحدة تحمل طابع التبشير أو تسير على أي أسلوب من أساليبه ، وأصبحت اللغة التركية فيما بقي منها لغة إجبارية تعلم بواسطة أساتذة من الأتراك ترشحهم وزارة المعارف كما غذا هذا الباقي خاضعاً في كل شيء للسلطات الحكومية وتفتيشها أولاً ، وفيها مدير ثان تركي ثانياً ، وتكتب حساباتها وسجلاتها باللغة التركية ثالثاً . ويدرس التاريخ والجغرافية والعلوم الاجتماعية باللغة التركية من قبل أساتذة أتراك ووفقاً للمنهج الثقافي العام رابعاً . وهذا فضلاً عن تحريم تعليم التلامذة الأتراك جنسية — مسلمين وغير مسلمين — تعليماً ابتدائياً في المدارس الأجنبية وقصر التعليم فيها على أبناء الجالية الأجنبية أو التعليم الثانوي وعدم السماح بإنشاء أي مدرسة أجنبية جديدة . وقد كان عدد المدارس الأجنبية في تركية يبلغ المائتين فظل يتناقص حتى وصل إلى واحد وثلاثين في سنة ١٩٤٣ . يقتصر التعليم فيها على الأجانب والتعليم الثانوي وفي نطاق الشروط والقيود التي شرعها آنفاً .

ومما تكن هذه الخطوة شاقة ومعقدة بالنسبة إلينا فإن شدة أثر هذه المدارس في حياتنا القومية وشدة ضررها تجعلان كل شيء في سبيل الحزم فيها . ومن واجب الحكومات العربية المعترف باستقلالها والتي تمارس سيادتها أن تسارع إلى ممارسة هذه السيادة في هذه الساحة الخطيرة وبكل حزم ولو باقتباس ما فعله الأتراك . ونعتقد أن النجاح فيها غير عسير ، ولن يستطيع أحد أن يشكر حقنا في تنظيم تعليم أبنائنا وتربيتهم والاشتراف على قسائهم ومنع كل ما من شأنه أن يمسخ أخلاقهم وعقولهم ويشوهها ويعطل شعورهم القومي ، وليس فيه أي نعمت ولا بغي ، وليس فيه إلا الحق والعدل ولا يكابر فيه منصف مما كانت تحملته وجنسته . وعلى الواعين القوميين أن يدفعوا الحكومات في هذا السبيل بكل قوة .

— ٣ —

ومن هذه الصور المدارس الطائفية المتنوعة التي تقوم كذلك إلى جانب المدارس الحكومية . وخطورة أثر التعليم الطائفي في حياتنا القومية كخطورة أثر

التعليم الاجنبي في الروح وفي بعض الظروف والخصوصيات أو أشد . فطلاب هذه المدارس ينشئون في جوهر الطائفي ونظائر روح الافتراق والتميز والانكسار والحذر بل والبغض المتقابل هي السائدة . ومما يزيد العائن بلة أن أساتذة هذه المدارس هم في الاغلب من رجال الدين الذين لا يدركون خطورة التربية القومية والمصالحة القومية او الذين يخرفون عنها قصداً وراء ذهنية ضيقة الأفق تدفعهم الى تنشئة تلامذتهم تنشئة طائفية بحجة في حين ان الذي يرجى من التعليم ومعايذه بالإضافة الى تثقيف الذهن وتوسيع دائرة المعرفة القضاء على الروح الطائفية السائدة في اوساطنا البيئية والاجتماعية على السواء . واستمرار الروح الطائفية قوية في كثير من ابناء الطوائف المختلفة مما صار لهم من الحط الوافر في الثقافة والعلم واتساع الذهن والافق يعود الى درجة كبيرة الى التربية الطائفية التي تلقوها في المدارس الطائفية في طفولتهم على ايدي أساتذة طائفيين في روحهم وأفقيهم والمحرفين وغدوا بها تحت سلطانها الاشعوري رغم ما يتظاهرون به من الانطلاق وسعة الافق . واذا كان ليس في الامكان ازالة الروح الطائفية بالمرة في برهة وجيزة لانها متصلة بحياتنا البيئية والاجتماعية الخاصة ، ولأن هذه الغاية السامية تقتضي زمناً طويلاً فان بقاء التعليم الطائفي مما يؤدي الى استمرار تلك الروح في حين ان التعليم هو معتمدنا ومرجونا في ازالتها وتبديلها بالروح القومية .

وايس من ريب في أن الوجه الصحيح هو الغاء التعليم الطائفي وجعل التعليم مشتركاً منذ درجته الاولى فلا يكون في الدولة إلا تعليم قومي واحد ومدارس قومية واحدة تضم أبناء الطوائف على اختلافها وتسود فيها الصبغة القومية البحتة وفقاً لمنهج ثقافي عام . وبهذا يستطيع اضعاف الروح الطائفية السائدة في اوساطنا البيئية والاجتماعية الى أن تزول وتتوارى هذه المشكلة الخطيرة نهائياً . ومن الواجب على حكوماتنا أن تبذل جهودها القوية الحازمة في هذا المجال كما أنه يترتب على متفقي الطوائف المختلفة وبنحريهم أن يتضامنوا في تدعيم هذا الجهد والنجاحه وهذا مطلب قومي عظيم يستحق عناية كبيرة وجهداً جليلاً وعلى الواعين القوميين أن تشتد دعوتهم اليه .

وقد لا يكزن تحقيق هذا المطلب سهلاً . فنحن نعرف شدة رسوخ الروح الطائفية والاعتبارات المتنوعة التي تغذيها . فمن الواجب والحالة هذه بذل الجهد في استدراك امر المدارس الطائفية بإدخالها الى أيد نيرة واسعة الافق مدركة لمعنى الفكرة القومية وما فيها من مصلحة عامة للجميع وابعاد الطائفيين المتعصبين عنها ونزع الكتب الطائفية من أيدي التلامذة وإبدالها بكتب قومية وتطبيق المنهج الثقافي العام بحمد وعناية ، وجعل هذه المدارس تحت المراقبة والترصد القوي المستمر . ونعتقد أن هذه الخطوة ستهد السبيل الى الخطوة الحاسمة التي ذكرناها قبل إذا ما خطيت بحزم وإبافة . ومما يكن فيها من صعوبة وتعقيد فإن اتصالها الوثيق بالمصلحة القومية والحياة القومية وأثرها فيها يهون كل تعب وتضحية وجهد في سبيلها .

- ٤ -

ومن هذه الصور المدارس الخصوصية المتنوعة الموجودة هنا وهنا والتي تقوم بجهد الافراد والهيئات ولم يبرز فيها طابع التبشيري والطائفي أو هي خالية منه بآلة . ومما يكن من خفة خطبها بالنسبة الى النوعين السابقين فإن المصلحة القومية توجب استدراك أمرها هي الأخرى ولو بالإشراف الدقيق والتوجيه الصحيح وتطبيق المنهج الثقافي العام وحبها بالصيغة القومية البحتة ، وعدم السماح لها باتخاذ منهج خاص وفلم خاصة وتوجيهات خاصة .

هذا ، وغني عن البيان ان الجهود يجب ان تبذل في سبيل هذه الخطوات وفي سبيل الوحدة الثقافية العامة الشاملة لجميع البلاد العربية وخاصة البلاد المتقاربة في الانكشاف العلمي والثقافي بدون توائ . فالوحدة الثقافية والصيغة القومية في المناهج ونظم التعليم ضرورة عاجلة ، ولا يقوم أمامها ما يقوم أمام الوحدة السياسية والاقتصادية من عراقيل وصعوبات من جهة وهي دافع قوي الأثر الى الأهداف القومية العربية والبعيدة من جهة أخرى .

ونحن نعرف ان هذا الموضوع من المواضيع التي أخذت منظمة جامعة الدول العربية تعالجها منذ سنين ، غير أن هذه المعالجة ما زالت في نطاق الكلام والمحاولة

دون العمل والتنفيذ الجدي . فعلى القائمين بأمر هذه المنظمة أن يضاعفوا الجهد في هذا الموضوع الخطير والذي له أثر كبير في مستقبل حياتنا القومية ، وعلى الواعين القوميون أن يشتدوا في الدعوة الى ذلك وأن لا يدعوا الأمر على سجيته وأن يدفعوا بمنظمة الجامعة والحكومات العربية الى سبيله القويم بالقوة والسرعة .

- ٥ -

ونحب بهذه المناسبة أن نثبه على نقطة هامة ، وهي أننا لسنا فقط لائري ضرورة الى اقضاء التعليم الديني عن مدارسنا بل نراه ضروريا في دائرة التدابير الخاصة والحدود المعقولة من حيث الزمن والمكان والاسلوب ومن حيث الارتفاع بروح أبناء الامة الواحدة والوطن الواحد الى أوج الصفاء والتعاطف والمحبة والتضامن والتمازج ومكارم الاخلاق والفضائل الانسانية كما تأمر به الأديان الكريمة ولا تتناقض في تنافض في اسسه وجوهره . وهذه التدابير مما يدخل بدون ريب في نطاق الامكانيات والبسر وليس فيها ما هو عسير اذا صدقت النيات وصحت الرغبات . فالتعاليم الدينية في أصلها صافية نقية سمحة من شأنها أن توقظ الضمير وتقوي حافظ الخير وتضعف نوازع الشر في الانسان وتلطف روحه وتجعله برأ رؤوفاً عطوفاً هيناً ليناً متسامحاً من جهة وعزيراً كريماً قوياً آخذاً بأسباب الحضارة غير مستشكر للدنيا في دائرة القصد والاعتدال من جهة ، ومنضجياً لا يفر الظلم والبغي والعدوان من جهة ، وتنبأ به عن الاستغراق بالمادة استغراقاً شديداً يشغل جميع قواه وأفكاره ويجعله جافاً جافياً من جهة . وفي كل ذلك من الكنوز الروحية والقوى التهذيبية ما هو خليق بالتفكير والعرض عليه بالنواجد ولا سيما انه مظهر فيض الشرق العربي وطابعه القوي الزاخر بالاشراق والنور أولاً ، وأن اثر تحكيم المادة وضعف الروح الدينية في الغرب قد وصل

الى حد شديد الخطورة بما يبدو من دولة وشعوبه من شرور وطفيان وبغي
واستغراق واستهتار ثانياً ؛ والمهم في هذا ان يجاد تلقين هذه التعاليم وتجايتها
اجادة متسقة مع سنائها ونقاها بواسطة اساندة ليّرين واسعي الافق والدهن
وهو ما يجب على حكوماتنا العناية به كل العناية وما يجب على الواعين ان يشهدوا
في الدعوة اليه .

(٤) الأفطار المسمومة

- ١ -

وهناك أفكار تبث في أوساط ناشئتنا فكرياً عقبات روحية وثقافية في سبيل
تسكامل وتطور الوعي القومي العام وانسجام طبقات المجتمع العربي ووحدة
شعوره .

١ - منها الإقليمية ، ففي كل قطر من الأقطار العربية وخاصة في لبنان
ومصر فئات يتجاهلون ما يربط بلادهم بالبلاد العربية الأخرى من روابط كثيرة
تجعلها وطناً عربياً واحداً ويتجاهلون ما يربط أهلها بأهل البلاد العربية الأخرى
من روابط كثيرة تجعلهم أمة عربية واحدة أو يسيئون فهمها وتأويلها ، ويدعون
إلى الانكماش في النطاق الإقليمي الضيق وتفرغ الجهد لبلادهم الخاصة وعدم عذر
قواها خارج هذا النطاق .

وتصدر هذه الدعوة من هؤلاء الناس بأشكال وأساليب متنوعة فمنهم من
يسوق التفاوت الثقافي والاقتصادي والديني بين بعض الأقطار ليدل على عدم
إمكان الانسجام وعبث المحاولات في سبيله . ومنهم من يسوق الظروف الجغرافية
ويذكر ما يفصل بين الأقطار العربية من أبعاد شامخة ليدل على ذلك . ومنهم من
يسوق الظروف التاريخية واختلاف الأصول والحضارات والمذاهب . ومنهم من
يرى في الاندماج في فكرة العمومية العامة مناعب ومشاكل يجب أن يكون
قطارهم في نجوة منها . ومنهم من يرى الفكرة العربية هي النكرة الإسلامية ويرى
فيها بالتالي صبغة دينية إسلامية . ومنهم من يرى أنه لا يمثل الفكرة العربية العامة
إلا وحدة اللغة دون وحدة الجنس والأصل والثقافة والمشارب مما لا يصلح أن

يكون وحده أساساً صحيحاً لوحدة قومية ويسوق اختلاف المهنجات واختصاص كل قطر بلهجة خاصة به من المؤيدات والموانع . ومنهم من يرى لأسباب جغرافية وتاريخية وأصولية جنسية أن الهلال الخصيب الذي يشمل العراق والشام وحدة قائمة بذاتها فقط وإن تلك الأسباب لا تجعل الانسجام العربي العام مبرراً ولا ضرورياً ولا تسمح به ..

وواضح أن في هذه الأقوال مغالطات ومفارقات كبيرة فضلاً عما فيها من منافذ تنفذ منها دعايات الأعداء والمقربين الذين يرون في وحدة العرب وتضامهم وانسجام شعورهم على اختلاف أقطارهم خطراً على مصالحهم وعقبة في سبيل مآربهم ومطامعهم .

فالتفاوت الثقافي والاقتصادي والمدني قائم على أشد ما يكون في نفس كل قطر من أقطار العرب وفي طبقات سكانه . فثلاثة أرباع المصريين مثلاً في جهل وفقير مريدين والتفاوت بينهم وبين الربع الباقي أشد في جملته من التفاوت بين مصر كمجموعة وبين الحجاز واليمن ولا تقول بين سوريا ولبنان . والتفاوت بين الريف المصري والمدينة المصرية في جملته أشد من التفاوت العمراني بين مصر كمجموعة وبين الحجاز واليمن أيضاً ولا تقول بين سوريا ولبنان . ومثل هذا يمكن أن يقال بالنسبة إلى الأقطار الأخرى . والتفاوت الاقتصادي والثقافي والمدني المذكور ليس أصلاً طبيعياً مع ذلك في جبهة الأمة العربية وطبيعة معظم البلاد العربية . ففي الامكان زواله ولا يصح أن يكون مبرراً لعدم شمول الفسكرة العربية لمختلف الأقطار العربية أو دعوى استحالة الانسجام بينها . ولقد كان في بعض أنحاء البلاد العربية التي تبدو اليوم متأخرة عن غيرها حضارة زاهرة تجعلها تعد في طليعة البلدان المتحضرة مما فيه الدليل على ما نقول .

وهذا التفاوت إلى هذا كله ليس شيئاً خاصاً بالأمة العربية والبلاد العربية ، ولم يمنع قيام الوحدة القومية والدينامية والاجتماعية في غير الأمة العربية . فمثل التفاوت المذكور موجود بين أقطار الاتحاد السوفيتي وبين أقطار الهند والصين مثلاً فلم يمنع إن تشمل كلا من أقطار هذه البلاد دولة واحدة .

ووسائل الاتصال العصرية قد طورت المسافات وقربت الأبعاد ، وابتست المسافة
 بين آخر وأول قطبين في مصر شمالاً وجنوباً أقل كثيراً من المسافة بين القطر
 المصري وسورية والحجاز واليمن بل والعراق وبلاد المغرب ، وليس من المستحيل
 أن ترتبط الأقطار العربية في المستقبل بل وفي المستقبل القريب بالخطوط
 الحديدية فضلاً عن الخطوط الجوية والطرق المعبدة فيقرب ما كان بعيداً ويسهل
 ما كان صعباً ، وليست البلاد العربية بدعاً في هذا أيضاً ، فالأبعاد بين أول وآخر
 نقطة شرقاً لغرب أو شمالاً لجنوب بين أقطار الاتحاد السوفيتي أو الهند أو الصين
 أو الولايات المتحدة الأميركية لا تقل عن أول وآخر نقطة بين الأقطار العربية
 شرقاً لغرب أو شمالاً لجنوب بل ومنها ما يزيد عنها فيها ، وفي بعضها من الظواهر
 الطبيعية مافي الأقطار العربية وأكثر ، ولم يكن هذا البعد ولا هذه الظواهر
 تمنع قيام وحدة جغرافية وسياسية واجتماعية واقتصادية في هذه الممالك والشعوب ،
 وليس صحيحاً في حال أن الفكرة العربية هي الفكرة الإسلامية ، ففسها
 وبالتالي هي فكرة دينية ، ولو كان هذا صحيحاً لاقتضى أن تشمل الفكرة العربية
 البلاد الإسلامية غير العربية بحال يقل به أحد ، وكل ما هنالك ان أكثرية
 العرب الساحقة مسلمون وهذا شيء ، وذلك شيء آخر كما لا يخفى ، ولم ينحصر نشوء
 الفكرة العربية الحديثة في المسلمين بل شارك فيها النصارى العرب أيضاً انبعاثاً
 وتطوراً ، وقسم كبير من نصارى العرب الذين تساق هذه الدعوى في صدد هم
 أصلاء في العروبة الصريحة الطابع حيث يمتنون الى القبائل العربية النصرانية
 التي كانت تملأ بلاد الشام والعراق ، وقسم كبير آخر منهم يمتنون الى الجنس
 العربي لأنهم أنسال موجات هذا الجنس التي خرجت من جزيرة العرب
 واستقرت منذ مئات السنين ثم غدت العروبة الصريحة طايعهم ، وإذا كان هناك
 أقلية من النصارى قد يمتنون الى أصل غير عربي فإنهم اندمجوا هم الآخرون من
 مئات السنين في العروبة وغدت طايعهم أيضاً .

وليس صحيحاً كذلك انه لا يمثل الفكرة العربية العامة إلا وحدة اللغة
 فالوطن العربي الكبير هو ممتد او موطن الجنس العربي ومهاجر موجاته التاريخية

قبل الاسلام عدة طويلة . وقد اصطلح بالصيغة العربية التاريخية قبل الاسلام وبمده . فالكثيرة سكان هذا الوطن الكبير متحدون في الجنس واللحم والأرومة . يضاف الى هذا أنهم يجمع بينهم تاريخ واحد امتد الى ثلاثة عشر قرناً بدون انقطاع فضلاً عما قبلها . ويجمع بينهم وحدة روحية وثقافية وتشريعية ممتدة كذلك الى مثل تلك القرون الطويلة . بحيث ظلوا يعيشون في جو تاريخي وروحي وتشريعي وثقافي واقتصادي وسياسي واحد تقريباً طيلة هذه المدة المديدة . وهذا الوطن الكبير متصل الأجزاء بدون أي فاصل جغرافي او عنصر من اقصى شرقه على خليج البصرة الى اقصى غربه على المحيط الاطلسي . وكل هذا يجعل مصالحه واحدة ويجعل القضية العربية العامة او الفكرة العربية القومية العامة من القوة والعمق والصحة والبداهة اكثر مما هي في كثير من القضايا القومية الاخرى .

وهذا الذي نقوله يساق ايضاً الى الذين يسوقون الظروف التاريخية واختلاف الاصول والحضارات والمذاهب التي كانت في العهد التاريخي القديمة حيث يجعل زعمهم غير صحيح . فهم مثلاً يرجعون اصولهم أو اصول سكان أقطارهم الى الأمم التي سكنتها قبل الاسلام عدة طويلة ليشهدوا عن العروبة التي خلقتها الفتحوات الاسلامية العربية في هذه الاقطار والسكنهم يتناسون الحقيقة التاريخية الكبرى وهي أن هذه الاصول هي من جزيرة العرب أي من الجنس العربي دماً ولغةً ومثلاً وهجرة . وهذا فضلاً عن ما في تناسي الواقع المتمثل في دهر طوبل يتمثل في ثلاثة عشر قرناً بعد الاسلام والذي اندمجت فيه هذه الاقطار وسكانها في العروبة وعاشت فيه في جو تاريخي وروحي وثقافي وسياسي واقتصادي واحد المرجوع الى ما قبل الاسلام من مكابرة ومفارقة . في حين أن الوحدة القومية في البلاد الاخرى موطدة بسبب وحدة لغة ووطن وتاريخ وأصول لا ترتفع الى اكثر من مئات قليلة من السنين . أما فروق المذاهب فهي أقل من أن تورد في صدد التبدل على تميز وتفاوت كما هو المتبادر .

ويساق هذا القول أيضاً الى الذين يقصرون مدى الوحدة القومية على الهلال

الخصيب . ويقع هؤلاء في مفارقة أخرى ، فهم يتخطون القرون الثلاثة عشرة المذكورة وآثارها التي وطدت الوحدة القومية بين الأقطار العربية جميعها من مختلف عناصرها ويتجاهلونها ويقولوا بأن وحدة الهلال الخصيب قائمة على وحدة الأصول المتمازجة التي سكنت فيه من اشوريين وكلدانيين وبابليين وآراميين وكنعانيين . وينسبون ان هذه الأصول تمت الى اصل واحد هو الجنس العربي وأن الحجة دامغتهم في شمول النظرية التي يسوقونها على مايقبها من تخط لواقع متماثل في ثلاثة عشر قرناً طويلة ...

وقد أنشأ الذين يقولون بهذا القول حزباً له فروع في مختلف بلاد الشام واستطاعوا أن يضموا اليه عدداً غير قليل من الشباب من مختلف الانحاء والاديان وبدوا كأنهم اصحاب عقائد ومبادئ يدعون اليها ويدافعون عنها بحماسة وقوة وحساسة مع مافي دعوتهم هذه من تلك المفارقات والمغالطات . ومن عجيب أمرهم أن دعوتهم في بدء أمرها كانت مقتصرة على سورية الطبيعية ويخرجون منها العراقي وغيره من الأقطار العربية لأسباب ثقافية واقتصادية وجغرافية وتاريخية التعلوها بل ولم يكونوا يبالون بالعروبة ويقولون بأنها طرأت على سورية ، ثم قبلوا أن تنصف سورية بالعروبة وظلوا على قولهم بعدم امكان الانسجام بينها وبين الاقطار العربية الأخرى ، ثم اذا هم يمتدحون العراقي من سورية حيث صاروا يطلقون اسم سورية الطبيعية على الهلال الخصيب الذي يشمل العراق ويقولون بالعرب والعروبة ورسالة سورية الخالدة في قيادة الامة العربية دون ان يعدلوا مع ذلك عن القول بالمة سورية تامة ووطن سوري تام ودون ان يقولوا كيف يمكن التوفيق بين هذه المفارقات والتطورات ؟ حتى يبدو من هذا التبديل والتعديل ومن هذا التناقض ان قصارى ما كان يهمه الذين قلموا بالازب وجعلوا منه مؤسسة ذات نظم ومظاهر شبيهة بالنظم والمظاهر النازية ان يكون لهم منظمة ذات نظم ومظاهر خاصة وحسب تنشط في سبيل ما ترسموه من خطط وأهداف مما جعل بعض الناس يعجزونهم وينسبون اليهم المتآرب الخاصة او الاستيحاء بوحى خارجي ..

اما القول بان الاندماج في الفكرة العربية العامة يجر المتاعب والمشاكل فهو ظاهر الوهن والسقوط وخاصة في زمن يحتقر فيه ويستذل القليل الضعيف ويعتز فيه القوي ، وتتمثل فيه الامم المتشاكلة والمتجانسة بل المتجاورة وحسب ، وهامي روسية والصين والهند والولايات المتحدة الاميركية تتألف من مئات الملايين من السكان وهي شاسعة الاقطار متباعدة الأطراف حتى ا يكون كل منها قارة بذاتها ، وفيها الى هذا الكثير من العوائف والاجناس والعديد من اللغات والاديان ، ومن العجيب ان بعض المصريين الشمويين هم الذين يقولون بعثل هذا القول في الدرجة الاولى في حين ان مصر تكاد تكون اصفى من غيرها من غيرها من الاقطار عروبة وانها هي المرشحة الطبيعية لتكون زعيمة الاقطار العربية والشعوب العربية وتلقب دورها التاريخي العظيم الذي لعبته اكثر من مرة في تاريخ الاسلام فماد من ذلك عليها وعلى الاقطار العربية كل خير ونفع ومجد وسؤدد .

ومن الحق ان تذكر ان اصحاب هذه الأقوال المتنوعة في صدد الاقليمية قلة بين الجهرة العربية وان الشعور القومي العربي العام قد غدا شاملاً لمختلف الأوساط والأقطار . غير أن المصلحة القومية توجب على الواعين من القوميين ومظاهرتهم ان لا ينفصلوا عن سمومهم ومغالطاتهم ومفارقاتهم لأنها يمكن شأنها لا بد من أن تترك أثراً ما وان تكون مراقيل وعقداً نفسية وفكرية في طريق الحركة العربية الحديثة واهدافها .

- ٢ -

٢ - ومنها فكرة الامة : وهذه الفكرة تقوم على أساس الانسانية العامة والدعوة الى نبذ الفكرة القومية ونسبتها الى الرجعية والقرون المظلمة ووصفها بدمم الاتساق والانسجام مع مقتضيات تطور الانسان واتساع نطاق العلم والمعرفة .

اننا لانكر ما في الفكرة الانسانية والاخاء الانساني الشامل التي لا تنقيد
بقيد الجنس والحدود الجغرافية والتي تستهدف تضامن بني البشر جميعاً لحسين
البشرية وتكاملها والقضاء على اسباب النزاع والاضطهاد والمطامع والشهوات
المستعصية في مختلف الأمم والعلاقات والافراد ، وسيادة السلام والمحبة بينهم من
خيال أحقاد يتصل بالمثل العليا التي دعيت اليها الاديان وتكلم فيها ودعا اليها كبار
المصلحين والفلاسفة في مختلف الاجيال ، كما لانكر انه قد يوجد في كل بلد
وامة جماعات تعتقد هذه الفكرة باخلاص وتدعو اليها عن عقيدة وإيمان .

غير أن الذي نعتقه ان الذين هم في حالة مثل حالتنا وفي موقف مثل موقفنا
ضعفاء في بنيتهم وقوتهم ، وموضوع تشاد ومطامع بين الاقرباء الذين يرتصون
بهم الدوائر ويتوسلون بكل وسيلة الى السيطرة عليهم واستغلالهم والتحكم فيهم
لا يصح في حال أن تروج بينهم مثل هذه الفكرة لان انبثاؤها فيهم غير مؤد الى
نتيجة عملية ايجابية في صدها بالذات في حين انه مؤد حتماً الى اضعاف التماسك
القومي والمقاومة فيهم في وقت هم اشد ما يكونون فيه حاجة الى قوة التماسك
والمقاومة القومية .

هذا الى ان هذه الفكرة في سعتها التي ذكرناها مقدر عليها ان تبقى مثلاً
اعلى متعللاً بالنظريات والدعوة والاماني اكثر منها داخلية في نطاق العمل
والحقيقة الراحنة . فالقوارق الطبيعية والخلقية والاجتماعية والروحية والجغرافية
والتاريخية واللغوية والدينية قوية الجذور عميقة الاصول في البشر الى درجة
تجعل قيام اخاء انساني عام وشامل يزول به التنازع وتسلمته الاحقاد وتتصل
فيه المطامع ويكرن الحق والسلام والمحبة هي السائدة هي في حكم المستحيل وعلى
الاقول الى الوف عديدة من السنين ، ووجود ضعيف وقوي وفقير وغني وجاهل
وعالم وغني وزكي وبليد ونشيط وقليل وكثير هو في حكم الناموس الطبيعي الذي
لن يتبدل والذي سيظل يعمل عمله في الانسانية ..

والى هذا فان الأمم القوية التي يقوم من بينها الدعاء الى هذه الفكرة درن

ان تخفى نتائجها من ضعف وتراخ وتعرض للبغى والتسلط شديدة التمسك
بقوماتها القومية دائبة على التشاد والتنازع والرغبة والسعي في التحكم والتسلط
في الارض وطبعا بطابعها القومي الخاص بها استعمل كل منها ما يستعمله من
الوسائل ويصطنعه من الدعايات الخداعة التي لا تخفى ما تحتها من راهن الخفايا
وواقعا . وان الامم الصغيرة والضعيفة في مختلف انحاء الارض وسواء منها التي
هي في ارقى درجات الحضارة والعلم والرفاه او المتأخرة شديدة التمسك بقوماتها
القومية ولا ترى في هذه الفكرة تبديلاً عنها .

ولقد رأينا روسية التي تبنت الشيوعية المتطوى فيها معنى من معاني هذه
الدعوة تعمد في اثناء الحرب العالمية الثانية وما بعدها الى الانفخ في نار القومية
الهاب عزائم أبنائها في النضال من جهة وتعتمد من جهة اخرى الى سياستها
التقادية العنصرية فتبسط يدها على أوروبا الشرقية التي فيها شخصيات وطنية
وجغرافية خاصة متذرة بما يجمع بينها من سمات عنصرية سلافية كما انها لا تنال
في تربص القرم لتحقيق ما اعتادت السياسة القيصريّة القديمة ان تترجمه من
خطط وخطوات استعمارية بحجة ضمان ما تسميه حدودها القومية ومجالها القومي
ونطاق امنها وسلامتها ايضاً .

ولقد رأينا الولايات المتحدة الاميركية التي كانت منظوية على نفسها والتي هي
اكثر الامم حرية وأشدّها انطلاقة وابعدّها عن فكرة الاستعمار والاستغلال
وأقلها تعدياً بتقاليد قومية قد غيرت اثناء الحرب المازكورة وبعدّها ذهنيها وخطتها
واخذت تميز سيرة الامم القومية الاستعمارية وتحاول بسط يدها وسلطانها
وتفوذها الاقتصادي والسياسي أو بالأحرى الاستعماري والاستغلالي على العالم
وجعل كلمتها هي الحاسمة في مشاكلة وقضايا دون مبالاة بما تقتضيه في سبيل ذلك
من مناقضات الحرية والحق والشرف والعدل والتراخ ودمغ محاولاتها بطابع
ذاتي وقومي خاص حينما رأت نفسها أقوى من غيرها وأغنى من غيرها حتى انها
لتمسك الآن في نزاع وتشاد قويتين سرّاً تارة وجبهة تارة اخرى مع بريطانيا
التي هي لها ائمة ودما وتقاليد بسبيل ذلك .

وقد رد على البéal أن الدعوة الى الفكرة الانسانية والاممية العامة هي من مصلحة الامم الضعيفة المضطربة لانها أشد من غيرها حاجة الى شيوع هذه الفكرة ورسوخها حيث تخلص بذلك عما يلزمها من اضطهاد وهوان وتسلط وتضمن لنفسها ما يعز عليها في نظام الاجتماع الراهن من المساواة والحرية ضمن المجموعة البشرية . وعلى احتمال صحة هذا الوارد فإن الامم الضعيفة المضطربة هي اول من يقع في خطر هذه الدعوة لانها تثبت فيها ضعف المقاومة والاستمساك والامل الكاذب الذي لا يمتي شيئاً في مجال واقع نظام الاجتماع الراهن . واذا كانت اليهود هم اكثر الدعاة الى هذه الفكرة وامثالها فإن الذي كان يحفزهم الى ذلك هو وضعهم الاجتماعي الخاص من حيث انهم مشتتون في كل ارض ومعرضون لاختلاف انواع الأذى بقطع النظر عن أسباب ذلك وبواعثه ، وليس لهم كيانات قومية يهمهم ان يحافظوا عليه ، وهم انما يبتشون هذه الأفكار في الأمم القوية وذلك من مصلحتهم ومفيد لهم دون ان يضرهم في حال . على اننا رأينا انهم اخبروا قد اخذوا بغيرهم نهجهم بعد أن صار لهم أو خيل لهم انه صار لهم كيانات ووطن وساروا برون وجوب تقوية الدعوة والمقاومة القومية في اممهم وهم الذين تنبؤوا بث مثل هذه الأفكار وانشاء المنظمات المتنوعة الاسماء منذ القديم بسبيلها مما فيه دلالة على ان وضعهم الاجتماعي الخاص هو الذي كان يعلو عليهم ذلك النهج . وليس من شأن ذلك ان يكون نهجاً يمتد به العرب ولهم ما لهم من الكيانات والمصالح القومية وهم معرضون لما هم معرضون له من المطامع والتربصات .

فالواجب القومي يقضي والحالة هذه على الحكومات العربية ومنظمات العرب وصحافتهم وعلماهم وكتابهم ان يتضامنوا في التنبيه على ما في انبثاث هذه الفكرة من اخطار على كياناتنا القومي ودرتها وسد الثغرات التي يمكن ان تنفذ منها وأن لا يستهينوا بضعف تيارها وضيق ساحتها الآن . فاعمالها قد يساعد على توسيعها ولا سيما ان اليهود الذين هم ابرع من مكرر ويسكيد ويصول ويحول في هذا الميدان والذين قد توطن بيننا وبينهم من النزاع والاحقاد ما توطن سيضاعفون جهودهم ومكرهم وكيدهم لنا من هذه الناحية بالإضافة الى التواحي الاخرى . لأنهم

يعرفون أن كل ضعف يلم بنا هو قوة لهم وأن كل تماسك ومقاومة فينا هو خطر وضرر عليهم . ومثل هذا يقال بالنسبة للانكليز والافرنسيين بنوع خاص الذين يسيطرون على كثير من بلادنا ويتربصون بنا الدوائر ويهدفون الى اضعاف بنيتنا القومية ليضمّنوا بقاءنا في فلكهم من حيث ندري ولا ندري .

ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان هذه الدعوة هي غير الدعوة الانسانية البارة الرحيمة التي تهدف الى توطيد المساواة بين أبناء الوطن الواحد ومساعدة الضعفاء والبهائين والمحرومين وانالتهم حقهم في الحياة الكريمة ، وهي كذلك غير الدعوة التي تهدف الى تعاون الأمم في مجالات الخير والبر والرحمة والسلام العام أيضاً او التي تهدف الى بث فكرة المساواة والحربة بين بني الانسان وبث فكرة مساعدة قادرهم على البر بضعفائهم وبأسيهم ومحرومهم بقطع النظر عن الفوارق الجنسية والدينية واللونية . فهذا كله سائع وواجب معاً على شريطة واحدة هي ان نستوحيه من منابنا المقدسة التي هي معين لا ينضب والتي هي اقوى من دعا اليه بأسلوب بلغ الغاية في الروعة والجلال والشمول ، وان لا ننساق فيه وراء دعوات اجنبية مريبة تحتوي مبادئ واهدافاً متناقضة كلياً او جزئياً مع مبادئ تلك المناهج ومع مفوماتنا ومصالحنا القومية معاً .

- ٣ -

٣ - ومنها فكرة الاستغراب . وهي الفكرة التي تستهدف تحجيد واحتذاء كل ما عليه الغرب من مظاهر مدنية ووسائل واساليب بدون قيد وشرط . والاطلاق في الدعوة والفكرة ضار كل الضرر كما هو المتبادر . ففي الغرب السنين والعت والنافع والضار والصالح والطالح ، والمتوافق مع ملهاتنا ومنابعنا وتقاليدهنا وروحنا وغير المتوافق وفيه ما يبرقل ما نتوخاه من التكامل والانسجام القومي ، وفيه ما يضعف فينا التماسك القومي تجاه الطامعين والكائدين من ابنائه ودولته . هذا الى ما اخذ الغرب يشتد في الارتكاس فيه من المادية الشديدة

والإباحية الخلقية والاستهتار بالمثل العليا الدينية وغير الدينية ، والاستغراق في الشهوات واستحلال كل وسيلة في سبيل الغاية والتحلل من التقاليد والتكاليف مما اخذ يضح منه علماءه وكتابه وباحثوه وروث فيه خطراً كبيراً وشراً مستطيراً . فبالإضافة الى ما يجب علينا من الاعتبار بالغرب واجتناب ما ضح علماءه وكتابه وباحثوه من الشكوى منه فإن مصلحتنا القومية تقضي علينا بالتحذير من الامتلاق في الدعوة وتوجب التدبر فيما يجوز اخذ وما لا يجوز وملاحظة ذلك في مناهجنا الثقافية والتريوية والتعاون عليها من قبل الكتاب الاساتذة والصحفيين والخطباء والوعاظ والمؤسسات القومية والأندية الأخرى .

فهناك امور عامة مشتركة ليست مطبوعة بطابع أمة خاصة ولا تبقى كذلك حيث تلقاها الأمم عن بعضها وتحتذيها بسر وسهولة اذا مسارت في طريقها واستكملت اسبابها بدون حرج ولا ضرر ديني وقومي كالمسائل العلمية والفنية والصناعية . فالحاكي والمذياع والنور الكهربائي والسيارة والطيارة والقطار والباخرة والعلوم الرياضية والفلكية والفيزية والكيمائية والميكانيكية والفطرية والاجتماعية والنفسية والتاريخية والحقوقية والسياسية ، وسائر وسائل العلم والصناعة ومتجاتها واساليبها الخ . كل هذا مما لا يمكن ان يتطبع بطابع قومي خاص او مما لا يمكن ان يبقى مطبوعاً بطابع الأمة التي نشأ فيها لأول مرة ، واكثره وان كان اليوم غريباً فهو ملك الانسانية المجتهدة المدؤوبة التي تتصل اصولها بالأجيال والتي قد تكون اشتركت في اصلها وتطورها الأمم التي كان لها شأن ما في تاريخ الحضارة والمعرفة والتي لاشك في ان للعرب حصة غير يسيرة فيها ، فليس من مانع قط من احتذاء هذه الغرب واقتباس ما عنده من ذلك والسير فيه أبعد شوط ممكن بل نرى ذلك واجباً قومياً عتاً . فهو من جهة سبب تفوق الغرب علينا هذا التفوق العظيم الذي نلسه في كل مظهر من مظاهر الحياة العملية والنظرية ، وتقصيرنا فيه هو من أهم اسباب ما نحن فيه من فقر وهوان وضعف وما نحن معرضون له او واقعون فيه من استغلال وتسلط وتهضم ، ولن نزال كذلك حتى نأخذ حظنا منه ونباري الغرب فيه مباراة عامة تعجلهم

بنفسون بدم منا ومن بلادنا . ونحن نرى أنما وبلاداً أقل منا عدداً أخذت
 حظها من ذلك فلم يبق للدول الكبيرة فيها مجال للتسلط عليها واستغلالها . وهو
 من جهة ثانية وسائل وأسباب رفاه وقوة وتمكن وحضارة وعمران ومعرفة
 وسعة أفق ونظام من حقنا وواجبنا أن نأخذ بنصيبنا منها على أوسع ما يمكن
 لنستمتع بنعيم الحياة وعزها وإطابتها استمتاع الإنسان العاقل لا البهيمة البلياء .
 وليس في منابع شريعتنا ولا تقاليد آبائنا ما يمنع من ذلك البتة ، بل فيها كل
 ما يحض على اقتباس كل ما يكفل لنا القوة والسؤدد والرفاه والسعادة المادية
 والمعنوية واحتدائه .

وهناك أمور ليست أممية مشتركة وهي مطبوعة عند كل أمة بطابع تلك الأمة
 الخاصة كالآخلاق والتقاليد والآداب القومية فليس من محل الفرء في أن هناك
 أخلاقاً وتقاليد وآداباً وروحاً إنكليزية ومثلها فرنسية ومثلها ألمانية ومثلها روسية .
 وليس من محل للفرء في أن للعرب أيضاً أخلاقاً وتقاليد وآداباً وذوقاً وروحاً
 خاصة بهم . وهذه الأمور هي مقومات كل أمة ومنع الهامها ودعم قوتها المعنوية
 واستبصارها القومي . وأصولها راسخة عميقة ترجع إلى الأحقاب الطويلة
 المتباعدة ويشترك في تكوينها وترسيخها عوامل كثيرة ذاتية من الدم إلى الجنس
 إلى البيئة إلى الدين إلى اللغة إلى التاريخ إلى الحروب إلى القصص والسجاياء
 والمفاخر الخ حتى تصبح معقدة تعقيداً عجيبياً وتغدو من أجل ذلك طابع الأمة
 اللاشعوري الخاص في الوقت نفسه . فالاستغراب في هذه الأمور أي تخلي العربي
 عن مقوماته هذه وتحليه بمقومات الأمم الغربية مؤد أولاً إلى الارتباك والتشوش
 وغدو أدواقنا وأخلاقنا وتقاليدنا وثقافتنا وآدابنا مرقمة متناقضة ، وثانياً إلى
 إضعاف مقوماتنا وبنيتنا ومقاومتنا القومية . ولن يؤدي في حال إلى استبدال تقليد
 بتقليد وذوق بذوق وروح بروح وأدب بأدب استبدالاً عابداً وشاملاً للأسباب
 والتعقيدات التي ذكرناها حتى ولا في الدين يعيشون أمداً طويلاً في الغرب على ما هو
 مشاهد محسوس .

ومما يؤسف له أن شيئاً من الاستغراب قد طرأ على بعض يثاقنا وأفرادنا

بتأثير ضعف الشعور بالذاتية القومية وناموس تقليد الاقوى والدعائيات والمساسس
والاغراء والمدارس الأجنبية والتبشيرية فصار ابناء هذه البيئات والافراد مرقعين
متناقضين في أذواقهم وميولهم وأخلاقهم وتقاليدهم وروحهم ، وقد اختلطت
فيها الطوائع الانكليزية والافرنسية والالمانية والاميركانية والطليانية اختلاطاً
ظاهرياً مزيفاً صاروا به اعجوبة واضحوكة وضعفت به مقوماتهم ومقاوماتهم القومية
دون ان يصبحوا غربيين .

فالواجب القومي يلي علينا التفريق بين الأمور وعدم الاندفاع مع الريح
كيفية هبت ، والواجب يلي على حكوماتنا ومؤسساتنا الثقافية والاجتماعية والأدبية
والعلمية والصحافية وعلى المدارس واساتذتها بنوع خالص الاهتمام لهذه الناحية
اهتماماً كبيراً والتضامن في التنبيه على ما في الاندفاع والاطلاق من الاخطار على
كياننا القومي ودرئها وسد الثغرات التي يمكن ان تنفذ منها كذلك ولو كانت
الآن ضيقة محدودة ، والدعوة الملحة الدائمة الى الاحتفاظ بطلائعنا القومي
الخالص فيما لنا من تقاليد وعادات وثقافة وأدب وفن وذوق وروح وخلق وسجايا
تما يمكن ان يذكر أمثالا منه كمواطن المروءة والأريحية والفيرة والنجدة
وتقاليد الضيافة والجوار وروابط الاسرة وحياة البيت والحياة واحتسام المرأة
وتحفظها وقوامه الرجل على البيت الخ الخ وتقوية المهمل الضعيف منها اذا كنا
نريد ان نكون أمة قوية محترمة بين أمة الأرض .

وإذا كان هناك ما يجب تعديله مما هو غير مستحب أو غير متنسق مع ظروف
الزمن وضروراته وليس في تعديله حرج ولا خسر فإن هذا يجب أن يجري بكل
احتياط وتؤدة وروية وأن يكون منسجماً ومتفقاً مع أرواحنا وسجاياتنا وما نحمله
أسول تقاليدنا الحسنة ولا يخرج عن ملهات منايعنا وأن لا يترك فوضى دون ما
ضابط ولا ناظم .

على أننا لا ننسى التخلية اذا قلنا بأن كثيراً مما يرى مكروهاً أو معوجاً مما
عندنا من عادات وأذواق وأفكار شخصية أو اجتماعية أو بنية لا يمت الى أصول

تقاليدنا ومناعبنا بسبب وثيق ، وهو طارىء علينا في أدوار المحطاسطين الأخيرة
وأثر من آثارها ، واننا اذا رجعنا الى مناعبنا ومباهاتنا وعصورنا الأولى
استطعنا أن نجد معيناً لا ينضب نستمد منه القوة والحياة ، كما أننا اذا تفقدنا
تقاليدنا وأخلاقنا وأذواقنا ومقوماتنا وآدابنا القومية وجدنا في أصولها ومقاصدها
كثيراً مما يجب أن نحية ونحتفظ به فخزين معتزين .

ونحب أن نستذكر أمراً : وهو أن مسائل ووسائل اللباس والاثاث والطعام
والتراب الغربية تكاد تصبح أمة ولم يعد لها طابع قومي خاص . فلست نرى
والحالة هذه بأساً في اقتباس ما ليس فيه مغايرة للمحظورات الدينية التي حظرت في
الحقيقة المصلحة الإنسانية الصحية والخلقية والاجتماعية ، بل نرى في ذلك
خيراً وفائدة من حيث أنها تكفل الانسجام والاتساق وبالتالي وحدة الزي
والوسائل مما فيه ازالة لأسباب ومظاهر التمايز بين طبقات الأمة . وقد ثبت أن
الزي الغربي أي السروال الضيق والسترة أو القميص أدعى الى سهولة الحركة
والعمل من القنز والجلاية والاردية والسراويل الفضفاضة وهذا فضلاً عن ما في
تنوع اللباس الذي يرتديه العرب من مشاهد التنافر والتباين . فمن المستحب
أن لم تقل من الضروري أخذ سكان المدن به لتوفير أسباب سهولة الحركة
والعمل ولتوحيد الزي وإزالة التباين والتنافر في مناظره . كذلك فإن تنوع
أشكال غطاء الرأس في مدننا يجعل مظاهر الناس متنافراً جداً حيث يستطيع
المراقب أن يعد عشرين نوعاً من الطربوش الى البدة الى القاووق الى القلق الى
الكوفية والمقال الى الكوفية اللف الى الطواقي والعائم المتنوعة الأشكال
والألوان . فمن المستحب إن لم تقل من الضروري أخذ سكان المدن بزي موحد .
ولا مانع من دين ولا تقليد ولا ذوق أن يكون هذا الزي شيئاً معدلاً عن القبعة
سهل الاستعمال رخيص الكلفة . ويعرف الجميع أن الطربوش الذي يغطي
العرب به رؤوسهم في المدن ليس عربياً في أصله . واقد أخذت قوات البوايس
والجيش تستعمل شكلاً من أشكال القبعة فجاء مقبولاً غير منكر . وليس من
مانع من تميم هذا الشكل بعد تبسيطه وتمدينه . ولقد أخذت المادة تجري على

كشف الرأس ولسنا نرى في هذا ما يخالف ديناً ولا ذوقاً ولا تقليداً. وقد خصصنا
المدن بالذكر لأن الكوفية والعقال والثوب الفضفاض والعباءة زينة جميل ونافع
في القرى والبادية .

— ٤ —

٤ — ومنها الشيوعية — وهذه الحركة قد أخذت تنشط في بلادنا قليلاً
أو كثيراً . والذي يتعم النظر في نشاط واتجاه القائمين عليها يرى أنها وسيلة من
وسائل الدعاية الروسية وآلة من آلاتها في الدرجة الأولى على ما قامت عليه
البراهين الخامسة في مختلف المناسبات فكل دعوة أو اتجاه أو موقف يصدر عن
روسية يردده الشيوعيون ولو كان متناقضاً متعارضاً .

فقد ظل زعماء روسية الشيوعية والمانيا النازية يتبادلون أشنع التهم وأقذع
الشتائم فكان الشيوعيون في بلادنا بل وفي كل مكان يرددون تهم زعماء روسية
وشتايمهم ويعتبرون النازية ألد الأعداء وأقبح القبائح مع أن الاشتراكية وفكرة
الدولة تجمع في الحقيقة بين النازيين والشيوعيين كما يجمع بينهم أسلوب الحكم
الديكتاتوري والحزب الواحد الذي كان قائماً في روسية والمانيا .

ولما عقد ميثاق الصداقة وعدم الاعتداء بين هتلر وستالين سنة ١٩٣٩ وسكتا
عن تبادل التهم والشتائم سكت الشيوعيون في بلادنا بل وفي كل مكان كذلك
عنها بل وأخذوا ينوّهون بما يجمع بين النازية والشيوعية من أساليب ونظم
ومبادئ ويرون أن من الواجب أن يكونوا جبهة متحدة ضد الرأسماليين ويقعدون
اصدقاء متعاونين في الدعاية والنشاط .

ولما هاجم هتلر بولونيا على أثر عقد هذا الميثاق لم ير زعماء روسية الشيوعية
بأساً في مشاركته في العدوان على استقلال هذه الدولة وحريتها وحياتها ، بل وبدوا
أن هذا كان من حملة ما كنتم من مواد الميثاق وغايته . ومع في هذا من تناقض صارخ

للدعوة حرية الشعوب واستقلالها التي يتبناها الشيوعيون لم ينشوا يلبث شقة ورأوا
الامر مشروعا ومعقولا .

وقد ظل زعماء روسية الشيوعية واميركا وانكلترا وغيرها من الدول الغربية
التي تدخل في مسعى الدول الرأسمالية في نكلر الشيوعية يتبادلون كذلك أشنع
الهم وأقذع الشائهم ، وكان الشيوعيون في بلادنا بل وفي كل مكان يرددون
صدى هم زعماء روسية وشائهم . فلما اشتبك الالمان والروس وتحالفت روسية
الشيوعية والدول الرأسمالية وانقلب الامر على عكسه ففدا الاصداقاء أعداء
والأعداء أصدقاء ، ردد الشيوعيون في بلادنا هذا الموقف أيضا فاقبلوا أعداء
ألداء النازيين الاشتراكيين وأصدقاء ألداء للرأسماليين وصاروا يتعاونون معهم في
مختلف الميادين .

ولما انتهت الحرب وأخذ الخلاف ينزق قرحه بين روسية والمسكر الغربي
على الشائهم والمآرب ثم تطور حتى أصبح أعداء مسافرا لم يلبث الشيوعيون في
بلادنا بل في كل مكان أن رددوا هذا الموقف فانتقلوا من جديد أعداء ألداء
لأصدقاء الأئمن ...

ولقد كانت روسية تتشدد كل التشدد في أمر التملك والحرازة والدين وتمنح
الى الاباحية والاحاد والشيوع في كل شيء ، فكان الشيوعيون في بلادنا
يدافعون عن كل ذلك ويعتبرونه مثالا عليا للحياة الصحيحة العلمية والواقعية
ويشيدون بها ويخفون بها وسيلة من وسائل دعوتهم ، فلما اصطدمت روسية
بواقع الحياة بعد التجارب وعدلت دستورها سنة ١٩٣٢ وحففت بعض الشيء
من بعض ما كانت تشدد فيه من ذلك لم يلبث الشيوعيون في بلادنا ان
راجعوا وأخذوا يبررون ما كان كأنه لم يكن عقائد ومبادئ ، لا تقبل هذا
التبدل السريع .

ولقد كانت الشيوعية الروسية تبشر بالانسانية العامة وتحارب الفكرة
المنصرية والفكرة القومية والحدود القومية والسياسة القومية والمناحج

الاستعمارية وما يتصل بذلك من مطامع ومصالح حتى لقد كانت لهم في سني ١٩١٩ و ١٩٢٠ و ١٩٢١ مواقف حميدة في هذا الصدد مع تركية الحديثة واران حيث القت ما كان يعت الى العهد القيصري من عقود وعبود وديون وامتيازات ، وكان الشيوعيون في بلادنا يرددون ذلك ويعدونه مثالا عليا للحياة الحرة السعيدة والانسانية . وفي الحرب وبعدها تطورت روسية في كل هذا تطورا عظيما ، فاخذت تسعى في تحقيق ما يمكن أن يسمى بالمطامع القومية العنصرية والاستعمارية القيصرية وتقف من ايران وتركيا عكس الموقف الذي وقفته قبل ، واتهم الروح القومية في شعوبها ، وترمي الى السيطرة على ما تقدر عليه من البلاد المجاورة لها من الشرق والغرب والجنوب ، وتسير فيما بسطت يدها عليه من بلاد على اسلوب شديد في التحكم والقمع والاستغلال . وكل هذا مخالف لما كانت تبشر به ، فلم يثبت الشيوعيون في بلادنا بينة شفة كأن ما كان لم يكن نقضا صارخا للمبادئ والمثل العليا التي يبشرون بها .

ومن نقائص الشيوعيين في بلادنا انهم يبشرون بالحريات العامة ويدعون الى محاربة التحكم والتسلط والاستبداد والكنيت ، ويحتجون اشد الاحتجاج على ما يبدر من الحكومات من مثل ذلك - ومعهم الحق - بينما يدافعون اشد الدفاع عن اسلوب الحكم في روسية الشيوعية وفيما انسط ظلالا عليه من دول اخرى وهو ديكتاتوري شديد ليس الفرد في نطاقه اكثر من قطعة من جهاز ، وحرية الرأي والفكر والنقد والتحرر والاجتماع بل والعمل تسكاد ان تكون معدومة ! وحجتهم انه حسن مستوى الحياة ومرافق البلاد والتعليم ووفر وسائل الصحة والعلم والعمل والحياة المعقولة لجاهل الشعب في المدن والريف قليلا او كثيرا ؛ كان القيم الانسانية الاخرى لا مكان لها في الحياة الانسانية ؛ وكان حرمان الفرد من حرية الفكر والعمل والحكم الديكتاتوري وتحكم الاقلية في الاغلبية - لأن المنتسبين للحزب الشيوعي لا يريدون عن واحد من عشرين من الشعب - ليس متناقضا مع ما يبشرون به . وبقطع النظر عما يمكن ان يكون من مبالغ في وصف ما تم من التحسين المادي ورفع مستوى المعيشة فان هذا مع ذلك ليس

منوطاً بهذا الأسلوب الديكتاتوري الذي يفقد فيه الفرد والجماعات حرياتهم الفكرية المتنوعة . وهو متوفر اليوم أحسن وأوسع بكثير مما يمكن ان يكون
 توفر في الدول الشيوعية في كثير من دول أوروبا وأميركا مع استمتاع الافراد والجماعات فيها بحرياتهم المتنوعة بأوسع مقياس . وقد يكون في المبادئ الاشتراكية
 ما هو صالح مفيد في صدد ازالة أو تخفيف الفروق الفاحشة في الثروة والحيازة
 والمعيشة وتوفير أسباب الحياة المعقولة لمجاهير الشعب . غير ان من الممكن ان تطبق
 بطريقة معتدلة مترنة لا يحرم الناس فيها من حرياتهم ولا يكونون فيها آلات صماء
 ولا يخضعون للحكم الديكتاتوري الشديد كما ثبت ذلك في انكلتره وغيرها .
 والمساعدات المالية الخارجية او بالأحرى الروسية تكاد تلمس فيما يقوم به
 الشيوعيون في بلادنا من حركات ترديدية لتوجيهات الشيوعية الروسية في مختلف
 المناسبات فهناك اشخاص عديدون ليس لهم مورد رزق وهم متفرغون لقيادة
 هذه الحركات ، وهناك اعمال عديدة من منشورات ومطبوعات وأماكن ورحلات
 واسفار وحفلات واجتماعات وتجمعات تحتاج الى المال الذي لا يمكن المنتسبين
 للشيوعية في بلادنا ان يقدموه .

ومع ما يَحتمل او يجزم به بان بعض الذين يقودون هذه الحركات اصحاب
 عقيدة وإيمان بالشيوعية فإن هناك فئات عديدة تندمج في هذه الحركة ولا تفهم من
 مبادئها وأهدافها الا القشور والتوافه ، ولا بد من انها تنفع مادياً من الحركة
 التي تندمج فيها من آن لآخر . وليس في امكان المنتسبين للشيوعية او قوادها
 المؤمنين ان يضحوا هذه المنافع المادية التي تربط هذه الفئات بالحركة الشيوعية
 من جيورهم .

يضاف الى هذا ما يبدو ممن يتسمون بسمعة الشيوعية في بلادنا من استهتار
 بالغ بالقوميات والتقاليد القومية والدينية والاجتماعية ومن الجنوح الى الالحاد
 والاباحية وبث الفوضى والتحلل من الواجبات والتكاليف والتبعات العامة ،
 وما يندمج كذلك في الدعوة الشيوعية من محاربة الفلك والحيازة والادخار
 والتوارث ومن تسخير الفرد للدولة تسخييراً شديداً يكاد يفقده شخصيته وحرية

وهو يفقده أياها فعلا ما فيه محاولة غير مجدية لتعديل طبائع البشر بل عراثرهم ،
واهتدار اقواهم ومواهبهم وكراماتهم .

وقد اخذ الذين يقودون النشاط الشيوعي يعررون بالفتيان الذين لم يبلغوا
من النضج ما يغيزون به بين الغث والسمين ، وينفذون الى عواطفهم ويستغلون
عظالة عاطفيهم وحساسية متحمسينهم في حركاتهم ونشاطهم ودعوتهم .

وفي كل هذا ما فيه من ضرر كبير وشر مستطير من حيث انه يجعل ثبات
من امتنا غير مندمجة في اهداف امتهم القومية ومطامعها ومصالحها وتقاليدها
ومقوماتها ، ومتواشقة مع الاجنبي تدير في ركابه فيما يراه من سياسة والحجاء
ويهدف اليه من مطامع ومطامع ومآرب ، ومن حيث انه يفتح ثغرة في صفوف
امتنا ويثير البلبلة في افكارها ويضعف بنيتها ومقاومتها .

وتحارب الحكومات العربية النشاط الشيوعي بالقمع والمطاردة والمصادرة
والسجون . والذي نتقده ان هذا الاسلوب غير كاف بل غير مجد ، بدليل ان
الحكومات العربية تجري عليه منذ سنين دون ما نتيجة شافية ، وفي كل مناسبة
تبدو آثار ذلك النشاط في مختلف البلاد العربية باستمرار وبإصرار لانه يلتقي
العمى والمدد والتوجيه من الخارج باستمرار وبراعة ، ولأن من المحتمل بل من
المؤكد ان يكون بعض القائمين على هذا النشاط من العرب قد غدوا مؤمنين
بالشيوعية وغدت عقيدة فيهم ، والقمع ان يزيد ايمان المؤمنين وعقائد المعتقدين الا
شدة وقوة .

والى هذا فان في بلادنا استقطابا شديدا في الثروة والبذخ والتبذير والرفاه
والنفوذ الاقتصادي والاسروي والمالي في اقلية ضئيلة واستقطابا شديدا في الفقر
والادقاع والحرمان في الاكثية الكبرى ، كما أن فيها كثيرا من مظاهر الفساد
والبؤس والقوضى وسوء الجهاز الحكومي واسلوب الحكم . وفي كل هذا مادة
دسمة يستمد منها دعاة الشيوعية قوة كما أن فيه سندا قويا من الحقيقة والواقع
يستندون اليه في دعوتهم ونشاطهم .

والصلاح المهدي في رأينا هو معالجة الاستقطاب الشديد ومقتضى الفساد
والسوء بحيث تحرم الشيوعية من سندها ومن قوتها وثمرة نفوذها . وذلك بالدعوة
الى منهج يرمي :

١ - الى اصلاح جهاز الحكم وروحه وأسلوبه اصلاحا جديدا .

٢ - الى محاربة الفساد وسوء الاستغلال محاربة شديدة .

٣ - الى تحديد ملكية الاراضي واستهلاك ما يزيد عن الحد الأدنى الذي
يجب أن لا يزيد عن الكفاية المعقولة ، وتوزيع أراضي الدولة والأراضي المستملكة
على الذين لا أرض لهم أو لا أرض لهم تكفيهم وهم الجمهور الأعظم من الفلاحين
ومساعدتهم على التأسيس والاستثمار بشروط سهلة .

٤ - الى تحديد ملكية العقار واستهلاك ما يزيد عن الحد الأعلى الذي يجب
كذلك أن لا يزيد عن الكفاية المعقولة . وتوزيع العقارات المستملكة على المحرومين
والحناجين بشروط سهلة .

٥ - الى السير على سياسة الضرائب التصاعدية بحيث يؤخذ من أصحاب
الأرباح الكبيرة النسب الكبيرة التي يمكن أن تساعد على تغذية المشاريع
والاجتماعية العامة المتنوعة .

٦ - الى فرض ضرائب على اثروات ورؤس الأموال متناسبة مع الدرجات
والمقادير وكبيرة على ما هو كبير منها حيث تساعد على تغذية المشاريع
والاجتماعية العامة المتنوعة .

٧ - الى فرض ضرائب على التراكمت متناسبة مع الدرجات والمقادير وكبيرة
على ما هو كبير منها حيث تساعد كذلك على تغذية المشاريع
والاجتماعية العامة .

٨ - الى سيطرة الدولة على المرافق والمنشآت والمشاريع والصناعات
الكبيرة التي لها أساس بمصالح الجمهور وحياته وتأمينها ومنع احتسارها على
شروط ان يكون ذلك وسيلة الى تخفيف اتمكاليات والاعباء المباشرة عن الجمهور .

٩ - الى وضع القوانين الكفيلة بحماية العمال والفلاحين من أصحاب الأعمال والأُملاك والحائلة دون اضطهادهم وإرهاقهم والضامنة لهم الحياة المعقولة .

١٠ - الى توفير أسباب العلم والصحة والعلاج والحياة المعقولة لكل الطبقات وسد عوز الفقراء العاجزين عن الكسب من أيتام وشيوخ ونساء وذوي عاهات ومرضى وإيجاد الملاجئ لهم .

١١ - الى استغلال امكانيات وثروات البلاد على أوسع درجة ممكنة لتوفير العمل والكسب والحياة المعقولة لكل الفئات .

وهذا المنهج الذي سوف نطرحه عواضيمه بأسباب أوسع في فصول أخرى من الكتاب هو وحده الكفيل بالقضاء على النشاط الشيوعي والدعوة الشيوعية وإزالة الفروق العظيمة القائمة بين طبقات الشعب . وهو متسق مع مناهجنا المقدسة بحيث تمدّه بقوة تأييدية تجعل الناس يتقبلونه برضى نفس غير متبرمين ولا مرغومين . وتنفيذه واجب علينا سواء أكانت هناك دعوة وحركة شيوعية أم لم تكن . ففي القرآن والسنة النبوية والراشدية نصوص وتلقينات ومبادئ عديدة مؤيدة تسوغ القول ان الدين الاسلامي قد جعل في أموال الأغنياء حقاً — والكلمة تشمل المال المقول وغير المقول — للفقراء والمحتاجين ، وأنه نهى على أنه لا يجب ان يكون المال دولة بين الأغنياء وهم الفئة القليلة ، وأنه جعل الدولة مسؤولة عن سد عوز الفقراء والعاجزين وتيسير الحياة المعقولة لهم ، ورتب لهم الانصبة في ما يدخل خزائنها من موارد وتجييه من ضرائب ، وجعل للسلطان سلطة على أخذ المال من الأغنياء ، وسد عوز الفقراء والمحتاجين ، وأنه جعل النصيحة والامانة والاخلاص واقامة القسط بين الناس وضمان العدل الاجتماعي والحرية والمساواة والأخوة بينهم دون تمايز ولا تحكيم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ومنع الفواحش ما ظهر منها وما بطن ، واللين والبر والتعاون على البر والتقوى ، والتواصي بالصبر والمرحمة والحق ، ومقاومة البغاء بكل قوة ونصحية من الأسس التي يقوم عليها السلطان والمجتمع في الدولة الاسلامية .

فمن الواجب على كل واع وقادر من رجال الأمة وهيئاتها وصحافتها وأساتذتها وخطبائها وكتابها أن يشتدوا في الدعوة اليه بدون كلل ولا توان .

(٥) مشقة ميوعة الاخضرى في الناضجة

وضعف التربية البريئة

- ١ -

لقد ذكرنا في مناسبة سابقة ما كثرت الشكوى منه من ميوعة انطلق في
النشء الجديد . وهذه مشكلة من المشاكل الخطيرة التي لها أثر عظيم في حاضر
الامة العربية ومستقبلها والتي قد تكون من أشد الثرات في سبيل
تقدمها وتكاملها .

فقد أخذت الناشئة تشتد جنوحاً الى اللهو والعبث واللذائذ ونعومة الحياة
ورفاهيتها واستغراقاً فيها بما لا يقاس عليه ما كان عند الجيل السابق . وفي هذا
ما فيه من أسباب إضعاف الرجولة والمقاومة والجِد والجَلد فيها . وقد ضعف
احترام الواجبات والتقاليد فيها كثيراً ولم تعد تبالي كثيراً بحُرمة الآباء وروابط
الأسرة وقداسة الأعراض ولا تستحي من المواقف الممجوجة والتصرفات المخجلة
خلاقاً لذلك الجيل ؛ وفي هذا ما فيه من أسباب الانحلال والاباحية . ولم تعد
تتحمل أو تريد أن تتحمل ما كان يتحمله ذلك الجيل من شغل وتعب وجد
ودأب وحرمان من الكماليات واللذائذ . ودأبها وجلدها ضعيفان جداً ، ولا
تكاد تلقى عشرة أو تلتقى صدمة في طريقة حتى تنبهر بالحياة وتفتر منها العزيمة ،
وبكاد يكون قصارى همها حياة هينة لينة ناعمة تلي لها فيها كل رغبة ولا يقيدنها
فيها أي قيد .

وهذه الأخلاق أكثر ما تكون في الناشئة المثقفة قليلاً أو كثيراً ونطاقها آخذ بالانساع بنسبة اتساع نطاق التعليم وهذا مما يزيد المشكلة خطورة وخطراً .

ومما لا ريب فيه أن لتطور الزمن أثراً عظيماً في هذه المشكلة . فالمدرسة الحديثة يدرت كثيراً من الوسائل التي لم تكن قبل في المواصلات والمشااهدة والطباعة والصحافة وأساليب الحياة ولهوها وعيشها بنوع خاص . وقد أكثر تداول المجالات والكتب المأجنة التي تقص حقائق أو خيالات ما في الغرب من ارتكاسات أخلاقية واجتماعية وأساليب الحياة الناعمة الانثيقة . وقد عمدت دور السينما التي تعرض كثيراً من المشاهد والروايات الماثلة . فأدى كل هذا الى اشتداد رغبة النشء الجديد في المحاكاة والتأسي والظفر بالحياة الناعمة الرنية ولذاتها على أهون سبيل ، والتذمر من الجِد والجُلْد والتقاليد والقيود التي تحول دون هذه الرغبة والجنوح الى التخلل منها ، والانصراف عن الكتب الأخلاقية والاجتماعية والأدبية الرفيعة ونصائح الآباء والحكماء والعلماء وتوجيهاتهم .

ونعتقد أن المناهج والتنظيمات المدرسية أثراً كبيراً في هذه المشكلة أيضاً . فقد كادت تخلو من أسباب الحصانة منها ، بل إن فيها ما يكاد يفرغ بها . ومن أوجب الواجبات أن تشتد الدعوة وتبذل الجهود في اصلاح الخلل وتلافي النقص واعداد أسباب الحصانة قبل تفاقم الخطر الماثل .

- ٢ -

وطبيعي أن من السبل المهمة لتلافي الخطأ هو الاهتمام لاصلاح المناهج والتنظيمات المدرسية وتدعيمها بما يساعد على الحصانة والقوة الخلقية نظرياً وعملياً . ويتبادر لنا أن من أهم أسباب ضعف الحصانة هو ضعف الوازع الديني في النشء الجديد وبالتالي هو ضعف التربية الدينية في مدارسنا . وقد كان ذلك سبب ضعف الحصانة أو انهيارها في الغرب .

فمن شأن التربية الدينية أن تقوي نوازع الخير والحق والعدل والاحسان والفضيلة والقيام بالواجب ومراقبة النفس والاعتدال واحترام حقوق الغير وماله وعرضه والصبر والصدق والجود والتضحية والحياء والتعاون على البر والتقوى والتواد والترحم والامتناع بالمعروف والنهي عن المنكر في المرء وأن توجد فيه حصانة من الارتكاس في الآثام والمنكرات والشهوات وأسباب الفتنة والريب والزيف واستحلال المحرمات ، وأن تشد فيه عزمة الدفاع عن حريته ووطنه والرغبة في أن يكون عزيزاً كريماً ، وأن تصرفه عن الهوى والعبث والاستهتار وتحقيق المكرب من أهوت سبيل إلى الجود والتعق والتقوى والتحلي بفضيلة الوقار والجود .

ولحسن الحظ ان الزمام الذي قلت من يد الغرب بالنسبة لهذه السبيل المهمة لم يفلت بعد من يد الشرق . فان الروح الدينية مازالت قوية عامة ، ومازال الناس مندجحين فيها اندماجاً شديداً بقطع النظر عما يمكن أن يورث من ملاحظات على شكل هذا الاندماج وتناججه ، وهذا مما يسر لنا في فهم زمام أمور العرب وتعلم ناشئتهم ويدركون ما يحقد بأنهم من خطر أكيد من جراء تلك الميوعة أن يتلافوا الأمر بسهولة ، وأن يضعوا من المناهج والتنظيمات ما يكفل الانتفاع من التربية الدينية القوية .

لذلك نعتقد أن من الواجب أن تشدد الدعوة إلى الاهتمام بهذه التربية حتى تؤدي أكلها قبل استفحال الخطر وافلات الزمام إلى جانب الاهتمام للتربية الاخلاقية والاجتماعية التنظيمية .

- ٣ -

وعلى اعتبار أن كثرة العرب الساحقة في مختلف أقطارهم مسلمة فإن من الواجب الاهتمام لتنشئة النشء على الهدى القرآني وبث تماليعه فيهم في نطاق منهج يخلو من الحشو والتعقيد ويستمد من الاصل الصافي السني ، ويهتم بالواجبات الدينية العملية التي تذكر بالله دوماً وتجعل المرء رقيقاً بنفسه على نفسه ، بل وأن

من الواجب أن يشمل هذا الاهتمام مختلف أوساط الأمة حتى تقوى تلك
النوازع وتشتد تلك الحصانة في سواد الشعب ، وأن تتخذ التدابير الكفيلة
بتخريج دعاة بارعين ووعاظ فاهمين وأساتذة زيرين للقيام بهذه المهمة في المدارس
والمساجد على السواء .

والنقطة الأخيرة ذات خطورة خاصة تستلزم انتباهاً واهتماماً عظيمين . فإن
كثيراً من الخرافات والمفارقات والأسرائليات والأكاذيب قد امتزجت في العلوم
الدينية وملأت كتب التفسير والدين ، وهي سبب معظم ما يملأ أذهان المسلمين
من أوهام وأباطيل وأفكار سخيفة لا تمت إلى أصل الدين وروحه بسبب ، كما
هي سبب كثير مما هم عليه من عادات وتقاليد وسبب غدو الفكرة الدينية عقيمة
المدى والمعنى السامي قاصرة على المظاهر والأشكال الآلية واللفظية ؛ وكل
هذا في الوقت ذاته عثرات في طريق التطور الفكري والاجتماعي في الأمة
العربية . وقد آن للمسلمين أن يتخلصوا منها بتأني دينهم من منابعه الصافية
بواسطة زمرة مختصة تخلصت منها وثقت الإسلام على حقيقته وتسربت روحه
وتلقياته وتوجيهاته السامية ، وأن تكتب عنها أيدي وألسنة الجاهلين والجامدين
من مدعي العلم الديني الذين لا يعرفون منه إلا قسوراً مشوّهة ولم ينفذوا إلى روحه
الصافية القوية .

ونحن على يقين تام بأنه إذا اهتم لهذه الناحية الاهتمام القوي الصادق أمكن
نشئة ناشئة صالحة لامبوعة ولا الخلال في أخلاقها وروحها ، محصنة من الآثام
والمنكرات والوبقات والارتكاس فيها ، مستعدة للقيام بواجباتها نحو الله
والوطن والناس قياماً حسناً ، متشعبة بفكرة الحق والعدل والواجب والبر
والصدق والتضحية ، وبالتالي أمكن بناء أمة جديدة قوية الروح والأخلاق
والقلب والوطنية والصبر والتضحية ، مستطيمة أن تنهض بنفسها ووطنها نهوضاً
قوياً حتى تصل إلى أعلى منامات الكرامة والقوة والمجد والحضارة . والمهم
جداً هو الإسراع وعدم إضاعة الوقت وإفلات الزمام حتى لا نندم حيث
لا ينفع الندم .

واقـد كان القرآن هـدى الامة العربية الذي اهتـدت به في صدر الاسلام الاول واستمدت منه ايمانها ونشاطها وحيويتها فـسكان لها تحت رايته تلك الصورة الرائعة من قوة في السلطان وبسطة في الارض وحضارة ساطعة . وسيظل اقوى مؤثر في حياتها لانه كتاب دين كثرتها الساحقة ، ولانه اجتوى من الائنس والقواعد والمبادئ والتلقينات مامن شأنه ان ينهض بها الى ذروة السـكـال في كل مجال من مجالات الحياة ويوجهها في احسن السبل وأشرفها وأزهرها وانما سناء وصفاء وكالاً وحفاً ، ولأن الدين الاسلامي الذي يمثله ليس ديناً روحياً أو أخلاقياً أو عنصرياً أو اقليمياً وحسب كما هو حال الديانات الاخرى أو جلبها بل هو دين عقيدة وسياسة ونظام وعمل وواقع معاً ثم هو دين انسانية كاملة وأخاء عام سياسي واجتماعي يدخل في نطاقه جميع الناس . فمن الحزبي بالائمة العربية بل انها لاخرى الناس جميعا ان يكون هـداها في حياتها الجديدة .

ولقد كانت حركة الاخوان المسلمين تجربة عظيمة النجاح ، كشفت عن رغبة شديدة في المسلمين في الاندماج في الدعوة الى الهدى القرآني . ولقد استجيبت دعوتها في القطرين المصري والشامي بنوع خاص بمقياس واسع وانصوى تحت لوائها عشرات ألوف المسلمين من مختلف الاوساط وفيهم عدد عظيم من المثقفين وذوي المراكز الاجتماعية المرموقة ، فبـدت حركة مباركة في حقيقتها ومظهرها ومستقبلها بما كان من انفتاح الازهان والاسماع لهذه الدعوة الفاضلة وبما كان من نشوء جماعة كبيرة تنمو يوماً بعد يوم قوية في ايمانها وأخلاقها موازنة بين حفظ الدنيا وحفظ الآخرة وبالتالي متحلية بأخلاق القرآن الكريمة . وقد تعرضت المحن فصمدت لها ، ودعتها الظروف للتحديات المتنوعة بالمال والنفس فبذلتها ، وسنحت لها فرصة الجهاد في فلسطين فخفت اليها اعداداً وامداداً وجهاداً شخصياً فغضرت أحسن الأمثال وأقلمت اقوى البراهين على ما يمكن ان تؤنيه الدعوة والتمرية الدينية من ثمرات ناضجة اذا تولاهـا دعاة أقوياء الخلق والايان واسمو الاقنى قد فهموا معنى الدين ومداه وتسر بوامباده القرآن والسيرة النبوية وهو ما يـسر لهذه الجماعة فـسكان من اهم اسباب نجاح الدعوة . وكل ما نأخذـه عليهم خلطهم

الدعوة بفكرة الدولة قبل الآن حيث اغتروا بالعدد الذي انضوى تحت لواء دعوتهم وظنوا انه آن لهم أن يصلوا للوصول الى الحكم فأنار ذلك روح النزاع والمنافسة ، ونبه اعداء الفكرة من ملحدين ومستعربين ومتربصين فأخذوا يفسدون عليهم ويمكرون بهم ويحاربونهم بالسر والعلن ويشغلونهم عن دعوتهم . وكم كنا نتمنى - ولا زال نتمنى ولم يفت الوقت - ان يظلوا متفرغين لهذه الدعوة والعناية بيلونها الى اعماق القلوب (١) في اوسع افق حتى تشمل اكبر عدد من الأمة العربية ؛ حيث يؤدي هذا الى انقلاب أخلاقي واجتماعي وسياسي عظيم قد تعيد نتاج عظمة الاسلام الاولى ونوره الساحل الوهاج .

- ٤ -

وقد يكون موضوع الدعوة الى الهدى القرآني والتربية الدينية على اساسه موضع أخذ ورد من نواح عديدة ، حيث يمكن ان يقول قائلون :

١ - ان فيها دعوة الى الرجعة الى الوراء اربعة عشر قرنا بينما العالم يطير الى الأمام .

٢ - ان فيها تناسيا لما عليه المسلمون وحكوماتهم من الفوضى والجهالة والشذوذ والتناحر والارتكاس مع أن الملوك والخلفاء والأمراء والحكام والوزراء والعلماء كانوا مسلمين وكان القرآن بين ايديهم . وكذلك الحال في سائر المسلمين الان مع ان صلتهم بالقرآن غير منقطعة .

٣ - ان فيها ابقاء للأمة العربية ضمن الاطار الشرقي القديم الضيق والتعاليم التي أفقدتها قدسيها الدينية المرونة والحركة وقابلية التطور في حين يجب ان تشد الدعوة الى الانطلاق التام واعتناق أساليب الغرب في جميع مظاهر الحياة لانها هي الافق الاوسع ولائها هي القائمة على العلم والتجربة والضمانة لحرية الفكر وانطلاق العقل والتجديد المستمر دون ما عائق من دين وعثرة من تقليد

(١) نسجل لحسن الحفظ ان هذا مما تبطله زعماء الحركة واخذوا يعملون في اتجاهه .

قديم ولائى الجمود امامها اتما يؤدي الى الانكسار والتخللان والبقاء في حالة الضعف والذل والهوان وتحت وطأة العرب وسيطرته واستغلاله .

٤ - انها تتعارض مع المصالح القومية العربية والوحدة القومية العربية والفكرة العربية القومية في أصلها حيث يعتبر الاسلام ذلك دعوة الى العصبية وبشجبها ، وحيث فتح الاسلام الباب لغير العرب فدخلوا فيه فكادوا يتلعون العرب واستغلوا المساواة التي منحها لهم الاسلام فدحروهم وتسلطوا عليهم في الكيان العام الذي تألف من العرب وغير العرب دون أن يجد العرب في ذلك غضاظة وكبير أمر فاذى الى تمزقهم وهوانهم .
ويمكن أن يقال جواباً على هذه الاقوال :

١ - ليس في الدعوة الى القرآن رجعة ولا قهري بل ان فيها لتجديداً وثورة اصلاحية ، وان مافي القرآن من سعة في الافق ومرونة في التطبيق وسمو في الامس والاهداف ونفوذ في التوجيه والتلقين حينما يدرس بثرو وامعان ما لا يبقى محلا للمراء وما يضمن الامة التي تميز عليه كل اسباب التقدم والقوة .

٢ - انه لا يمكن لأني كان ان يدعي صادقا ان اي عصر استطاع ان يتفلسف من تأثير المثل العليا الاخلاقية والاجتماعية والانسانية التي ألهمتها الاديان والفلسفة والحكمة منذ القديم ، وان مما لا يمكن لأحد ان ينكره ان ما عند العرب اليوم من آداب وافكار ونظريات ومثل ونظم وتقالييد يرجع كثير منه الى ذلك القديم . فالدعوة الى استلزام القديم لا يمكن ان تكون دائماً دعوة الى الرجعة والقهري مادام في هذا القديم من المثل العليا ما يساعد على افضل وسائل الحياة ومظاهرها .

٣ - ان من الحقائق التي لا يمكن الماراة فيها أن النظام شيء وتطبيقه شيء آخر وان عدم تطبيق نظام ما لا ينتج عنه دائماً عدم صلاح ذلك النظام وان شذوذ امة او دولة في ظرف ما عن الطريق القويم لا يتأتى دائماً عن عدم صلاح ما عندها وان هذا ليس محصوراً في بلد دون بلد وزمن دون زمن . ومع ذلك فلا ينكر الا مكابر ما سجله التاريخ للخلفاء الراشدين والسابقين الأولين والذين

اتبعوهم بأحسن الذين فهموا القرآن ومبادئه ومبادئه فصاروا على هداه وهدى الرسول الكريم الذي جاء به فضربوا أروع الأمثلة على التجرد والزهد والتضحية واقامة العدل والتزام الحق والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعاون على البر والتقوى والدعوة الى الخير وفعله واحترام العهد واستطاعوا ان يدكوا معالم الامبراطوريات العظمى وان يقيموا على انقاضها دولة اسلامية حرة عادلة نزيهة لا بغى فيها ولا ظلم ولا خوف فيها ولا هضم ، ثم ما سجله التاريخ كذلك لكثير من الدول الاسلامية في مشارق الارض ومقاربها من مدينة شاذلي البنيان ساطعة السناء قوية السلطان في ظل خلفاء وملوك وامراء ووزراء ثقفوا القرآن ونشبعوا بروحه وتمايمه ، وتمتعت الرعية في عهدهم بالعدل والامن والحرية والرفاه ، وازدهرت البلاد بعلم المعمران الباذخ والنشاط العلمي والاقتصادي والزراعي والتجاري والصناعي العظيم . وان ما كان من صور مضادة لهذه الصورة الوضاعة انما كان بسبب الجهل والانانية وانقطاع الصلة الروحية بين اصحابها وبين تعاليم القرآن وتلقيناته .

٤ - ان جذور الدين متأصلة في الناس الى درجة لا يمكن لأي قوة او دعوة ان تقتلعها منهم ، وان وجود واحد في كل خمسين الفاً او مئة الف يفكر بهذا التفكير الذي يفكر به القائلون لا يعني ان من الممكن ان يتفقت الناس من تأثير الدين ونفوذه . وما دام ان القرآن الذي هو كتاب المسلمين المقدس عاملة وكتاب الكثرة الساحقة من العرب خاصة بين ايديهم يتلونه صباح مساء ويعتقدون انه نبراسهم وفيه من الاحكام والمبادئ والحدود ما يتناول حياتهم الفردية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية مما لا يقاس به أي كتاب ديني آخر فان صلتهم به وتأثيره فيهم لا يمكن ان ينقطع بها تقلبت الظروف وتطورت الاحوال . وما دام ان في هذه الاحكام والمبادئ والحدود من المرونة وسعة الأفق والسعوا والاحاطة ما لا يكابر فيه الا مكابر فان من الخير كل الخير ان تشتد الدعوة الى تفهم القرآن والاستبصار به والاستعداد منه وان من الشر

ان يترك السواد الاعظم من الامة التي تدين به وتقدس في غفلة وجهل وغماء عما فيه يستغلهم المستغلون ويحكم فيه الجاحدون .

٥ — ان الدعوة الى الهدى القرآني لا يمكن ان تكون سبباً في أي جمود وتوقف لائن في ملهاته ومبادئه وأحكامه ما يبيح اقتباس كل صالح نافع من أي كان ويقطع النظر عن جدته وقدمه ، وفيه ما يأمر ببند كل ضار فاسد منها كان أصله وقدمه ، وفيه ما يدعو بكل قوة الى الاخذ بأحسن الوسائل والاستعداد في كل ناحية من نواحي الحياة واثارة الحمم وإيقاظ النشاط في الناس ، وفيه ما يفتح الطريق واسعاً ليقوم ببيان الائمة وكيانها على التفكير الحر والعلم الصحيح دون مانع ولا عثرة .

٦ — ان المادبة والتفكير المادي قد طغى على المدنية الغربية حتى يكاد يكون طامعاً عاماً لها وحتى كاد يعطل في الناس شعور الرحمة والبر والتسامح والوثام والاخوة الانسانية والحق والشرف والامانة واحترام الغير وحتى كاد يميت فيهم — او هو امانته فعلاً — الضمير الانساني والحياء الانساني اللذين من طبيعتهما ان يمدد الانسان بنوازع الخير والبر والحق والاحسان والخسنة والتعفف والامانة والاعتدال ، وحتى صار وجه الحياة الانسانية كالحلأ وصارت الحياة حجيماً لا يطاق لأن ميزانها الوحيد صار هو المادة وما يلزمه من الحاد بشع وقوة وتناحر وانانية وجشع وضعف شعور واباحية واستغراق في الشهوات والفواحش وتحلل من كل رابطة من روابط التقاليد والآداب الكريمة والعواطف الانسانية ، وتحليل كل وسيلة في سبيل تحقيق نزوات النفوس ومطامعها ورغباتها . وقد انفق التوازن بالمرّة تقريباً بين القلب والعقل والمأطفة والعلم مما اقض مضاجع العلماء والباحثين من الغربيين انفسهم . فن الحق والخير ان نحسن نأشئنا وامتنا من هذه الالوثة المهلكة . ومن الشر والخطر ان يسترسل المثقفون منا في الدعوة الى الانسياق في تيار الغرب المادي بدون تبصر ولا روية وبدون حسبان للعواقب ، ومن الحق والخير ان نعمل جميعاً على اعادة التوازن المفقود والانتفاع بعثرات الغرب وعيوبه

وتغذية ضمائرنا بما يقوي فيها نوازع الخير والبر والحق والعدل والعكرامة
والأرتزان والحياء . وكل ذلك كفيل به الدعوة الى الهدى القرآن في فيما نعتقد .

٧ - انه ليس لاحد ان ينكر ان للاجداد التاريخية اثرأ عظيماً في حياة
الامم وقوة حيويتها ومقاومتها لصروف الدهر وموجع ضرباته ، وان الاسلام الذي
جاء به الرسول العربي والقرآن العربي الذي نزل على هذا الرسول الكريم فخلدت
به اللغة العربية وتقدس وتعالى له الاثر العظيم في حياة البشر وحضارتهم
وتوجيههم نحو المثل العليا هو اعظم الاجداد التي تستطيع الامة العربية ان تفخر
بها وتمتدح وان في استمداده في تحريك الامة العربية وبعثها من جديد اعظم
القوائد والوسائل واقواها ، وان في محاولة اهلاك ذلك والتهوين منه أو تجاهله
جحوداً منكراً لتلك الاجداد وتعطيلاً جانبياً لهذه الحوافز والوسائل والقوائد .

٨ - ان القرآن قد خلد حق العرب وشأنيهم في الكيان الاسلامي في
آيات عديدة منها ما هو صريح ومنها ما هو ضمني . وانه ليس من تعارض بين الدعوة
اليه والدعوة الى القومية العربية والمجد العربي والفكرة العربية ولا تدخل هذه
الدعوة في تناول ما هو مشجوب من الدعوة الى العصبية لان هذا الشجب انما
كان موجهاً الى العصبية القبلية التي كانت تقوم عليها تقاليد العرب وجاهليتهم والتي
كانت تحول دون نكتل العرب ووحدة القومية مما كان من غايات الدعوة النبوية
البارزة ومما هو معلوم لسكل من درس الدعوة السيرة النبوية ومما كان الوسيلة
المطلبي الى نشر الاسلام في مشارق الارض ومغاربها ؛ وتري هذه الشأنية موطدة
في الآيات القرآنية التالية :

١ - وكذلك جعلناكم امة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس ويكون
الرسول عليكم شهيداً . البقرة ١٤٣ .

٢ - واجهدوا في الله حق جهاده هو اجتنبوا وما جعل عليكم في الدين من
حرج ملة ابراهيم هو سماًكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول عليكم
شهيداً عليكم وتكونوا شهداء على الناس ... الحج . الحج ٧٨ .

٣ — ولتكن منكم امة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . واولئك هم المفلحون . آل عمران ١٠٤ .

٤ — كنتم خير امة اخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله . آل عمران ١١٠ .

٥ — وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفهم في الارض .
النور ٥٥

٦ — وانه لذكر لك ولقومك وسوف تسألون . الزخرف ٤٣ .

٩ — ان ما توه به القرآن وخلده من شأن العرب في الكيانات الاسلامي وتقديس اللغة العربية بسبب كونها لغة القرآن وتحمله لهم واجب الدعوة اليه وتقرير مسئوليتهم عن ذلك مما انطوى في الآيات التي نقلناها صراحة او تلتها قد جعل للعرب شأنًا عظيمًا في العالم الاسلامي من الممكن ان يعود عليهم منه اعظم المنافع والمفاخر المادية والمعنوية والسياسية والاجتماعية ، فمن الشر والخطر والحق ان تغفل هذا المعدن الغني وان لا ننتفع به الى اقصى حدود الانتفاع لصالح العرب وصالح المسلمين وصالح الانسانية معاً . قوة الفكرة الاسلامية قوتهم ومجدها مجدهم واعتلاؤها اغتلاؤهم ، وعليهم من اجل ذلك الرجوع بالاسلام في معناه ومبناه واهدافه الى اصله الوضاء الصافي النقي وهو القرآن وتحلية مبادئه وبها ورفع ما تراكم عليه من طبقات قرون الانحطاط والجهل والتغلب التي غطت محاسنه وغبرت معاملته ، وكان من جرائها في كثير من الظروف من الصور والاشكال والمفاهيمات ما لا يمت الى ذلك الاصل بسبب صادق ، ونشره للعالم نوراً وهادياً ومناراً هادياً فيه كل مبادئ الخير والحق والعدل والاخاء والمساواة والحرية والبر والكرامة والتضامن والمرونة لتبعية والانسانية جماء والوقوف في وجه كل محاولة لتشويهه وتعظيمه وقيام المشاهد الروحية والدينية والتعبية المتنافضة معه .

وتخيل لنا بل نكاد نكون على مثل اليقين ان الذين يقولون تلك الاقوال قد اخذوا باقوال ودعايات المغرضين من مبشرين ومستعمرين ومستشرقين وكاثوليين

وما كرين ودسائس وهدامين وملحدين من جهة . ولم يندرسوا من جهة أخرى القرآن دراسة كافية واكتفوا بما قرأوه من نظريات علماء الغرب وتوجيهاتهم من كتب التاريخ الغربي وأحداثه وصوره بوجه عام ومن كتب التاريخ العربي الإسلامي بعد العهود العربية وصوره وأحداثه بصورة خاصة وفيها كثير من الخلط والتشويش والتشويه .

ومما يمكن أن يوجه إلى الدعوة القرآنية من نقد وتحفظ أن في كل بلد عربي فريقياً عربياً أو مستعرباً نصرانياً وأن الفكرة العربية وحدها مجردة عن تلك الصبغة هي التي يجب أن تكون ناطقة الدولة حتى ينسكب الجميع في بوتقتها ، وأن من المحتمل أن تؤدي تلك الدعوة إلى إثارة العصبية الطائفية أو تغلب الصبغة الإسلامية في الدولة مما يتناقض مع ما ندعو إليه من وجوب شمول الفكرة العربية القومية والصبغة القومية العربية جميع العرب مسلمهم ونصاراهم على السواء ومن بذل الجهد في إزالة النعرة الطائفية في الملل والنحل العربية .

ولا نرى هذا وارداً وصحيحاً . فليس من تعارض على ما ذكرناه قبل بين الفكرة العربية والدعوة القرآنية . وقد شرعنا الأسباب التي نجعلنا نرى وجوب بث الروح العربية الصافية والمبادئ الدينية الكريمة في نفوس الناشئة العربية مسلمة ونصرانية وفوائدها . والدعوة القرآنية ليست في الحقيقة إلا من هذا القبيل وإذا كانت تصطبغ بصبغة الشمول والسعة فإن ذلك بسبب كون كثرة العرب الساخقة أو بتعبير رقمي ٩٧٪ مسلمة أولاً وبسبب طبيعة شمول المبادئ القرآنية ثانياً ، وفيما انطوى في التمايم القرآنية والسنن النبوية والراشدية بالنسبة للمسلمين من غير المسلمين ضمانات وافية . وهذه الضمانات تصبح أشد وألزم بطبيعة الحال بالنسبة للنصارى المتدجين في الدعوة القومية والواقع القومي والمشاركين المتواتين مع المسلمين العرب في العواطف والمصالح والأوطان والأفنة . ولا عبرة بما كان من مشاهد وأحداث تاريخية فإن لذلك أسباباً سياسية وغير سياسية كان منها دسائس الدول الأجنبية بل وكانت هذه الدسائس هي السبب

الجوهري الاقوى على ما يعرف ذلك من درس التاريخ وعلى ما ذكرناه في مناسبة سابقة في هذا الكتاب .

ونظن اننا لا نعدوا الصواب اذا قلنا ان ما في احداث التاريخ الاسلامي العربي الاولي من مفاخر واجاد خالدة وما في الفكرة الاسلامية وصلتها بالجنس العربي والنبوة العربية والقرآن العربي من مفخرة للعرب في الدرجة الأولى جدير بان يكون مفخرة للنصارى العرب كما هو شأنها لمسلمهم .

- ٦ -

ونحب ان نستدرك بعض الامور في صدد ما نحن فيه :

فاولاً - اننا لا نقصد بما قلناه عن شأن العرب في العالم الاسلامي اننا نتطلع الى جامعة اسلامية سياسية عامة او خلافة اسلامية سياسية عامة يكون العرب على رأسها كما اننا نعرف ان مجال ذلك محدود اليوم . ولا يقاس الأمر بما كان عليه وضع السلطان الاسلامي عامة والسلطان الاسلامي العربي خاصة في سالف الدهر . فانتساع السلطان العربي والاسلامي وشموله للاقطار التي دخلت في حوزة جيوش الفتح وقيام ذلك السلطان او تلك الخلافة السياسية العامة انما كان نتيجة لطبيعة وظروف الحركة الاسلامية واستمرارها طيلة المدة التي ساعدت الظروف على استمرارها . وهو كذلك امتداد لتلك الطبيعة والظروف . وقد انحلت هذه الجامعة السياسية الاسلامية العامة وانفصمت العربي التي كانت تجمع أقطار المسلمين المختلفة جنساً ولغة فبرزت في كل قطر منها شخصية سياسية مستقلة اصطفت مع الزمن بصفة القطر القومية وشخصيته المتميزة وأصبحت هي المستقرة . فلا مجال الى عودة الحال كما بدأت كما انه ليس هناك باعث له وليس له ضرورة اجتماعية او اقتصادية او حرية ، وليس له موجب وأصل ديني . والسلطان في الاسلام وازع يقوم لمصلحة المجموع ضمن نطاق صالحهم وخيرهم العام وليس من

موجباته أن يكون جميع المجتمعات والأقطار الإسلامية تحت لواء سلطان واحد ،
وليس هناك ما يمنع أن تكون الأقطار الإسلامية بمجموعات مستقلة متميزة بطبيعة
الحال . وقد كان الأمر كذلك منذ الف سنة ، وكان وقت وجد فيه ثلاثة
ملوك يتلقبون بلقب الخليفة وأمير المؤمنين في ظرف واحد في القاهرة
وقرطبة وبغداد .

على أن هذا لا يعني أننا لا نحبذ أن تقوم رابطة باسم رابطة الشعوب الإسلامية
على أسس تعاونية سياسية واقتصادية وثقافية وعسكرية . بل نعتقد أن في ذلك
كل الخير للعرب خاصة والمجموعة الإسلامية عامة . ولعل فيه علاجاً ناجحاً
لوقاية العالمين العربي والإسلامي من استغلال الغرب وتحكمه وسيطرته ومكائده
فضلاً عن فوائده العظيمة المشتركة في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية
والثقافية . ولا حرج على العرب أن يكون ذلك غاية من غاياتهم بل نعتقد أنه
واجب عليهم ، وليس فيه تعارض قطع الفكرة العربية الحديثة وأهدافها .
وفي مجال يقوم العرب بدور رئيسي في هذا الميدان مستمد من شأنيتهم التي
خلدها القرآن والتي يجب على المسلم التسليم لهم بها ومن قدسية لغتهم التي يمكن
أن تكون اللغة الرسمية لهذه الرابطة . وهذا العمل أصبح اليوم مستساعاً بعد
أن اتجه العالم إلى عقد التحالفات الاتحادية الكبرى بقصد ضمان المصالح المشتركة
والسلامة المشتركة بين المجموعات المتأثرة والمتجاورة . ولا يمكن أن تكون
الصبغة الإسلامية موضع نقد لأن الإسلام كما قلنا قبل ليس ديناً روحياً وحسب
يجب أن لا يخرج عن نطاق القلب والمسجد بل هو دين سياسة ونظام وعمل
ودولة أيضاً . وهذا فضلاً عن أنه دين ٩٧ / من العالم العربي .

وثانياً — ينبغي أن لا يفهم بما ذكرناه أن جميع ألوان حياة المسلمين يمكن
أو يجب أن تغدو مصبوعة بالصبغة الدينية الكبريتية . فنحن أبعد ما نكون عن
هذا القصد من جهة والشريعة الإسلامية هي من جهة ثانية مدنية في جل أحكامها
وما يتصل بمعاملات الناس وحقوقهم وسياسة الدولة ونظامها والأسرة وتربياتها
كما يتضح لكل من أمعن النظر في النصوص القرآنية . وليس فيها سلطات

ومظاهر كهنوتية مما كان مثله يتصادم مع السلطات والمظاهر المدنية والسياسية
في الغرب ومما أثار ذلك التيار الذي جرى في اتجاه إيجاب فصل الكنيسة عن
الدولة والذي تأثر به على ما يبدو بعض كتاب المسلمين ومثقفهم فصاروا يقيسونه
على الاسلام ويدعون الى فصل الدين عن الدولة في الدول الاسلامية مع انه
قياس مع الفراق على ما هو واضح ، كما انها ابعد ما تكون عن تلقين التعصب وضيق
الافق نحو غير المسلمين الأصدقاء والموالين والمواطنين والمسلمين والمجاهدين بل
هي اقوى ما تكون تلقيناً بالبر والمطف والنفسط والوفاء والاحترام والمودة لهم
وخاصة النصارى حينما تجلى وتفهم على حقيقتها .

(٦) مشكلة ضعف الوعي العام والتنظيم الشعبي وواجب الشباب في هذا المجال

- ١ -

مهما يصح ان يقال ان نطاق الوعي العام في الشعوب العربية قد اتسع كثيراً بسبب اتساع نطاق التعليم وتطور الزمن واحداث العالم ووسائل المدنية الحديثة المتنوعة ثم بسبب الحركات السياسية والوطنية الكفاحية والأدبية التي ظلت تحدث في مختلف الأقطار العربية منذ اعلان الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ وخاصة بعد الحرب العالمية الأولى . فان من الحق أن يقرر انه ما يزال ضعيفاً وجامداً وسلبياً في وقت واحد ، وان ذلك من الأسباب المهمة التي تجعل الأمة العربية تتعثر في سيرها نحو التقدم والتكامل والقوة ، وانه في حاجة شديدة الى تنمية وتحريك وتوجيه وتقوية حتى يصبح متصفاً بصفة الإيجابية المنبعثة من ذاتها ويتجه نحو التجديد والاقبال استجابة واملاء في سبيل تحقيق اهداف الفكرة العربية التي هي :

« قيام كيان عربي قومي عام ، يضم مختلف الأقطار العربية ، ويكون موحد الشعور والثقافة والتفكير والجهاز الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والعسكري ، وبعم في ظله التعليم القومي المشترك ، وتستغل امكانيات البلاد والأمة وثرواتها ، وتتحسن مشاهدتها وتزدهر حضارتها وتصلح أحوالها الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والفنية والعمرانية وتتضاءل الفروق الاجتماعية

والاقتصادية بين الفئات والطبقات وتحقق راية الحق والعدل والحرية والرفاه في جميع أرجائها وبالنسبة لجميع طبقاتها ، وتكون من القوة بحيث تضمن الامة العربية الحرية والكرامة والسيادة والمنعة والتقدم والوصول الى مصاف الأمم القوية الراقية ، وتبوء المركز اللائق بخصائصها ومجدها وما تشغله من حيز جغرافي عظيم في ساحته وموقعه وثرواته ، ثم ما تتمتع به من اسباب النفوذ المعنوي القوي في مختلف انحاء الأرض .

والامة العربية في جميع اقطارها ما تزال بعيدة جداً عن هذه الأهداف بل لم تكند تبدأ سيرها في طريقها الصحيح ، والحالة سيئة في جميع اقطار العرب من مختلف نواحيها ، وفي كل قطر من الاقطار العربية شعور بسوء الحال وتدمير منها . ولو كان الوعي قوياً محايياً ومتحركاً بذاته لكان حفز الامة الى مواقف وأعمال ايجابية منبثقة من ذاتها ورأيها العام على ارادتها بها على حكمها بما فيه مصالحها وصالح أحوالها وتحقيق تلك الأهداف العامة . ومع ان من المحتمل ان يقوى الوعي كلما اتسع نطاق العلم فان المشكلة ليست مشكلة جهل وأمية فقط . فان معظم سكان المدن غير أميين ومنهم جمهرة كبيرة نالوا قسطاً لا بأس فيه من العلم ، ومنهم آلاف مؤلفة آتموا دراستهم الثانوية والعالية ، ومع ذلك فان آثار جهود الوعي وضعفه وسلبته في المدن ملموسة بقوة أيضاً . ولو كانت المشكلة مشكلة جهل وأمية لكان الوعي في المدن قوياً متحركاً بذاته ولكان من الممكن أن يكون فيه القناء او شيء كبير منه لأن المدن هي الجبهة الامامية البارزة التي عليها معول كبير ان لم نقل المعول الأعظم في الحركات والمطالب العامة .

- ٢ -

وحل المشكلة منوط بالمرحلة الأولى بالتنظيم الشعبي الذي ما يزال ضعيفاً جداً في بلادنا . ومن المؤسف أن الذين تصدوا لنضال الأجنبي أو الذين برزوا على مسارح الحركة السياسية والوطنية القومية من رجالنا وزعمائنا وهيتاننا لم يعيروا

هذا التنظيم العناية التي يستحقها ولم ينتبهوا الى أنه أقوى وسائل النجاح فيما تصدوا له وهدفوا اليه ، وإن ما كانت من ثمرات وعثرات عديدة ومتنوعة أثناء النضال مع الأجنبي أو النشاط في مختلف المجالات الأخرى يرجع الى ضعفه ، وقصارى ما كانوا يفعلونه أعمالاً إرتجالية كانت تؤدي الى فورات دون تنظيم يضمن للعمل استمراراً وتوسعاً وعمقاً . ولذلك كانت هذه الفورات لا تلبث أن تمعد اذا ماصدمتها طواريء خاصة أو عامة ليست بالحسبان ، حتى صرنا مضرب المثل : « نفور ثم نفور » .

ولقد كانت الفورات تصل أحياناً الى أن يكون منها بطولات رائعة ويكون فيها تضحيات عظيمة ، وتقود كالنار المتقدة اللاهبة التي لا يقف أمامها شيء ، وكالماصة الشديدة التي تكتسح كل شيء ثم يطرأ بعض الطواريء والأسباب الداخلية والخارجية والشخصية أو النفسية فتخمد حتى يكون خمود وانكماش عجيبين متناقضين أعظم التناقض مع ما كان من شدة وفورة واندفاع .

ولقد كان يقوم حزب أو دعوة أو حركة سياسية أو اصلاحية فيكون القائمون بها في بدء الأمر على شيء من الحماس فينشطون نشاطاً قوياً يتردد صدهاء في كل ناحية حتى يثير المدحشة ويبشر بالنتائج العظيمة أحياناً ، ثم يطرأ بعض الطواريء والأسباب الداخلية والخارجية أو الشخصية أو النفسية كذلك فيفتر هذا النشاط حتى يكون سكوناً عجيباً متناقضاً مع ما كان .

وكل هذا بسبب عدم اهتمام القائمين بالحركات للتنظيم الشعبي المتغلغل الذي ينتظم اكبر مجموعة من الناس ويهتم لتنوير أفكارهم وجعلهم يندمجون في الحركات اندماجاً ذاتياً واعياً لا يتأثر بالطواريء التي تطرأ على الحركيين الأولين تأثراً كبيراً . وإذا كان القائمون فعلوا شيئاً في هذا المجال أحياناً فإنه لم يتم على أساس قوي متغلغل كما وصفنا وكل ما يكون قد فعلوه هو تحريك الجماهير ضمن نطاق ضيق استهدافاً لمهدف عاجل وعابر .

فمن الواجب ان تشدد الدعوة الى العناية بناحية التنظيم والتركيز والتوجيه والتفعل والشمول عناية عظيمة واعتباره من أهم وسائل النجاح في الحركات الوطنية والسياسية والاصلاحية حتى لا تظل الجهود التي يبذلها الذين يتصدون لقيادة هذه الحركات رهناً بالأفراد والفورات ، وحتى لا يظل الوعي العام جامداً سلبياً غير متحرك بذاته وغير قادر على إملاء ما انتحس به الأمة من آمال ورغبات ومطالب ، وحتى يتسنى اقتطاف ثمرات الجهود التي تبذلها الحكومات والهيئات في مختلف الميادين . ونحن نعول تعويلاً كبيراً على ذلك في مختلف الشؤون والحركات والأهداف ونراه السبيل الأنجح لتوسيع نطاق التجاوب والتعاون والتضامن بين طبقات الأمة فيها .

والمهمة ليست بسيطة بل هي من أعظم المؤثرات في مجال الأعمال والحركات الوطنية والسياسية والاصلاحية ، لانه يتوقف عليها كمال نجاح هذه الأعمال والحركات في الدرجة الأولى . وهي في حاجة الى شيء عظيم من النشاط وحسن الادراك والاعيان والتفرغ والجلد والافادة وسعة الصدر ، لانها تهدف الى التفعل في كل حيوية والاتصال بمختلف طبقات الشعب وفتاته ودمجهم عن رضى وطواعية وتبصير في تلك الأعمال والحركات وتنويرهم وجعلهم يدركون خيرهم ومصلحتهم في هذا الاندماج قلباً وقالباً .

- ٣ -

ولعل الشباب مرشحون لهذه المهمة العظيمة اكثر من غيرهم لأن لهم مدداً من حيويتهم ونشاطهم ولاتهم ما يزالون ايني العود لم ترسخ فيهم العادات والتقاليد والافكار التي كثيراً ما تكون عقبات كأداء في طريق العمل وأساليب الحياة ، ولاهم في ذات الوقت هم أصحاب العهد الذي يتحصلون ضرر نواقصه وتمثله ويتفهمون بما يأتي به الجهد في سبيل اصلاحه .

والناظر في تاريخ حركات الأمم في مختلف مناحيها يجد الشباب من أجل تلك الصفات والاعتبارات هم العنصر الأقوى فيها . ولقد كان الشباب العربي

المثقف شيئاً مع هذه البدمية العنصر الأقوى في انبعاث الحركة العربية كما يمكن أن يعرف من استعراض أسماء الذين اندمجوا فيها وشغلوا مجالاتها . غير أنهم لم يعيروا التنظيم الشعبي العناية الواجبة فتعثر خطاهم في مختلف المجالات وضاع كثير من جهودهم هدرًا .

فعلى شبابنا أن يتقدموا لاشتغال الحيز الواجب عليهم اشغاله وأن يتلافوا ذلك النقص الذي كان يسببه ما كان من عثرات وأخطاء وقصور وهدر جهود وجهاد وأن يبدأوا جهودهم بتنظيم أنفسهم أولاً والتكامل كتلاً في كل قطر ، فتأخذ كل كتلة على عاتقها ناحية من نواحي العمل العديدة من وطنية وسياسية واجتماعية وثقافية وتهديبية واصلاحية واقتصادية الخ ثم تتغلغل في كل حي وقرية لتؤسس فروعاً يتعلم فيها أكبر عدد ممكن من الناس انتظاماً اندماجياً قوياً . وإذا كان العمل خطيراً وشاقاً فإن مافي الشباب من نشاط وحمية وأمل كفيل بالنجاح فيه إذا هم تقدموا لحل المعضلة واشتغال الفراغ بحمد وقلب وجلد وإيمان وتضحية . وهذه العناصر لا بد منها للنجاح ، وقد كان فقدانها عاملاً قوياً كان من اخفاق في الجهود المبذولة في مختلف الميادين . وكل من درس الحركات القومية الحديثة يرى كيف كان الشباب القائلون على رأس هذه الحركات والمندمجون فيها يضرعون أروع الأمثال بما كان منهم من تضحية وجلد وتحمل للشظف والحرمان وإقدام على أعظم الأخطار والاستغراق التام في المهمة غير عابئين بمتع الحياة ولهوها واناقة اللباس والطعام ووسائل الترف وكان النجاح حليفهم واستطاعوا أن يقوموا بالأعمال العظيمة التي قاموا بها . فحذروا شبابنا المتعلم الواعي الذي يبدي تحمراً شديداً على ما ارتكس فيه أمته من ضعف وجهل وسوء حال وعلى ما يلزم بيلاذهم وقضاياها القومية من أخطار وحن عظيمة أن يسحروا منحاهم وأن يتخذوهم أسوة .

ولقد كان من جراء انهماك كثير من شبابنا في الالوه والزينة والسفاسف والتصرفات المعجوجة المردولة والجنوح الى الدعة والراحة ان اشتدت الحاجة عليهم وان انفقوا الثقة بهم وان استولى شيء كثير من اليأس من ناحيتهم باشتغال

الفراغ الذي أخذ يتسع في ميادين العمل القومي المتنوعة من سياسية واجتماعية واصلاحية وتجديدية وتنظيمية ، وان اخذ مستقبل الامة يبدو حالكا قائما بما هو بليغ الاثر والخطر في كيانها ، وما يوجب اشد الوجوب ان يهتف بضائهم ان تستيقظ ويقولهم ان تدبر الامر . فمضى بقاؤهم على ما هم عليه بقاء الامة في حالتها الالهية وبقاء الوعي في حالته السلبية الجامدة مدة طويلة تعرض فيها الامة والبلاد العربية لأشد الاخطار والاضرار وتظل الامة والبلاد مرتكسة فيما هي مرتكسة فيه من الجهل والخرود والضعف والهوان . بل اكثر من هذا لأن المسافة التي تفصل بين الامة العربية وغيرها من الأمم السابقة لها ستزداد بعداً ، وستزداد شأن الامة العربية بالتالي هواناً . وهم الى هذا اصحاب العهد الذين يحملون الضرر والهوان من بقاء الامة في حالتها الحاضرة .

ولقد تضاعف عدد المثقفين منهم بالثقافة العالية أضعافاً كثيرة حتى غدوا يعدون بالآلاف المؤلفة في مصر والشام والعراق فضلاً عن عشرات آلاف المثقفين بالثقافة الثانوية والمهنية المتوسطة وهذه منزلة كبرى يسرهم القيام بواجبهم لأنهم من المساعدات على الانسجام والاتساق والتوافق والتفاهم والتأرجح . وهي في الوقت نفسه سبب مشدد لما يلحقهم من المعرة اذا هم ظلوا على حالتهم ولم يقوموا بواجبهم . فعلى الكتاب والاساتذة والخطباء أن يهتفوا بهم بأن يتقدموا لحل الملأ والعبء واشغال الفراغ بجد وقلب وجلد وإيمان وتضحية وأن يتأسوا بشباب الامم الحية ، وأن يكف العاشقون والمقصرون منهم عن عبثهم وتقصيرهم ؛ وبقيننا وطيد انهم يستطيعون اذا تقدموا وهم متحلون بهذه الصفات أن يأتوا بالمعجائب .

- ٤ -

ونحن نعرف أن المسألة المالية مما تحجج به الشبان في حصد العمل التكتلي . وهي مسألة خطيرة حقاً لأن المال هو المصب الأقوى في النشاط الجماعي . غير أننا نعتقد ان الذي ينقص الشباب ليس المال وانما الجهد والتضحية . واننا نرى كثيراً من الشباب ينفقون على لوهم واناقتهم وتنقلاتهم المبالغ الكبيرة ثم نراهم

يتذمرون أو يقصرون في اشتراك مالي في ناد أو جمعية أو عمل تنظيمي أو
 اصلاحي قد لا يزيد عن ثمن علبتين من الدخان بحرقها الواحد منهم في اليوم أو
 ثمن بطاقة سينما أو جلسة في مقهى أو ملهى أو على مائدة ميسر بسيطة فضلاً عن
 المركبة . ففي هذه السبل الكيالية والمهرمة يذهب من جيوب الشباب من المال
 ما يضمن بعضه حياة كثير من المشاريع وتحقيق التنظيم المتفعل رائدات الاتحادية
 والجمعيات التي تقوم بها . فلو استثمر شبابنا وآن لهم أن يستشعروا بواجبهم
 وتبعهم ، ولو أدركوا وآن لهم أن يدركوا أن ضرر الاستمرار في التقصير
 وعاره عائدان عليهم قبل كل أحد ، ولو اندمجوا في حالة أمتهم الأليمة وآن لهم
 أن يندمجوا وضجوا بشيء من الكياليات واللهو والترف لحلوا المسألة المالية مع أن
 واجبهم ومصلحتهم وحال أمتهم إذا استشعروا بها رادركوها واندمجوا فيها يجد
 وقلب يقضي عليهم أن يضجوا بالكياليات كلها فضلاً عن المحرمات وأن يصدوا
 إلى التشف والتزهد بحل هذه المسألة التي كثيراً ما كانت سبب الاخفاق والتي
 تمهد السبل لنجاح المحاولات التي يجب أن يحاولوها والنشاط الذي يجب أن
 يبذلوه . وهذا فضلاً عن أن هذا النجاح رهن إلى درجة كبيرة بتفريغ القلب
 والوقت مما عا يقتضي الجدل والجدل والتفكك وتضحية الكياليات .

- ٥ -

ويتصل بهذا البحث موضوع الوعي العربي القومي العام .
 والحق أن الوعي القومي العربي والشعور بالانتماء العربي العام في البلاد
 العربية قد اتسعا كثيراً كمية وكيفية خلال السنين التي مرت على انبعاث الحركة
 العربية الحديثة الفعلية الذي يمكن تأريخه بإعلان الدستور العثماني سنة
 ١٣٢٤ - ١٩٠٨ .

والذين عاشوا في عهد الدولة العثمانية وظروف انبعاث الحركة العربية الحديثة
 ولا يزالون أحياء يرون من دون ريب تطوراً قوياً أكثر من غيرهم في هذه الناحية .
 فإن سواد الشعب العربي حينئذ لم يكن يحس بشيء من الشعور القومي الذاتي ،

وكان هذا الشعور قاصراً على فريق محدود العدد من الرجال والشبان المنتمين
 وكان الى جانبهم في نفس الوقت فريق كبير من الرجال والشبان المنتمين
 لا يشعرون به بل ويقفون من حركة الانبعاث موقف المتجهم او العدو لأنهم
 كانوا مندمجين في جو الدولة العثمانية ويبحثوا وقد قضوا عدة طويلة في وظائفها
 ومختلف اقطارها حتى اصبح كثير منهم غريباً او كالغريب عن العرب والعروبة؛
 وكان اكثر طبقة الوجهاء والاعيان الذين اعتادوا ان يعيشوا في جو الدولة
 ويمارسوا الوظائف والمناصب الحكومية الدائمة والموقفة والغضرية وغير الغضرية
 ويستمدوا منها وجهتهم ، وكذلك اكثر الذين هم في عداد هؤلاء من المحافظين
 والتقليديين والمشايع وخاصة ذوي المناصب من هؤلاء يقفون من حركة الانبعاث
 موقف المتجهم او العدو أيضاً لأن فكرة الخلافة الاسلامية التي كانت تتمثل في
 الدولة العثمانية كانت تملأ اذهانهم وفراديهم وتصرفهم عن كل تفكير قومي وذاتي
 وتجعلهم يرون في الدعوة الى ما يناقض ذلك او يبده شذوذاً مخالفاً للدين والتقاليد
 والمصلحة الاسلامية . أما الآن فقد غدت الفكرة العربية والشعور بالذاتية القومية
 في بلاد الشام والعراق شيئاً عاماً لا يكاد يفقد في أحد من سكانها ولو لم يكن
 مفعلاً على تفاوت في المدي .

وكذلك الامر في مصر ، فقد كان من الطبيعي ان يتجه تيار الفكرة العربية
 الحديثة وحركتها اليها لأن العروبة فيها واضحة المعالم والظواهر ، بل تكاد
 تكون فيها أصفى منها في غيرها من حيث كون كثرة سكانها الساحقة مسلمة عربية
 اللسان والدم سنية المذهب وليس فيها تلك الفوارق المذهبية والجنسية التي في غيرها ،
 فسارع الانكليز واعدااء العروبة والاسلام من الاجانب والشعوبيين الذين ما تزال
 دماؤهم غير العربية تجري حارة في عروقهم والذين يضمرون الكراهية للعرب
 والحقد عليهم في اتخاذ العدة لاي مجاد تيارات معاكسة لتلك التيار ، فكان من
 سجمة ذلك الدعوة التي عرفت بالدعوة الفرعونية باسم البحوث العلمية والتاريخية
 والقومية المصرية والتي اندمج فيها فريق من الادياء المخلصين ذوي النوايا الحسنة ،
 والتي رمت في الحقيقة الى صرف نظر المصريين عن الفكرة العربية القومية حينما

أخذ تيارها يجري في السنين التي أعقبت الحرب العالمية الأولى ، وأرجلها إلى
 الوراء البعيد ومحاولة بث كون المصريين لا يتنون إلى العرب والعربية وإنما إلى
 الفراعنة أصحاب المجد والمظلة والحضارة والعمران الزاهر الذي كان من أسس
 مدنات العالم ، وكون العرب ليسوا إلا غزاة طارئین شأنهم شأن الرومان
 واليونان والفرس الذين غزوا مصر ، وإن كل ما هنالك من فرق انهم استطاعوا
 أن يورثوا المصريين لغتهم ودينهم . متجاهلين الحقائق التاريخية الكبرى من أن
 المصريين الأولين هم من جزيرة العرب أي من الجنس العربي ومن أن مئات
 القبائل العربية انساحت إلى مصر بعد الإسلام وغذت مدنها وريفاً بالدم العربي
 ومن أنه لا يزال إلى اليوم أكثر من مليون ونصف مليون عربي يحتفظون
 بعلقتهم وتقاليدهم وأسماؤهم العشائرية . وقد غذيت هذه الحملة وعوضت على مافيا
 من زيف ووهن أساس ومنطق بمختلف الوسائل واستطاع القاطنون بها أن
 يلفتوا اليهم الانظار وأن يثيروا حول حملتهم الجدل والكلام على أمل أن يجعلوا
 من فكرتهم أو دعوتهم قضية لها مكان في مجال القضايا القومية أو على الأقل أن
 يوجدوا في نفوس الناس بصدها من الريب والشكوك ما يشوش على تيار الفكرة
 العربية ويصدم تدفقها . وقد ردفوا حملتهم هذه بحملة أخرى دعوا فيها إلى
 اسطناع اللغة المصرية الدارجة في التعليم والأدب والصحف والتمثيل والتأليف
 والصكوك والرسائل الحكومية بحجة سهولة نشر الثقافة وإيجاد أدب مصري خاص
 ولغة مصرية خاصة وثقافة مصرية خاصة الخ ... كما أنهم سلكوا سبلاً عديدة إلى
 بلوغ أربهم حيث قوا الدعاية ضد الملك حسين وأبنائه التي كان يثبها الأتراك
 على اعتبار أنهم خانوا دولة الخلافة وكانوا السبب في انهدامها وتواطأوا مع
 الانجليز ، وحيث بثوا الخوف من جهة ثانية في نفوس أولي الشأن في مصر من
 مشكلات البلاد العربية وقضاياها وما يمكن أن يجعلهم التورط فيها من أعباء فادحة
 ويحرج عليهم من متاعب مضيئة ، ويفتح عليهم من الماكسات والمناورات في حين
 انهم في أمس الحاجة إلى تكثيف قواهم وجهودهم فيما هم بسبيله من قضيتهم الوطنية .
 وقد أثرت هذه الدسائس والوساوس تأثيراً غير قليل فظلت مصر في معزل عن

الحركة العربية والفكرة العربية وقضايا البلاد العربية مدة غير قصيرة وظل رجالها الراسخون بل وزعمائها الشعبيون كذلك في معزل حتى بلغ من أمرهم أن يظنوا أن النزاع القائم بين العرب واليهود في فلسطين نزاع ديني طائفي وأن ينصح بعض البارزين منهم بأن يحل العرب واليهود مشكلة نزاعهم هذه على النمط الذي حل به المصريون مشكلة المسلمين والاقباط فانقلبوا اخواناً في ميدان السياسة والحركة الوطنية ، وأن يجهموا لنشر ندائات فلسطين ودعائهم أيام محتها الاولى ، وأن تحول سلطاتهم الرسمية دون ذلك في ظرف من الظروف ، بل بلغ من أمر عزائهم ان كان كثير من رجالهم وسياسيهم ومنتوريهم وصحافهم لا يفرقون اولاً يريدون ان يفرقوا بين مدلول الشعوب الشرقية والاسلامية والعربية وأن يخلطوا بينها عن عمد او غفلة ، وحتى بلغ من تخوفهم من التورط في مشاكل البلاد العربية وقضاياها ان يشبه بعض زعمائهم البارزين هذه القضايا باليت الذي ليس من وراثته الا التعب والتعبات .

غير ان هذه الحالة قد تبدلت تبدلاً عظيماً ، فمنذ وقت مبكر خفت صوت الفرعونية واللغة العامية واندحرت حملتها اندحاراً مشكراً . ومنذ وقت مبكر اخذت الاصوات العلمية تردد عراقة الاصل العربي واللغة العربية في مصر ووحدة الجنس التي تجمع بين المصريين القدماء والعرب من حيث انهم موجات عربية الجنس من جزيرة العرب بالإضافة الى ثلاثة عشر قرناً طويلة طبعت مصر بطابع خالد من العروبة الصريحة ومظاهرها وتقاليدها وروحها ، والى ما قام بين مصر والبلاد العربية من صلات سياسية واقتصادية واجتماعية وثقافية وعسكرية وثيقة خلال هذه القرون والى الزعامة السياسية والعسكرية التي كانت لمصر على معظم هذه البلاد خلال كثير منها وما كان يعود على مصر وهذه البلاد معاً من ذلك من منافع عظمى مادية ومعنوية ، وتبين مافي حملة الفرعونية واللغة العامية والعزلة عن العالم العربي من اضرار وشطاط وتناقض مع التاريخ والواقع والعلم والمنطق واحداث الضرر ، وصار يكتب حول هذه المواضيع القصول وتلقى المحاضرات وتعتقد المناظرات وتنشأ الهيئات والمنظمات على اشكال متنوعة منها السياسي ومنها

الصحافي ومنها الثقافي ومنها الأدبي ، ولم تلبث ان اخذت تشعراً لأنها مستعدة من طبيعة الحياة والواقع والحقيقة والشعور السالكين ولم يلبث التيار العربي الإيجابي ان اخذ يقوى شيئاً فشيئاً مع الوقت ويجد مبيلاً الى مختلف الفئات والأوساط المصرية ويساعده في سيره عوامل عديدة ومتنوعة الى أن غدا الشعور بالذاتية العربية القومية والأخوة العربية شاملاً مع تفاوت في المدى منها بدا من شذوذ الشعوريين وانهازم فرص الأحداث والتكبات لتعكير بالتعطيل والتبويض . وقد دعم هذا الشعور دعماً حاسماً بتبني الملك فاروق والحكومات التي تعاقبت على الدست منذ سنة ١٩٣٧ والأحزاب السياسية للفكرة العربية وأهدافها واندماجها فيها وغدو ذلك من أسس سياسة الدولة كما هو شأنه في بلاد الشام والعراق .

ولقد حرص الافرنسيون على ان يجعلوا لبنان ايضاً بمنزل عن تيار الحركة العربية الحديثة ، وكان بينهم وبين نصاراه وخاصة موارثهم وكاثوليكيهم الذين هم غالبية سكان بيروت ولبنان القديم روابط وثيقة ترجع الى عشرات السنين وتتغذى بالمدارس الافرنسية المنتشرة في جميع انحاء لبنان والتي نشأ فيها عدد عظيم منهم أو معظمهم على حب فرنسا وآدابها وتاريخها وأبطالها والاندماج فيها واعتبارهم اياها حامية أو كما يسمونها أمماً حنوناً ، فكان كل هذا وسائل لتحقيق هدف الافرنسيين استئناسها على مناوأة الحركة العربية وأهدافها وانحراف لبنان بشايرها واندماجها في الأخوة العربية والشعور العربي الذي كان آخذاً في النمو والانتعاش في بلاد الشام الأخرى التي كانت تحرق بلبنان من كل جهاته ، وبدلوا جهودهم في نفث السموم والمغالطات باسم البحوث العلمية والوطنية والثقافية وكان من جملة ذلك تلقين النصارى وخاصة الموارنة الذين كانوا عمود لبنان الصغير الفقري الذين هم العنصر الأكبر المميز بكيان وعقائد خاصة انهم ليسوا عرباً وانما هم انسال الفينيقيين وان العرب ليسوا الا غزاة كسائر الغزاة وان الفينيقيية هي الأصل الذي يجب ان ينسب اليه اللبنانيون ويتمسكوا به وان الفكرة العربية ليست الا ستاراً يخفي وراءه السيطرة الاسلامية وان الديانة الاسلامية ليست ديانة وطنية وانما هي دخيلة وان الديانة الوطنية الحقيقية هي المسيحية لانها نشأت

في بلاد الشام ، وإن الفكرة العربية لا تقوم على أساس علمي لأن سكان سوريا وإن تكلموا العربية هم مزيج من عناصر ودماء متنوعة وانها الى هذه فكرة رجعية وغير انسانية حيث تستمد من العصور المظلمة المتوحشة وترتكز على الاثنية والاثرة . وقد اثاروا النعرات الطائفية في طوائف لبنان الاسلامية والمسيحية معاً اثارة شديدة غدت الطائفية بسببها ناطقة للحكم والسياسة والمناصب والوظائف وشغلت او كادت تشغل لبنان عن خارجه .

واقدر كان لهذه التلقينات والجهود آثار ايجابية في جبهة الموارنة في الدرجة الاولى وفي جبهة النصارى عامة ظهرت في تصريحات كثير من زعمائهم الدينيين والسياسيين ومواقفهم المضادة للفكرة العربية والشعور القومي وفيما كان يبدو منهم من الرغبة في أن يكون لبنان منزلاً عن ذلك متعتماً بحياة خاصة تحت حماية فرنسية .

غير ان الصورة قد تبدلت هنا ايضاً تبديلاً عظيماً . فقد كانت المساعي الافرنسية ضد العروبة والاسلام وآثارها الإيجابية في الطوائف النصرانية رد فعل في الطوائف الاسلامية التي كان كثير من زعمائها مندجين في الحركة العربية منذ انبعاثها والتي تتسق في ميولها وآمالها معاً منذ الأصل ثم التي كانت تستجيب لدعايتها وتيارها بصورة أشد بعد الحرب العالمية الأولى مما كانت آثاره تظهر في مختلف المناسبات والاحداث .

وقد كان لتعمير الاقتصاد الفرنسي وتأثيره في تعطيل مصالح أهل لبنان وشل صناعاتهم وتجاراتهم وشركاتهم أولاً وما كان من صلف الافرنسيين وحقهم وغفارتهم الشديدة ثانياً وما كان من سوء استغلال الموظفين الافرنسيين لمناصبهم وسلطتهم واستغرائهم في رغبة الاثراء بأي طريق واقتراهم في سبيل ذلك كل عسف وشذوذ ثالثاً رد فعل شديد في نفوس كثير من النصارى بما فهم الموارنة حيث أدرك الواقعون منهم نظرية الازدراء التي ينظر الافرنسيون بها الى الجميع واستخفافهم بهم وترفعهم عنهم وحيث رأوا أن تظاهر فرنسا بحب لبنان وأهله واشادتها بتفانيها فيه ودعايتها الطويلة المربضة في صدره لم يكن لسواد عيون

لبنان ونصاراه وانما كان وسيلة لبسط السيطرة عليه وعلى سائر بلاد الشام بطريقة وجعلها مجال فرنسا الاستعماري وان الروح الاستعمارية والاستقلالية والمتفطرة هي السيطرة على السياسة الفرنسية من جهة والمسيرة للفرنسيين كأشخاص وانهم الفرصة من جهة أخرى.

فكان لهذا وذاك تأثير غير يسير في زلزلة البناء الذي أقامه الافرنسيون في لبنان وتصديع السور الحديدي الذي حاولوا ضربه بينه وبين البلاد العربية والحركة العربية والشعور بالذاتية العربية ولاسيما أن تلك الدعايات والمساغي لم تكن تستند إلى الواقع والحقيقة والطبيعة والعلم في شيء من حيث ان من الحقائق التاريخية الكبرى التي لا يمكن ان تفوت عاقلان وحدة الجنس الاصلية قبل الاسلام المتشكلة في كوث المنبع الاصيلي هو جزيرة العرب جامعة بين سكان لبنان وسكان البلاد العربية وأن الجميع يعيشون في جو تاريخي وسياسي واحد منذ الف وثلاثماية سنة ، وان لبنان ونصاراه لم يكونوا بمعزل تام عن الفكرة العربية الحديثة لأن بعضهم كان من أوائل الذين اعتنقوها في عهد الدولة العثمانية وقبل اعلان الدستور العثماني وتضامنوا مع بعض المسيحيين وأنسوا بعض الجمعيات التي قامت ببعض النشاط في سبيلها كما كان من نصارى لبنان من استغرقى بالعروبة وأجادها واللغة العربية وآدابها ومفاخرها استغرافاً شديداً في الحقب الاخيرة من عهد تلك الدولة وصاروا من اعلامها المشهورين وفرسانها المبرزين وأن عدد الطوائف الاسلامية المندمجة روحياً وتاريخياً فيها يعدل عدد النصارى أن لم يزد عنهم وفيهم جمهور كبير متصل الارومات بالعروبة الصريحة من قبل الاسلام وأن وضع لبنان الجغرافي فوق ذلك كله لا يمكن إلا أن يولي على سكانه اتحاداً وتشاركاً مع سائر سكان البلاد العربية التي تحديق به في مختلف المصالح .

وقد كاد هذا التبدل يبلغ ذروته في انفجار عام ١٩٤٣ حينما أعمت الرعونة الموظفين الافرنسيين واعتقلوا رئيس الجمهورية والوزراء وعطلوا الدستور والبرلمان لمنع التعديلات التي تزول بها عن لبنان صبغة الانتداب والاستعمار

الافرنسي حيث دشّنوا الانفجار ولادة لبنان ولادة عربية فضالية رائدة والتحقاق بقافلة النضال العربي في سبيل أهداف الحركة العربية ، وحيث كان لتجاوب البلاد العربية شعوبها وحكوماتها مع لبنان اثر عظيم في تقوية الشعور القومي حتى غدا هو الآخر شاملا مهما بدا أن آثار الدسائس والوساوس والروابط والدعايات المضادة لا تزال قوية وخاصة في رؤساء الموارنة مما سوف يتكفل الزمن بمحوه من دون ريب لأنه مخالف لطبيعة الاشياء وحقائق الامور والوقائع والظروف التاريخية والجغرافية والمصالح الخاصة والعامة .

كذلك كان شأن الافرنسيين في أقطار المغرب العربي ، فقد ترسموا خطة رهيبة تجردت من كل شعور بالحق والواجب والحرية والعدل والضمير والشرف والامانة والانسانية وهي تغيير وجه المغرب العربي المسلم ولسانه ودينه وحرمان أهله من مقومات الحياة الحرة السعيدة وابقائهم في أحط درجات الجبل والفقر وقطع كل صلة بينهم وبين المشرق العربي أولاً وبين أقطارهم نفسها ثانياً .

ولم يرض المغاربة بهذا المصير الرهيب فاختاروا يقاومونه بما وسعتهم قواهم ، وظلت هذه المقاومة وتصرفات الافرنسيين القاسية الباغية تدمر بالقوة وتساعد على التمرد والاحتفاظ بمروبتهم ودينهم الى ان اشتد تيار الحركة العربية الحديثة في المشرق وتمكن من أخذ سبيله اليهم شيئاً فشيئاً ، والتقى القائمون بالحركة القومية العربية في المشرق والمغرب ، وانحرق السنار الحديدي الكثيف الذي ضربته فرنسا بينهما ليحول دون تدفق التيسار ، بحيث يمكن أن يقال ان الشعور بالذاتية العربية القومية من جهة وبالاخوة العربية العامة من جهة أخرى قد أخذ يشمل سكان المغرب العربي كما شمل سكان المشرق العربي مهما بدا ان الافرنسيين يشتدون في حرصهم على الاحتفاظ بسيطرتهم والاستمرار في بغيهم .

ولقد كان الانفصال البات بين الدولة العثمانية والبلاد العربية التي عاشت في جوها غير شاعرة بذاتيتها وكيانها الخاص أو غافلة عنها حقبة طويلة وما تبع ذلك

من الانقلاب السكالي الذي أطلق بالسلطنة العثمانية والخلافة الإسلامية وكثير من الروابط المعنوية والثقافية التي كانت تربط العرب بالترك أثر غير قليل في انصراف العرب الى التفكير بذاتهم وقوميتهم وانتشار الشعور بذلك في مختلف طبقاتهم منذ عهد مبكر .

ثم ساعد على تقوية هذا الشعور اتساع النطاق التعليمي خلال الحقبة التي مرت منذ الانفصال وما رافق هذا الاتساع من تطور في الكيفية أيضاً نتيجة لتطور الزمن ووسائل اتصال العالم ببعضه وسعة اقتباس الأساليب والأفكار ، وهزات الحريين العالميتين الشديدة التي هزت العالم وجعلته يجيش بالدعوات والمبادئ والحركات والآمال والطامح المتنوعة ، والحركات الوطنية والكفاحية التي لم تكن تهدأ في البلاد العربية وما كان من تجاوب هذه البلاد معها والنشاط العربي العام الذي قوي أثناء الحرب العالمية الثانية واستمر الى ما بعدها والذي كان من آثاره بعض المواقف الاجتماعية الرسمية والشعبية في صدد قضايا العرب ، ومؤتمرات الأطباء العرب ومهندسيهم ومحاميهم الدورية التي كان يجتمع فيها مثلاً الأطباء والمهندسين والمحامين المصريين والشاميين والعراقيين والحجازيين واليمنيين والمغاربية في عاصمة من عواصم العرب فيملاً اجتماعهم الاتساع والأفكار بما كان يدور فيه من أحداث عربية ووحدة المصالح والروابط والحوافز التي تجمع بين الشعوب والبلاد العربية فيكون موسم قومي عظيم عند أياماً وتندمج فيه الصحافة والهيئات الاجتماعية المختلفة .

ولقد كان من آثار النشاط العربي العام أثناء الحرب العالمية الثانية أو من مظاهره مشاورات الوحدة العربية وقيام منظمة جامعة الدول العربية . ولقد امتدت المشاورات سنة أو نحوها أم مصر خلالها وفود العراق وسوريا والأردن واليمن والحجاز واليمن ، وكانت تقام بمناسبة ذلك الحفلات وتخطب الخطب وتذاع الاذاعات وتكتب المقالات في آمال العرب وأهدافهم وقوة ما يجمع بينهم من الروابط فيتردد صدى ذلك في مختلف أوساط العرب وأقطارهم فيملاً الاتساع والأذان ويبحث الآمال ويقوي الشعور بالقومية العربية والاخاء العربي

حتى يمكن أن يقال أن هذه السنة التي مضت في المشاورات والتي استبنت فيها
الحامون والأطباء والمهندسون سنة مؤتمراتهم الدورية كانت أشد أدوار جيشان
الحركة العربية وتيار الشعور العربي بوجه عام ، وقد كان من أثر ذلك أن
أخذ رجال الحركة القومية والنضالية في المغرب العربي ورجال أحزابهم يعلنون
رغبتهم في مشاركة المشرق العربي فيما يدور بين أبنائه من حديث الوحدة العربية
وبرقياتهم فيلنقى بذلك المشرق والمغرب العربيان في محال واحد من الحركة
العربية الحديثة وأهدافها .

ولقد كان قيام جامعة الدول العربية حدثاً خطيراً من دون ريب كان له أثر
كبير فيما نحن في صدد تقريره . ولقد أحيط قيامها بشيء كبير من الطمئنة والاهبة
وكانت بين نشوئها خاصة تمثل كثيراً من آمالي العرب وأهداف الحركة العربية
وتبعث الأمل في تحقيقها مع الزمن ثم أخذت تشغل الأذهان وتغلب الإسماع بما
كان من اجتماعاتها التي كانت تتوالى والتي كانت تقوم رجالات العرب السياسيين
البارزين ليتحدثوا في مصالح العرب المشتركة السياسية وغير السياسية ويتخذوا
المقررات ، وكانت ترافق رحلاتهم واجتماعهم وأحاديثهم وخطبهم ومقرراتهم
جلية وضجة دعائية في الأوساط والصحف فيكون ذلك كله من مقويات الشعور
بالقومية العربية والاحاء العربي العام واتساع نطاقه .

ولقد كان تأثير الحركات الوطنية والنضالية بنوع خاص مهماً من جهة ومزدوجاً
من جهة أخرى في اتساع نطاق الوعي القومي وتطوره . ولقد ظلت تقوم منذ
انتهاء الحرب العالمية الأولى في كل بلد من بلاد العرب جمعيات وأحزاب واجتماعات
ومؤتمرات ومظاهرات واضرابات ومقاطعات ودعوات دعائية وثورات دامية
تسببها الخسائر من شر الاجني واحتلاله ودمائسه وعنفه والتمرد عليه
والاستمتاع بالحرية والاستقلال والعزة القومية ، وتنبيه الشعور القومي في الامة
وتأليبها وتوجيهها نحو الهدف ، ولقد كانت تشتد أحياناً فتكون سيلاً جارفاً
ينحرف فيه جميع طبقات الشعب وينتظم فيه القطر الذي يشتد فيه من اقصاد الى
اقصاد وتهم كياناً هنأ شديداً وترتفع فيه روحه الى رفيع درجات البطولة

والاستمارة وتأجج ناره حتى يصل لهيبها الى عنان السماء فتلفت أنظار العالم وتزعج المستعمر اي ما ازعاج . وليس من بلد من بلدان العرب في المشرق والمغرب الا سجلت صفحات كثيرة من البطولة وخلدت صوراً عديدة للحركات القومية والنضالية القوية الرائعة في اشكال ومناسبات عديدة . فمن الطبيعي بالاضافة الى ما كان في هذه الحركات من مظاهر قابلية الأمة وقواها الكامنة في مختلف اقطارها ان يكون لها اثر فعال في تكوين روح الشعب وتقوية شعوره وبالذاتية القومية وايقاظ وعيه وتطوره .

ومن جهة اخرى فانه لم يكن يقوم في بلد حركة نضالية حتى تسترعي انظار وأذهان البلاد الاخرى فتثير فيها عاطفة الاخوة والحاس وتدفعها الى التضديد المادي والمعنوي أو كلاهما وبالتالي تقوى شعور الاخوة القومية العامة ومفهوم المصاحبة المشتركة العامة وواجب التضامن القومي العام .

ولعل اثر حركات فلسطين ودورها في صدد ما نحن فيه اشد وأبرز . فالذين حملوا عبء الحركة الوطنية فيها رأوا منذ البدء انهم امام عنة شاقة وغزوة بعيدة المدى لاثبت ما عرضت له البلاد الاخرى من محن وان بلوهم بالاضافة الى خطورتها ليست محلية طارئة يمكن ان تزول بضعف الغازي المستعمر وتطورات السياسة العالمية . فمن جهة قاموا بواجب نضال محلي بقدر ما طاقته قواهم وبنيتهم وروحهم واستطاعوا ان يسجلوا صفحات خالدة في مختلف ادوار النضال . ومن جهة قاموا بدعوة مستمرة قوية لثبته العالم العربي خاصة والعالم الاسلامي عامة الى ما يحدق ببلاد العرب ومقدسات المسلمين من اخطار اذا ما تمكنت اليهودية ورسخت قديماً في فلسطين . وقد كانت دعوتهم تلقى اذنا سامعة وتجاوباً حسناً بمض الشيم تبادل بلاد العرب والمسلمين الى تأييدهم بالظاهرات والاحتجاجات والتشكيلات والمساعدات المادية والمعنوية والاشترك في الجهاد الدموي وجهود المؤتمرات التي كانوا يدعون اليها ويعقدونها في فلسطين وغير فلسطين ، ولم تلبث الحكومات العربية ان اندمجت في ذلك كله اندماجاً لم يسع الحكومة الانكليزية الا الاعتراف به اثناء اقتدائها المشؤوم وتسايه بما كان من اشراكها في الابحاث

والمؤتمرات التي جرت. وعقدت للنظر في حل مناسب للقضية الفلسطينية فكان هذا بالرغم من انه لم يصل الى نتائج حاسمة بسبب ضعف بنية العرب العامة وروحهم وسيلة لتقوية شعور اهل فلسطين بما بينهم وبين العالم العربي من اخوة ثم كان في نفس الوقت وسيلة لتكثف الأفكار والجهود في مختلف اقطار العرب وتلاقيها ثم صعيد واحد مما كان نظيره ما كان من ادوار هذه القضية وحريها الشعبية والرسمية والندماج جميع العرب شعوراً وحكومات فيها وما كان له تأثير ايجابي قوي في قوة الشعور القومي العام وتطوره . واذا كانت النهاية الخاطئة التي انتهت اليها قضية فلسطين وما كان في اثناء الحرب الفلسطينية وما بعدها من احداث اليمية محزنة قد زلزلت ثقة العرب في أنفسهم وخيبت ما كان يحيش في صدورهم من آمال واثارت ارباباً وتجهماً شديدين في دنيا العرب فانها لم يكن من شأنها اضعاف الوعي والشعور القوميين ، بل لعلها كانت من مقوياته بما يمد من مظاهر هذه الالة المريعة والشعور بالكرامة القومية المبهمة والجرح البليغ في جميع بلاد العرب واسماطهم .

على ان من الحق ان يقال مع ذلك كله ان هذا الشعور والوعي القومييين العاميين هما أيضاً ضعيفان وسليبيان وجامدان وان ضعفها وسليبيتها وجردتها عثرات شديدة في سبيل هدف الوحدة او الاتحاد العربي وسائر الاهداف التي يتحقق بها التضامن والتوافق والانسجام والتمازج بين الشعوب العربية على اختلاف اقطارها لصلح مصالحها المشتركة على اختلاف انواعها .

ولقد اوجد اقتضاء حقبة طويلة على نشوء الكيانات العربية المستقلة العديدة التي نشأت نتيجة لسياسة الترتين والتوهين التي انتهجتها فرنسا وبريطانيا في الحرب العالمية الاولى وبمدها في كثير من ابناء الاقطار العربية ذهنية الاقليمية الضيقة واعتباراتها فصاروا يرون لهم فيها مصالح ومآرب قد تفوتهم اذا ما اشتد الوعي القومي والشعور بالاحاء القومي العربي العام اشتداداً قوياً متحركاً بذاته واتجه نحو تحقيق تلك الاهداف فعدوا لايئون عن اقامة العراقييل وتحريرك الثيبارات المضادة لذلك الوعي والشعور . ويفعل هذا كذلك الشعوبيون المستعمرون

باللسان دون القلب والأعداء المتربصون بالامة العربية دوائر السوء ايضاً ، وهذا فضلاً عن مصالح الأسر الحاكمة والمالكة والرفيعة واعتباراتها التي هي من العقبات الكأداء المضادة كذلك .

فكل هذا مما يستدعي بذل الجهد الكبير العاجل المستمر في سبيل تنمية الوعي القومي العربي العام تنمية جماعية تتناول جميع الأقطار العربية وتقويته وتحريكه حتى يصبح قوياً متحركاً بذاته منتجاً نحو الأهداف القومية المذكورة وقادراً على املاء إرادته بذلك على الرؤساء والحكام ويتغلب على مختلف التيارات والعقبات والعراقيل .

والشباب مدعوون الى هذا الواجب كما هم مدعوون الى الواجب الأول فعملهم ان يتفرغ فريق منهم في كل قطر لهذا الواجب القومي العظيم . أما الوسيلة الى القيام به فاما عقد مؤتمر عربي عام شامل يشترك فيه ذوو الخطر ممن يعتقدون الفكرة العربية وأهدافها في كل بلد عربي فينتفقون على منهج شامل سياسي واجتماعي وثقافي ودعائي لتحقيق الأهداف المذكورة وينشئون للمؤتمر فروعاً في كل بلد تتفرغ لتنفيذ المنهج وتتوصل الى كل ذلك بكل وسيلة وتنتفع من كل فرصة بل وتخلق الفرص المفيدة ايضاً . واما بتأليف حزب قومي عام يوضع له مثل ذلك المنهج وتؤسس له فروع واندية في كل بلد فتتفرغ للسعي والعمل في سبيل تحقيق المنهج .

ونؤكده خاصة على فكرة التفرغ بحيث لا تشغل هذه المنظمة بالسياسة الاقليمية ومشاغلا الا بالمقدار الذي يتصل بالأهداف العامة القومية والمنهج المتفق عليه .

ونحن نعرف انه جرت محاولات في سبيل عقد مؤتمر عربي عام في عام ١٩٣٢ ثم في سنة ١٩٤٦ ثم ١٩٥١ فاختفت . غير ان الاخفاق لا يجوز ان يكون سبباً لاجمود ازاء هذا الواجب القومي . ولعل تجربة الاخفاق هذه تعلي القول بفضل تأسيس حزب قومي عام بغير طريق المؤتمرات . ففي كل بلد من بلاد العرب فريق كبير من الشباب والشكول مستعدون للتجاوب فيما نعتقد اذا قام بالدعوة جماعة مؤمنة دؤوبة متفرغة لها .

هذا ، و نعتقد ان في استنطاعة الدوائر الاجتماعية والثقافية الحكومية ومن
واجبها ان تساهم في حل مشكلة التنظيم الشعبي من الناحية الاجتماعية على الاقل
بحيث ترسل بعثات الاختصاص بالتنظيم الشعبي والاجتماعي وتعهدها بالاشراف
على اندية الشباب ومنظماتهم على اختلاف انواعها وتوجيهها ومدها بالمساعدات
المادية وتشجيعها على التوسع والتغلغل بالاحياء واقصى سبيل الاعمال
والاهداف الاملاحية والاجتماعية والصحية والتهديبية والثقافية والرياضية الخ.

(٧) مسألة المرأة العربية

- ١ -

وهذه مسألة خطيرة يجب أن يكون لها حل كبير في معالجاتنا القومية . فالمرأة أحد الركنين الذين يقوم عليهما بنيان الأمة فضلاً عن كونها الأم والمربية ورب البيت . وكل هذا يسبغ على مسائلها خطورة عظيمة ويجعل لها آثاراً في حاضر الأمة العربية ومستقبلها تختلف قوة وضعفها وسلباً وإيجاباً وفساداً وإصلاحاً حسبما تكون عليه حالة المرأة العربية وحركتها وسيرتها ومركزها في الدولة والمجتمع والأسرة .

ولقد كان هذا الموضوع من المواضيع التي اعتم لها الناصحون من الأمة العربية منذ بدء اليقظة الحديثة ، وكانت من أهم المواضيع التي دار حولها البحث والجدل والاختلاف والرد والتجاذب والتدافع بأساليب عديدة واعتبارات متنوعة .

فالشباب العرب الذين احتسكوا بالغربيين أو تعلموا في بلادهم لمسوا ما تقوم به المرأة الغربية من أدوار مهمة في حياة المجتمع عامة وفي حياة البيت وتربية النشء خاصة ، وما تتمتع به من نصيب كبير من الحرية ، وما هي عليه من الثقافة التي تساعد على القيام بتلك الأدوار ، فآخذوا يتعنون بحل المرأة العربية وخاصة المسألة وإهملوا وما هي فيه من ضيق وحرمان وعزلة وقيود ويدعون إلى تعليمها وتحريرها وأخذ فريق منهم يدعو إلى سفورها ويرى أنها لا يمكن أن تؤدي الأدوار العظيمة التي تترتب عليها في المجتمع والأسرة ولا يمكن أن تال ما ينبغي أن تاله من العلم والثقافة والمركز الاجتماعي إلا به .

ولقد نقل في هذه الاثناء عن الغرب ما يوجه كتابهم وباحثهم ومفوضهم الى الشريعة الاسلامية من انتقاد ويتهمونها به من جور واستبداد بشؤون المرأة من حجاب وقيود وتجهيل وعزلة وطلاق وإرث وتعدد الخ ، فانبرى الكتاب والعلماء المسلمون لرد عليهم ، يدفعون عن الشريعة الاسلامية ما نسب اليها من جمود وقصور واستبداد وقيود ، ويبينون الحكمة فيها احتوته من شؤون الطلاق والتعدد والارث ، ويقررون انها لا تمنع بل تحت على تعليم المرأة وانها قد ضمنت لها من الحقوق ما لا نظير له في الغرب ، ويضربون الأمثال على ما كان لها في المصور الذهبية الاسلامية من مكانة وحرية وأثر عظمي وأدبي وسياسي وينسبون ما يمكن أن يكون واقعاً عليها من تشديد وتقييد وإرهاق الى الجهل الذي ألم بالمسلمين في سلسلة قرون انحطاطهم وجمودهم ، ويؤيدون الدعوة الى وجوب تعليمها وتمتعها بما قررت له الشريعة من حقوق وحرثات وينهون على قبج ما اعتيد عليه من عادات مغايرة للشريعة نصاً وروحاً .

ومن الحق أن يسجل بأن ما كان من أخذ ورد وبيان حول حقوق المرأة وما أورد في هذا الصدد من النصوص والأمثلة الدينية والتاريخية قد جلا تلك الوسمة التي حاول الغرب الصاقها بالشريعة الاسلامية جهلاً أو عمداً ، وجلا بصورة ساطعة الأسباب الحكيمية والشروط الشرعية المعقولة في الطلاق والتعدد والارث . وكان عاملاً من جهة أخرى مع تقدم الزمن والتعليم وانتشاره على تقدم المرأة في مضمار التعليم أشواطاً غير يسيرة وعلى انتشار النفرة من التعدد والطلاق بدون سبب معقول وشرعي ، وعلى تبدل موقف الرجل من المرأة ومعاملتها بالحسنى والاعتراف بحقوقها ودورها في الحياة وخاصة في الأوساط النيرة ، فالحجرات عقد كثيرة في صدد تعليم الفتاة وزواجها وطلاقها وارثها وحرثها وحقوقها وضعفت أو زالت عادات قبيحة ظالمة ، وذهنيات كريمة نحوها ، ونهياً لها هذا المجال الواسع الذي هي فيه اليوم .

وإذا كانت معركة السفور والحجاب ظلت ناشبة مدة غير قصيرة بل وما زال
قائمة الى الآن في مختلف الأوساط والانحاء مع ما طرأ عليها من خفة حدة وتراخ
فإن ذلك راجع لأسباب أخرى . فتقليد الحجاب قديم استقر في الأذهان أن
له أصلاً دينياً شرعياً ، وهو ذو علاقة وثقى بموضوع العرض الحسن وما يمكن
أن يجر اليه التخلي عنه من أمور لا تهم بسهولة ويسر ، وضيق نطاق التعليم
وقوة أثر الذين كانوا يلتزمون الجانب الحجابي ويرجعونه الى أصل ديني ،
وقيامهم بدولة الخلافة التي كانت روح المحافظة هي السائدة المستحكمة فيها ، كل ذلك
كان له أثره بطبيعة الحال . ومع ذلك فإن طرفي المعركة كانا متفقين أو كالتفقين
على الأسس الأخرى من ناحية ضمان الشريعة لحقوق المرأة ومركزها وتعليمها
والدعوة الى ذلك والاعتراف بأن ماهي فيه من مركز غير مستحب هو متناقض
لنصوص الشريعة وروحها ، وهذا ما ساعد ولا ريب على انحلال تلك العقدة وزوال
كثير من تلك العادات والذهنيات البغيضة .

وتستطرد الى القول ان الذين نسبوا الحجاب وتغيير أدق النقاب الى أصل
قرآني قد حملوا النص ما لا يحتمل ، وغفلوا عما كان عليه الأمر في صدر
الاسلام الذي كان هو الأقرب عهداً وفهماً للقرآن حيث كانت المرأة تشارك
الرجل في المسجد وتشهد مجالس النبي وتشارك في النزوات وتقوم بكثير من
الأعمال النافعة فيها الى جانبه ، ولم يتفقدوا الى ما هنالك من تناقض بين ما قرروه
بحق من صلاحية الشريعة الاسلامية للخلود وتمشيها مع كل زمن وحين فهم كونها
فرضت أزياء وأشكالاً خاصة في اللباس والأزياء التي هي عرسة للتطور والتبدل
الدائمين ، ولو كان الأمر كذلك حقاً لوجب أن يكون كل شكل وزين كان
جاريّاً في عهد النبي هو وحده الذي يجب أن يظل جاريّاً بالنسبة للرجال والنساء
معاً بما لم يقل به أحد ولم يجر عليه أحد في صدر الاسلام وبعده ؛ ولم يدركوا
بالتبعية بداهة كون الآيات القرآنية ليست في سدد فرض زي خاص للمرأة المسلمة

ثابت على الدهر وإنما هي في صدد ظروف خاصة في زمن خاص من جهة وفي صدد الحث على التعفف والاحتشام والبعد عن مواقف الريبة والأذى من جهة وفي صدد تنظيم دخول الناس على بعضهم من جهة كما يمكن أن يظهر ذلك واضحاً لكل من يعمّن النظر فيها ، ثم هي ليست على كل حال في صدد لف المرأة المسلمة بذلك اللغاف الذي سمى الزكينة بحق ، وتنقيب وجهها بالنقاب الذي كانت موضوعاً من مواضيع المعركة والذي لا يمت بأي سبب إلى الإسلام وإنما هو ذي خاص ظهر في بعض العصور الإسلامية المتأخرة . والروايات والكتب التي وصلت إلينا عن ذلك الصدر بصورة لا تقبل التأويل والمارة بأن المرأة المسلمة في القرن الإسلامي الأول لم تكن متلففة ولا متنقبة كواجب ديني وأنها كانت ترى الناس ويرونها وتحضر مجالسهم ويحضرون مجالسها . ومن النساء من كن يعقدن في بيوتهن مجالس الأدب ويتزعمن الحركات والأحزاب السياسية والحزبية ويشغلن حيزاً واسعاً في مجال الحياة السياسية والاجتماعية والعلمية والأدبية ومن هؤلاء من هن أقرب الناس إلى النبي كمائسة وسكينة . هذا عدا أن اكثريّة النساء المسلمات الساجدة كن وما زان مسافرات مشاركات للرجال في جميع مجالات نشاطه دون أي انكار وجدل ونفي بهن مكان القرى والأرياف .

- ٣ -

ولقد تطورت الحالة بعد الحرب العالمية الأولى تطوراً عظيماً حيث هزت الحرب الناس هزاً عنيفاً وجعلتهم راضخون للواقع في كثير من وسائل الحياة ومظاهرها واتسع نطاق التعليم وشمل الفتيات بنفس السعة تقريباً التي شمل بها الفتيان وأخذ المتشددون يتوارون طبقة بعد طبقة وأنصار المرأة وسفورها وحقوقها يكترون يوماً بعد يوم بالمقاومة . وكان فيما كان الانقلاب السككي الذي نسب الحجاب فيها نسب ، وتابعت أراكت تركيا في ذلك فكان هذا مما هيأ الميدان لنجاح معركة السفور عملياً في بلادنا بعد أن رجمها نظرياً قبل الحرب المذكورة .

وقد كانت مصر وخاصة القاهرة الميدان الأوسع للتنفيذ قبل الحرب العالمية الثانية بسبب تفوق هذه المدينة على غيرها من العواصم العربية في الكثافة والثقافة والصحافة والحياة والمشاهد والمظاهر . وكان زعيم حركة مصر الوطنية الأكبر سعد زغلول الذي كان من أقوى أنصار قاسم أمين صاحب دعوة تحرير المرأة ومن أنصار المرأة وسفورها فاستغل زعامته الشعبية ودفع السفور الى الأمام دفعة قوية في سنة ١٩٢٢ حيث مزق بيده في أحد المواقف الوطنية أقبعة بعض النساء . وحيث كانت زوجته قدوة لغيرها ، وحيث أخذت حركة السفور بعد ذلك في القاهرة والاسكندرية تتسع وتتقدم بخطوات واسعة . حتى لقد شهدنا المعرض الزراعي الصناعي في القاهرة سنة ١٩٣٣ فلاحظنا أن النساء السافرات كن كثيرات الى درجة كان عدد المنقبات قليلاً جداً بالنسبة اليهن ، وقد أبدينا ملاحظتنا هذه الى بعض أصدقائنا فقال ان هذا محصول ست سنين فقط ، وان النساء السافرات كن هن القليلات في المعرض الزراعي الصناعي الذي أقيم في نفس المكان قبل ست سنين .

ثم جاءت الحرب العالمية الثانية فأثرت هي الاخرى تأثيرها القوي العنيف وأخذت خطوة السفور تتسع بحيث يمكن أن يقال أن السفور في مصر قد تولد وكاد يندو مألوفاً في المدن وأن المرأة المسلمة المصرية أخذت تبرز مسافرة في الحافل والمشاهد على اختلاف أنواعها الى جانب الرجل دون ما حرج ولا تحفظ ، واذا كان بقي في المدن نساء متنقيات أو غير بارزات فإن هذا بقية من مظاهر استمرار التقليد في الأوساط المحافظة . وهذا المظهر مازال موجوداً في تركية وإيران والهند والباكستان واندونيسيا مع أن السفور والبروز موطدان فيها ، وقد أخذت بلاد الشام والعراق تخطو هي الاخرى خطوات واسعة في هذا الميدان حتى غدا السفور في مدنها وخاصة في كبرها مألوفاً وحتى لم يعد من حرج ولا تحفظ فيها من بروز المرأة مسافرة في الحافل والمشاهد على اختلاف أنواعها الى جانب الرجل مثل اختها المصرية . وقد غدت المسألة مسألة وقت أكثر منها مسألة فكرة ليكون السفور علماً في المدن العربية كما هو الأمر في الانقطار

الإسلامية الأخرى . وقد خصصنا المذنب بالذكر لأن المرأة العربية المسلمة في الريف مسافرة بارزة منذ الأصل ومشاركة للرجل في مختلف مجالات النشاط .

— ٤ —

وقد أصبح من الواجب التفكير في النهج الذي يجب أن يسار عليه بمد أن وصل الأمر إلى هذا الطور . فهناك فريقان من الأمة يقف كل منهما في طرف، أحدهما يندد بالسفور وما أخذ يستتبعه من الدعوة إلى فتح كل باب للمرأة وانطلاقها في كل مجال ومزاحمتها للرجل في كسبه ومجال نشاطه وتطلعها إلى مشاركته في كل شيء ويدعو إلى إبقائها في حدود بيتها . وثانيها يندد بذلك ويقرر المساواة التامة بين الرجل والمرأة في المواهب والقابليات والحقوق الخاصة والعامة وحققها في الاستمتاع بكل ما يستمتع به الرجل من لهُو وجد ويرى في تقييدها ومنعها عن ذلك عبثاً لا مبرر له .

أما إن المرأة مساوية للرجل في الحقوق والواجبات العامة وفي الأهلية المدنية فما لا سبيل إلى إنكاره كما لا سبيل إلى إنكار ما يستتبع هذا من كونها ركناً مساوياً له في الدولة والمجتمع والأسرة ومن حقها ممارسة تلك الواجبات والحقوق في مختلف المجالات الحكومية والشمسية والاجتماعية والاقتصادية وفي التهيؤ لها بنبيل اقصى ما يمكن نيله من ثقافة فنية وعلمية ومهنية أسوة بالرجل دون قيد وشرط . وهذا مؤيد بالقرآن الذي هو نبراس المسلمين والذي خاطب المرأة بجميع ما خاطب به الرجل وكافها بجميع ما كلف به الرجل من تكاليف دينية ودنيوية واجتماعية واقتصادية وسياسية وحملها تبعاتها المادية والمعنوية والدنيوية والاخرية واعتبرها تامة الأهلية والتصرف من الوجهة المدنية والمالية دون ما يفرق ولا تميز عن الرجل . وما ورد في القرآن من بعض النصوص التي تجعل الرجل مقدماً أو فاضلاً عليها في بعض الحالات فهو متصل بخصوصية حياتها الزوجية والجنسية وليس من شأنه تقض ما قرر لها من الحقوق والواجبات العامة والأهلية المدنية التامة والتعارض معه .

وتدور الآن في مصر معركة جدلية بمناسبة تطالع المرأة الى الاشتراك في الحياة النيابية وقد رأينا بعض علماء الدين ينهرون الى انكار ذلك عليها ، ويذهبون في انكارهم الى ان المرأة ليس لها ان تندمج في حياة المجتمع لانها مأمورة بالقرار في بيتها بنص القرآن وأنها ليس لها حق بصفة الولاية العامة التي تدخل الحياة النيابية في نطاقها بدليل عدم ممارستها مثل هذه الصفة من لدن العهد النبوي الى الآن . والنص القرآني بالقرار بالبيت هو خاص بنساء النبي بصراحة النص القاطعة الذي جاء فيه : « يا نساء النبي لستن كأحد من النساء ان اتقين فلا تخضعن بالقول فيطمع الذي في قلبه مرض وقلن قولاً معروفاً . وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى وأقمن الصلاة وآتين الزكاة وأطعن الله ورسوله إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً » . وهذا فضلاً عن أنه لم يقصد بهذا النص تحريم الخروج على نساء النبي كما هو متفق عليه عند جمهور المفسرين والعلماء وإنما قصد به عدم اكثارهن من الخروج لما اختصن به من خصوصيات ومزايا متصلة بالنبي ووحى الله وما يتلى في بيوتهن من آيات الله وحكمته . ومن المتواتر أنه لو كن يخرجن في حاجتهن دون حرج ولا انكار .

والنص القرآني بعدم دخول المسلمين على بعضهم إلا بعد الاستئناس والاذن ليس خاصاً بالرجال دون النساء وإنما هو خطاب عام موجه للمسلمين نساءهم ورجالهم على السواء .

والنصوص الأخرى التي تخاطب المرأة كما تخاطب الرجل في كل ما أمر به المسلمون ونهوا عنه وأباح لهم وحرم عليهم وأوجب عليهم تبساته الدينية والأخوية من تكاليف تعبدية ومالية وبدنية واجتماعية واقتصادية وسياسية اصرح من أن تتحمل متحلاً أو تأويلاً بسبيل انكار حق المرأة أو تحديده أو تضييقه أو تكييفه .

وليس في القرآن نص صريح يمنع المرأة من الولاية العامة ولا من ممارسة أي حق وعمل من الحقوق والأعمال العامة التي يمارسها الرجل . وفي القرآن نصوص صريحة بأهليتها وممارستها لواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وبثباتها الولاء وتضامنها مع الرجل وبهجرتها وخروجها وقتالها وتحملها الأذى إلى جانب الرجل وباستقلالها في الشخصية السياسية ومبايعتها من قبل النبي على ما يأم به عليه الرجال وهي داخلة حقاً في خطاب وعد الله بالاستخلاف في الأرض مع الرجل سواء بسواء كما ترى في الآيات التالية :

١ - فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضهم من بعض فالذين هاجروا وأخرجوا من ديارهم وأوطانهم في سبيلي وقتلوا وقتلوا الأكفريين عنهم سيئاتهم ولأنهم جنت تجري من تحتها الأنهار ... آل عمران ١٩٥

٢ - والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرزون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتُونَ الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله ... التوبة ٧٦

٣ - من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحسبه حياً طيباً ولنجزينهم أجرهم بأحسن مما كانوا يعملون ... النحل ٩٧

٤ - وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ... النور ٥٥

٥ - يا أيها النبي إذا جازك المؤمنات بيايعنك على أن لا يسرنك بالله شيئاً ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن ولا يأتين بهتاناً بفقرته بين أيديهن وأرجلهن ولا يعصينك في معروف فبايعهن واستغفر لهن الله ... المتحنة ١١

وفي كل هذا ينطوي حق التشاور في الأعمال العامة بل وفي الولاية العامة كما هو واضح . ومما يحسن الفت النظر إليه أن آيات آل عمران (١٩٥) والتوبة

(٧٩) خاصة تنطوي على تقرير مواقف وصفات واقعية اندمج فيها المؤمنون والمؤمنات معاً في المحنة وتحمل الأذى والخروج والقتال في سبيل الله والامر بالمعروف والنهي عن المنكر ما لا سبيل الى المرافعة فيه . يضاف الى هذا ان هناك روايات كثيرة منذ عهد النبي وبعده عن مشاركة المرأة في مختلف الاعمال والميادين العامة ، وانه ليس هناك نص صريح من قرآن وسنة صحيحة يوسع المرأة من ممارسة تلك الشؤون التي خوطبت بها كما خوطب الرجل . وإذا كان حقاً أن المرأة لم تمارس مثل هذه الشؤون بنطاق واسع شامل كالرجل فإن هذا لا يمكن أن يعطل الأحكام والتفقيرات القرآنية لأن كتاب الله وسنة رسوله الثابتة هما منبع الشريعة والأحكام الإسلامية ؛ وكل ما في الأمر انه ظاهرة من ظواهر الحياة الاجتماعية السابقة وحسب ما هو عرضة للتطور والتبدل مع الزمن . والحديث النبوي الذي يورد في هذا الصدد وهو « ان يفلح قوم ولوا أمورهم امرأته » لا يرد هنا حجة اذا ما انعمنا النظر ورائدنا الانصاف حتى اذا صبح الحديث . لأن الحديث جاء في سياق النص على أهل فارس لتخليصهم احدي النساء ملكة عليهم في حين أن الكلام هنا يدور حول اشتراك المرأة مع الرجل في سن القوانين التي تطبق عليها معاً وفرض الضرائب التي تجبى منها معاً ومراقبة الحكومة التي تشرف على شؤون البلاد وتديرها والمرأة نصف أهلها وسكانها . وقد روي ان النساء جئن الى النبي يطلبن منه ان يكون لهن بيعة خاصة اسوة بالرجال فأمره القرآن بالإجابة الى ذلك في آية المتحفة (١١) التي قلناها آتفاً ما فيه دلالة حاسمة على اقرار رعية المرأة في الاستمتاع بالمركز السياسي والاجتماعي المستقل عن الرجل اسوة به . وقد جاءت احدي النساء الى النبي تجادله عن نفسها وتشتكي الى الله في سدد مظاهره زوجها لها فزلت آية قرآنية تؤذن بأن الله قد سمع قولها ، وتضمن حلاً للمشكلة التي جاءت تشتكي منها ما فيه دلالة حاسمة على حق المرأة في الشكوى وعلى اقرارها على هذا الحق وتزليل تشريع متسق معه .

ومعلوم أن القرآن لم يبين لشكل وأساليب الشورى كما لم يبين أشكال

وأساليب الحياة العامة والخاصة الا القليل الذي اقتضته الظروف وحكمة التنزيل
 بما فيه دلالة على قصد ترك ذلك منوطاً بتطور الزمن ضمن الخطوط العامة التي
 رسمها الله ورسوله ، وفي انكار تطور الزمن ومقتضياته انكار لهذا القصد
 القرآني ؛ ومنطلق الحياة الاجتماعية الراهنة يجعل حرمان المرأة من ممارسة
 تلك الشؤون التي خاطبها بها القرآن وكلفها بها وحملها تبعاتها كالرجل غير
 متنسق مع واقع هذه الحياة والمصلحة معها ، وهذا سيجعل كل محاولة ضده فاشلة
 حتماً ، فقد قطعت المرأة المسلمة في تركية والهند والباكستان شوطاً شاسعاً في
 الاندماج في حياة المجتمع على اختلاف مظاهرها وأشكالها بما في ذلك الحياة
 النيابية ، وقطعت مثل هذا الشوط في غير الهند والباكستان وتركية باستثناء
 الحياة النيابية . فهي في مصر وسورية والعراق والاردن ولبنان مثلاً مطالبة
 جامعية مختلطة مع الطلاب واستاذة للفتيان والفتيات وطبيبة تعالج الرجال والنساء
 وموظفة تمارس أعمال الدولة ومصالح الناس وحامية وصيدلية وصحفية ومحاضرة
 وكشافة ورياضية ، وتشهد مختلف المشاهد والمجالس العلمية والاجتماعية والأدبية
 الى جانب الرجل ، وقد اعترفت الدولة لها بهذا الواقع وساعدتها عليه على منبر
 جميع الناس ومرآهم وقد منحت في سورية حق التصويت . . . وعلماء الدين الذين
 يعارضون اليوم مشاركتها في الحياة النيابية مندحجون أيضاً في هذا الواقع يسكوتهم
 عن كل ذلك ومشاركتهم فيه بشهودهم المشاهد والمجالس العامة المختلطة وربعاً
 بمشاركتهم بناتهم وقريباتهم فيها أيضاً ، وما دام ان هناك قوانين توضع من قبل
 المجالس النيابية - وهذا شيء لم يكن في القرون السابقة - وتطبق على الرجال
 والنساء وما دام ان كل قانون عام مدني ومالي واقتصادي وقضائي وجزائي شامل
 للمرأة كما هو شامل للرجل سواء بسواء وبدون أي تمييز وتميز ، وما دام ان
 القرآن قد خاطب المرأة بكل ما خاطب به الرجل ، وكلفها بكل ما كلفه وحملها
 كل ما حمله من تبعات ، وقرر فيما قرر ان المسلمين والمسلمات بعضهم من بعض
 وان بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقومون الصلاة
 ويؤتون الزكاة ويعلمون الله ورسوله ، وهي داخلة حتماً في الوصف الذي وصف
 به المسلمون ؛

« والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم
ينفقون » فإن من حقها أن تشترك في بحث ما يوضع من القوانين في هذه
المجالس وفي انتخاب من يشترك بوضع هذه القوانين كالرجال سواء بسواء .

ولا يرد هنا أن القرآن قرر أن الرجال قوامون على النساء ، وإن لهم دونهن
بمخى هذه القوامة أن ينفردوا في وضع القوانين التي تصبى عليهن ، فإن هذه
القوامة هي في صدد الحياة الزوجية وحسب وقد جعل من جملة أسبابها انفاق
الزوج على زوجته كما هو صريح في نص الآية :

« الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض وبما أنفقوا
من أموالهم »

أما في غير الصلات والحياة الزوجية فليس له أي حق عليها ، فهي تراث
وتوصي وتكسب ونهب وتستدين وتدين وتناجر حسبما يترأى لها استقلالها دون
أن يكون زوجها حق في منعها أو القوامة عليها في هذه الشؤون كما يفهم هذا
بصراحة من نص القرآن . وقد أقر لها القرآن إلى هذا بشخصية مستقلة
عن الرجل وعلى قدم المساواة معه في شؤون الحياة والمواقف والشكايف
والواجبات والحقوق والتبعات العامة كما تدل عليه الآيات العديدة التي نقلناها
دون أن يكون زوجها أي حق في منعها والقوامة عليها فيها . ولو كانت قوامة
الرجل على المرأة تتجاوز سقيم الحياة الزوجية الخاصة لكانت جعلت له على
تصرفاتها المدنية والمالية في الدرجة الأولى لأنفسها يحاضر الأسرة ومستقبلها
في حين أن المرأة مطلقة الحق والحرية والأهلية في هذه الشؤون بصراحة تامة
وبانفاق جميع العلماء . فحقها وأهليتها فيما عدا ذلك أولى وأكثر كما هو المتبادر .

والقول بأن اشتغال المرأة بالحياة النيابية معطل لها عن بيتها وأموالها فيه غلو
كبير ، لأن التصويت إنما يكون في كل بضع سنوات مرة واحدة . وبوماً واحداً
ولأن اللاتي يمكن أن يفزن في الانتخاب لن يعدو عددهن العشرات من عديد
اللايين . والنيابة والعمل السياسي بسبيلها لا تشغل الا أقلية من الرجال قد

لا نصل نسبتها الى عشرة في المئة من مجموع الذكور في الاقطار العربية التي أخذت تسير على الاساليب البرلمانية الحديثة ، وجمهورهم في مناجرم ومصانعهم وحقولهم عامين أو أصحاب عمل . وهذا هو شأن النساء بل إن تلك النسبة سوف تكون فيهن أقل بكثير من الرجال . وأقول إن المرأة جاهلة لا تستطيع أن تحسن الانتخاب فيه مقارنة لأن الجبل حينما يكون جهل قدر مشترك بين الرجل والمرأة . فإذا كان الجبل لا يمنع الرجل من الانتخاب فلا معنى لأن يكون مانعاً للمرأة بطبيعة الحال . ومن المفارقة العجيبة أن يمنع الرجل الجاهل الغني حق الانتخاب وأن يمنع عن المرأة المتعلمة !

على أن مشكلة الجبل ليست أبدية ولن يمضي عشرون سنة على أبعد تقدير حتى تكون قد زالت وتخلص منها كل رجل وكل امرأة فلا يصح أن نورد لنمنع من حق وواجب يستمران أبداً ما دامت هناك حياة مجتمع مؤلف من الرجال والنساء .

وعلى كل حال لا يداخلنا شك في أن ممارسة المرأة المسلمة العربية للحياة النيابية وغيرها من شؤون الدولة والمجتمع العامة أمر واقع لا محالة عاجلاً أو آجلاً ، وإن كل محاولة مانعة ليس من شأنها مما قويت أن تعطل ذلك ، فمن الخير والحق أن لا يقف علماء الدين الاسلامي الذي رشحته مبادئه ومرونته وأحكامه وشموله وإحاطته واستجابته لكل حاجة ، وتمشي مع كل زمن وظرف للخلود ، موقفاً لا يتناسب مع هذه الصفات السامية التي اتصف بها هذا الدين ، وسيقف علماء الدين النثرون بعد أمدٍ ما موقفاً مناقضاً له .

- ٦ -

ومع تقريرنا ما قررناه نقول أن نصروح القرآن وتلقياته انطوت على تقرير كون ربوبية البيت والأئمة والزوجية الصالحة الأئمة من أهم مهام المرأة المسلمة ومجالاتها . وقد أوجبت عليها الاحتشام انما في الزي واللباس والسلوك

أمام غير محارمها من الرجال ، كما أوجبت عليها اجتناب الفسنة والاعراض ومواقف
الريبة وكل ما يؤدي الى الانحراف والشذوذ . ويعرضها للأذى ، وأوجبت على
الرجل نفقتها . فمن الواجب والحالة هذه أن تراعى التوازن والتوافق بين هذه
الواجبات وتلك التقريرات ، وأن لا يسمح لأحدهما بأن تعلني على الأخرى
بل وأن لا يسمح لواقع اندماج المرأة في حياة المجتمع ومجالاتها وحققها في ذلك
بأن تعلني على وظيفتها الطبيعية وهي الأمومة وربوبية البيت والزوجية الصالحة
وتنشئة الأبناء .

ومن الواجب من أجل ذلك أن يتخذ دعاة الانطلاق في دعوتهم الى الانطلاق
دون قيد وشرط وتحفظ وفي جميع مجالات الهمم والجد كل الانتباه . ولا سيما
أنهم يعرفون من دون ريب أن أدباء الغرب وعلماءه قد ملأوا المكتبات وشغلوا
المطابع بما كتبوه ويكتبونه منذ أمد غير قصير في موضوع المرأة وما كان من
انطلاقها المفرط من آثار في حياة المجتمع والأسرة وما كان منه وما يكون من
فواجع دامية ووقائع حاطمة ، وما عاد على المرأة نفسها من جرأته من أخطار
وأضرار وما تعرضت له من مأزق وعقد ومشكلات ، وما انفتح على المجتمع منه
من أبواب الفوضى والإباحة والمفاسد وزعزعة بنيان الأسرة والمشاكل الاقتصادية
من جرأه مزاحمة المرأة للرجل في ميادين الأعمال حتى الشاقة منها وخلق البيت
من ربته وحرمات الطفل من عاطفة أمه وحنانها والجنوح الى التفلت من الحياة
الزوجية وقيودها الخ ..

واقعد أخذت بوادر هذا كله وآثاره تبدو في بلادنا نتيجة لتيار الغرب
والدعوة الانفلاكية وخاصة في مصر التي كانت الميدان الأوسع لخطوة السفور
حيث أخذت طبقتها الرفيعة تسبغ الاختلاط الواسع والتبرج الشديد والمشاركة
في المسابح والمراقص والملاهي والمماقرة وكشف المفاخر أمام غير المحارم وحيث
أخذت تقع المتآسي الاسرورية وحيث بات الخوف يساور الناس من اشتداد التيار
وعدواه للطبقات والبلاد الأخرى .

وأخوف ما يخاف منه أن تنخدع المرأة العربية بالدعوة الانطلاقية التي فيها على كل حال دعوة الى حريتها وحقوقها فلا ترى جوانب الأخطار والأضرار والمتاعب التي تكثفها ولا تلبث أن ترى نفسها في وسط بلائها .

وهذا مما يجعلنا نلج على أصحاب الدعوة الانطلاقية بالانثاد والتدبر في الأمر ، وأن يجهدوا فيما كان في الغرب وفيما أخذ يقع عندنا غظة ونذرا ، وعليهم أن يذكروا أنه مهما كان المرء تواقاً للتمتع بالحرية والانطلاق وأن هذا حق له فإن ذلك لن يتيسر له بسبب ما يكتنف الحياة الاجتماعية من عقد واعتبارات لا سبيل الى تجاهلها ، وإن يتسنى للمرء أن يحمل الناس على احترام حقوقه وكرامته وأن يحتفظ بينهم بحسن الانحدوة والاعتبار لمصلحته المادية والمعنوية معاً الا اذا راعى ظروفها كثيرة هي التي تعلي على البشرية ان تضع قوانينها ونظمها وتقاليدها السياسية والاجتماعية والاقتصادية والسلوكية . ومهما قال الانطلاقيون فإنهم لن يستطيعوا أن يكابروا في أن الطبيعة قد جعلت لكل من الرجل والمرأة وظيفة مختلفة وان هذا يقضي بان يكون لكل منهما خصائص وتقاليد ومجالات خاصة دون أن يكون في هذا الاختلاف ضير او تهضم او اجحاف او تناقض لأنه يمت الى الاختلاف الطبيعي ، ولأنه شرع على السواء لكل منهما حيث يتيح لكل منهما ما يبيح ويوجب على كل منهما ما يوجب ، وخاصة مادام هذا لا يعني حرمان المرأة من الاعتبار والاحترام وممارسة الحقوق والواجبات العامة والخاصة التي قررهما وضعتها لها شرعنا على أفضل ما يكون .

ويجب أن لا يذهب عن بال أحد من النساء أو من دعاة الانطلاق من أن الانراط في الاستقبال والتبذل في الاختلاط في جميع المجالات والخفة في الخروج وخاصة الاندماج في مجالات اللهو والملاهي والمسابح والساحر والمراقص والمنازله والخلوات والنبرج يؤدي من دون ريب الى اغراء الرجل للمرأة والمرأة بالرجل ، وكثيراً ما يسوق كلاً منهما الى نسيان ما عليه من واجبات وما هو مقيد به من روابط وعقود أولاً ويسبب المآتي والنكبات الهادمة لبنيان الأسرة ثانياً . ويجب

أن يذكرها حقيقة لا يصح المكابرة فيها وهي أن الرجل بطبيعته هو المهاجم
وكثيراً ما يكون طالباً لتطمين هذه الطبيعة دون أن يهتم بالظروف والقيود
والعقود والنائج ، وقوته وطبيعته الجنسية تجعلانه في نحو من السقوط وسوء
المقابلة في أغلب الوقائع والحوادث والضرر والشر من هذا الإفراط واقعان على
المرأة قبل الرجل بل وقد يكونان واقعان عليها دونه . وهذا فضلاً عما يؤدي
إليه هذا الإفراط من نفقات عظيمة تنوء بأكثر الناس وقد يسوق في ظروف
كثيرة إلى الآثام والجرائم الأخلاقية والاجتماعية .

ولقد أخذت عادة التأخر في الزواج تنتشر بين الشباب ، ومع أن الغلو في
المهور ونفقات الأعراس أسباب مهمة لذلك فإن الإفراط الذي نحن في صدده
دخلاً قوياً فيه أيضاً حيث يفسح المجال لكثير من الشبهاب الاستمتاع البري
وغير البري مما يجعله غير متعجل للزواج . وما يحذر التنبيه عليه هنا هو أن
رغبة الفتاة في الحياة الزوجية أشد من رغبة الفتيان ، وأن كثيراً من الشباب
لا يتورعون عن استغلال هذه الرغبة في ذلك الاستمتاع مما يقع وباله على الفتاة
في الدرجة الأولى .

والاثنا الذي ندعو إليه في الدعوة الأخلاقية يشمل كذلك فتح مجال
العمل والكسب للمرأة على مراعاه . فهما سكن الدعوة إلى ذلك ذات وقع
خلاف بالنسبة للمرأة فإن من الواجب أن يذكر الداعون أن في ذلك تضيقاً على
الرجل في ساحة عمله واحتمالات كسبه ومقاديرها وخاصة بالنسبة لبلادنا التي
ما تزال بمجالات الرزق ضيقة فيها . وفي هذا تضيق في نفس الوقت على الزوجة
والأولاد الذين حملت تعاليدنا واجب الانفاق عليهم على الرجل . كما أن فيه
تعباً للمرأة لعبء إعالة نفسها دون ماضورة لأنها واجدة من يضع لها ذلك .
وفيه إلى هذا وإن صرف الرجل عن إنشاء أسرة بسبب ما يكون في حاجة إليه من نفقات
لاتحتملها ظروف ساحة كسبه الضيقة وحسب المرأة عن التقيد بقبول الأسرة
واغراء لها بالانطلاق من هذه القيود وانفصالها عنها سوف تنوء به عاجلاً

أو آخلاً وحرمانها مزايا عظيمة تتسق مع طبيعتها الجنسية وهي الأمومة وربوية البيت وسكينة العيش . وفي كل هذا ضرر يبين على الرجل والمرأة والمجتمع على السواء .

ونستذكر بأن ما نقرره هو ما يجب أن يكون قاعدة عامة وما هو من نتائج فتح باب العمل للمرأة على مصراعيه ، وأنه لا يسري على ما يمكن أن يكون هناك من ضرورات وظروف تجعل بعض النساء مضطرات إلى العمل أو على ما يمكن أن يكون هناك من مبادئ تكون المرأة فيها أوفر استعداداً وأكثر لياقة فليس في هذا وذاك مانع وضرر بطبيعة الحال وخاصة إذا شير فيهما في نطاق القصد والاعتدال .

- ٧ -

من أجل ذلك كله يجب أن يكون وضع المرأة في الدولة والمجتمع والأسرة وفي صدد ممارسة مالها من حقوق وعليها من واجبات وفي صدد البروز والمظهر والعمل وفي صدد صلاتها بالرجل وحياتها الزوجية والبيئية متسقاً مع المنطق والمصلحة ، بعيداً عن الإفراط والتفريط ، متطابقاً مع مناهجنا الدينية الصافية التي قررت وضع كل شيء في مكانه الملائم بدون إفراط ولا تفريط . وما نحن أولاء نورد فيما يلي ما نعتقد أنه متسق مع المصلحة والمنطق ومتطابق مع مناهجنا الصافية من قواعد وحدود :

أولاً - في الأزياء والاجتماعات :

- ١ - لامانع من ظهور المرأة العربية المسلمة سافرة .
- ٢ - يجب عليها الاحتشام في الثياب والزينة وستر المفاتن حينما تكون تحت انظار غير محارمها من الرجال .
- ٣ - لا يجوز لها أن تراقص الرجال ولو كان في مرفص خاص .
- ٤ - لا يجوز لها أن تقضى الحانات وأماكن اللهو المريبة ولو كان معها محرم .

- ٥ - لا يجوز لها أن تتعاطى المسكرات في أي حال .
- ٦ - لا يجوز لها أن تشترك في المسابح والرياضات عارية أو شبه عارية مختلطة مع رجال غير محارم لها .
- ٧ - لا ينبغي أن تشترك في رحلات مختلطة إلا ومعها أحد محارمها .
- ٨ - لا مانع من شهودها المشاهد والحفلات والاجتماعات العامة البريئة بزيمها المحتشم .
- ٩ - لا مانع من استقبالها رجالاً غير محارمها ولا من زيارتها لهم واجتماعها بهم لمقاصد العمل والنشاط الاقتصادي والسياسي والاجتماعي بزيمها المحتشم .
- ١٠ - لا ينبغي لها أن تكون خفيفة في الخروج والزيارات والاستقبالات الاجتماعية وقلة التكلف ، وعليها أن تكون في ذلك متحفظة معتدلة .

ثانياً - في حياة الأسرة :

- ١ - يجب التأكيد في الزواج والاهتمام لانشاء الأسر والتشجيع عليه من قبل الحكومات والهيئات بالمنح المالية وزيادة المرتبات والأجور والامتيازات والاعفاء المتنوعة .
- ٢ - يجب الكف عن القلوع في المهور والاسراف في نفقات الاعراس ويجب أن تتدخل الحكومات في هذا المجال لضمان القصد والاعتدال فيه .
- ٣ - لا مانع من رؤية الخطيبين لبعضهما واجتماعهما قبل العقد ضمن القواعد السالفة .
- ٤ - يجب العدول بالمرّة عن الزواج الغيبي والاجباري بالنسبة للفتى والقناة على السواء .
- ٥ - يجب فرض المعاينة الطبية على الزوجين ومنع ذوي الماهات والأمراض الخطيرة المعدية من الزواج .
- ٦ - المرأة ربة البيت والرجل هو المكلف بالانفاق .

- ٧ - للمرأة على زوجها ما زوجها عليها من حق التكريم والرعاية والأمانة والصيانة والمساعدة والترفيه .
- ٨ - قوامة الرجل على المرأة لا تعني السيطرة والتحكم والاستبداد والحرمان وإنما تعني الحماية والمساعدة والصيانة والانفاق وحسن الانسجام .
- ٩ - يجب على الزوجين أن يمتعا لجعل البيت مصوناً محترماً متمتعاً بما يمكن من أسباب الراحة ووسائل الترفيه .
- ١٠ - يجب على الزوجين أن يمتعا لتربية أطفالهما تربية دينية وقومية وخلقية واجتماعية صالحة وأن يكونا لهم الأسوة الحسنة في كل ذلك .
- ١١ - يجب ان يكون المثل الأعلى للزوجة « ربة بيت حكيمة وأماً بارّة وزوجة صالحة أمينة » وان يكون المثل الأعلى للزوج « زوجاً كريماً وأباً عطوفاً » .
- ١٢ - يجب ان تكون جميع مسائل الطلاق والتمدد منوطة بالحاكم وان لا ينفذ اي شيء منها الا بعد الحكم وان تكون الاحكام متسقة مع النصوص التي لا تبرر التمديد الا في حالة القدرة والضرورة وضمان العدل ولا تقرر الطلاق الا اذا قصد به الفراق وبعد تمذد الوفاق في نطاق تلقينات التروي والمهل الواردة في القرآن والسنة .

ثالثاً - في صدد الحقوق والواجبات العامة .

- ١ - المرأة والرجل متساويان في جميع الحقوق والواجبات العامة باستثناء ما ورد فيه نص قرآني او سنة نبوية ثابتة .
- ٢ - للمرأة الحق في ان تنال كل ما تقدر عليه وتريده من انواع الثقافة والفنون وأن تشجع على ذلك ويفسح مجاها لها دون قيد وشرط .
- ٣ - للمرأة الحق في ممارسة جميع الاعمال الاجتماعية والسياسية والرسمية وغير الرسمية بما في ذلك الحياة التياية مع الرجل ، وان تشجع عليها وان يفسح مجاها لها .

رابعاً - في سدد الحياة الاقتصادية .

١ - للمرأة الحق التام كرجل في حيازة الثروة والملك وتسييرها والتصرف فيها حسبما يترأى فيه مصلحتها دون قيد وشرط .

٢ - للمرأة الحق التام في نيل استحقاقها في الارث وفق الاحكام الشرعية القائمة على غاية من الحكمة والعدل .

٣ - المرأة الحق في تعلم المهن والفنون التي تساعد على العمل والتكسب على مختلف الدرجات والانواع . غير ان الأولى لها ان تختار ما هو شاق مذهب الانثوية ومشاهدها منها .

٤ - العمل للمرأة في دوائر الحكومة وغيرها يجب ان يكون مقيداً بالقيود التالية :

أ - ان لا يكون لها ثروة واراد خاص يكفلان لها حياة معقولة .

ب - ان تكون اسرتها في حاجة الى مساعدتها وعملها .

ت - ان لا يحول عملها دون واجباتها نحو بيتها وزوجها وأطفالها .

ث - ان لا يؤدي عملها الى انصرافها عن الحياة الزوجية .

ج - ان تعمل في ساحات التعليم والتربية والطبابة والكتابة والمحاسبة والصيدلة والحمامة والبيع والصحافة وما يماثلها من الاعمال دون الاعمال الشاقة المذهبة لأنوثتها .

- ٨ -

وانا لارجو مخلصين من كل مسلم وعربي أن يجعل هذه القواعد وما يدخل في نطاقها ومدادها نصب عينه ، وان يدعو لها ويثبت فكرة التمسك بها ويقف الموقف الحق المخلص للدفاع عنها كما نرجو ان تشغل حيزاً مهماً في مناهج منظماتنا القومية والاجتماعية والتشريعية والتنفيذية ايضاً .

وهذا الرجاء موجه في الدرجة الاولى الى المرأة العربية لانها موضوعه
الخاص . وهي هدف ما يأتي من الشذوذ عنه من ضرر وخطر ومتاعب ومشاكل
قبل غيرها . وعليها ان تتردى في الامر وان لا تنجر في تيار التقليد الغربي
الذي اخذ يحرف بعض الفئات الارستقراطية وفي مصر خاصة ، وان لا تتخذ
نمساقي من الحرية والانطلاق التام .

وكلمة اخيرة يجدر ان توجه اليها . فتقرر حقوقها وواجباتها في الدولة
والاجتمع لا يكفي للمرستها لها بسبب ما طرأ عليها من شوائب متنوعة السدى
ومفهومات متعكسة خلال القرون المظلمة التي تلت عصر الاسلام الذهبي ، والامر
يحتاج الى اعداد واستعداد من جهة والى سعي وجد من جهة اخرى . ورغم
ما اتيح للمرأة العربية من فرص التعليم والنشاط وما كان من كثرة عدد المثقفات
فان الحركة النسوية العربية ما تزال ضعيفة ضيقة النطاق بل نكاد نقول انها
ما تزال عمل تفكيك وترفيع اكثر منه عملاً جاداً يستهدف اهدافاً خطيرة . ولا يزال
في طريقها عقبات كثيرة حتى في مصر التي يبدو ان الحركة النسوية فيها اقوى
منها في غيرها . وهذا فضلاً عن انهاك الكثرة من المثقفات في اللهو واللعب والمظاهر
والسفاف مما جعل كثيراً من الرجال لا يثقون بهذه الحركة ولا يعملون عليها .

فعلى المثقفات من نساء العرب ان يضمن ذلك كله نصب اعينهن وان يوقن
ان كل ما يمكن ان يتفطره من انصارهن هو المساعدة والتشجيع وفسح المجال ،
وان العبء الأعظم انما يقع عليهن ، وان عليهن ان يجددن ويدأبن بقوة وسعة في
سبيل الاستعداد لممارسة الحقوق والقيام بالواجبات من جهة ، وفي سبيل اقرارها
للرأى العربية من جهة ، وفي سبيل بث الثقة في حركتهن وفي انصارهن بل
وغيرهم وكسبها من جهة .

(٨) مشاكل القرية والعمال ومشاريع البر

- ١ -

اولاً - مشكلة القرية .

ان حالة القرية والفلاح سيئة جداً من جميع نواحيها في جميع الاقطار العربية ، واذا لوحظ ان سكان القرى يؤلفون ٧٥٪ من مجموع سكان بعض هذه الاقطار وان هذه النسبة ترتفع في بعضها الآخر ظهر لنا مقدار تأثير تلك الحالة في حياة المجتمع العربي وتتم تقدمه في ميادين الحياة المختلفة .

ومن اهم مشاكل القرية ومن اهم اسباب سوء حالة الفلاح هو سوء توزيع ملكية الاراضي الزراعية . وترجع هذه المشكلة الى اصل غير عادل وغير منطقي في ظل ظروف نشأتها ، فان عدداً كبيراً من القرى التي يملكها الاسر المحدودة في سورية والعراق والاردن وفلسطين قد اعتبر محلولا حين وضع نظام الطابو لأن مزارعيها لم يتقدموا لتسجيلها على اسمائهم خوفاً من الخندية والضرائب والالتزامات فبيعت بالزاد بالثمن بخسة وكانت من نصيب الاغنياء والوجاه والاسر النافذة ، وان عدداً كبيراً آخر منها استغرقته ضرائب الاعشار والوبركو فباعتها الدولة كذلك بالمراد فكانت من نصيب هذه الطبقة ، وان المساحات الكبيرة التي كانت تنزل فيها قبائل البدو سجلت على اسماء مشايخها دون افرادها فصاروا من الوجهة القانونية مالكيها ، وان ما كان لأمرء المالك في مصر من قرى واقطاعات واسعة تكاد تكون معظم أراضيها الزراعية استولى عليها محمد علي باشا وتصرف فيها فاقطع منها ما اقطع لرجاله واختص قسماً منها لنفسه وفعل مثل ذلك في

الأراضي التي استصلاحها ، وما رأى أن يبيعه منها كان من نصيب الأغنياء القادرين دون غيرهم على الأغلب ، وهناك مساحات واسعة تعتبر قانوناً من أملاك الدولة في سوريا ولاردن والعراق ومصر غير أنها لم يكن ينفع منها في السابق بسبب اضلالها وتركها أو ضعف تربتها وحينما أخذت الدولة تهتم لاصلاح شيء منها جنحت الى بيعه بالمزاد فوقع من نصيب الأغنياء القادرين دون غيرهم على الأغلب ، هذا الى مساحات كبيرة من أراضي الدولة قد نهبتها هذه الطبقة ومساحات كبيرة أخرى كانت اقطعت قديماً للامراء والزعماء البارزين من قبل السلاطين وتوارثها الابناء عن الآباء ، ومنها ما أوقف حتى لا تتعرض للمصادرة والاغتصاب.

ولهذا نرى الأفراد والأسر المحدودة يملكون آلاف الدونمات والأفدنة وعشرات القرى والمزارع في هذه الأقطار بينما نرى عدداً كبيراً بل العدد الأكبر من الفلاحين لا يملكون أو لا يكادون يملكون شيئاً ، وانما يشتغلون في أراضي الملاكين مزارعين ومستأجرين وعمالاً .

وما يمكن أن يكون هناك من قرى وأراض مملوكة للفلاحين فإن كثيراً منه ما زال مشاعاً غير موزع توزيعاً مستقراً على أصحاب الحصص كما أن حصصه صئيلة بسبب كثرة النسل والتوزع . ولذلك فإن استغلاله ضعيف من جهة وهو متارزاع وخصام دائم بين أهل القرية من جهة ثانية . ومثل هذا يقال بالنسبة لما يمكن أن يكون هناك من أراض ومزارع مملوكة للأسر القروية أيضاً . وما يمكن أن يكون هناك من أراض مملوكة لأفراد قرويين بعد كل هذا فأكثرهم دون الكفاية من حيث المساحة . وقد تبين من الإحصاءات ان الذين لا يزيد ملكياتهم في مصر مثلاً عن الفدان الواحد هم الأكثرية العظمى بالنسبة للمالكين . ومنهم قسم كبير لا يملك الا قراريط محدودة من الفدان (١) . وما

(١) يستفاد من الإحصاءات التي اطلعنا عليها ان عدد من يملكون أراضي من سكان القطر المصري (١٣٠ و ٧٣ و ٢) شخصاً أي ١٤٪ من سكان القطر فقط . وان من يملكون (٣٨٥ و ١٠١ و ٤) شخصاً أي ٥٢٪ منهم يملكون (٩٧٨ و ٢٠ و ٤) فداناً أي بمعدل ثلث فدان وأن (٧١٨ و ٥٣) شخصاً أي ٢٠٪ منهم يملكون (٣٦٧ و ٦٢) وأن (٢٦٢ و ٦١٨)

شد عن هذا فهو قليل ليس من شأنه أن يعدل المستوى تعديلاً ذا بال . وهؤلاء الذين يملكون هذه الأجزاء القليلة التافهة مثقلون بالديون بسبب عدم الكفاية بحيث لو بيعت لما وقت بها . ومثل هذا أو قريب منه في سوريا والعراق وفلسطين ، ونحن نعرف أنه كان على بعض القرى في فلسطين من الديون ما هو ضعف ثمن أراضيها .

وزيد في سوء نتائج هذا التوزيع التي أن الفلاحين الذين يعملون في أملاك الملاكين مزارعين ومستأجرين وعمالاً غير متمتعين بالحماية ، والملاكون يتحكمون فيهم تحكماً قاسياً . فإذا كانوا عمالاً فيأخذون الأجور وإذا كانوا مستأجرين فيأخذون الإيجار وأقصى الشروط .

ومن الحوادث المألوفة الكثيرة أن يرجع المزارع والمستأجر من يدره (جرته) خالي الوفاض حيث يكون صاحب الملك من جهة ومأمور الضرائب من جهة والمرابي من جهة قد تقاسموا هذا البيدر .

ولهذا السبب اضطر الفلاح إلى الاستدانة ووجد المربون من ملاكين وغير ملاكين فيه مستغلاً دائماً . وكثيراً ما يكون ربا الدين ٥٠٪ لمدة ستة أشهر أي ١٠٠٪ سنوياً . وهكذا لا يكاد معظم القرويين ينالون من كدحهم ما يقيهم الموت

شخصاً أي ٢١٪ منهم يملكون (١٣٠٥٣٠٣) فدان أي معدل فدانين وعشر الفدان . وإذا لاحظنا أن لا يد من وجود تفاوت في الحيازة بين هؤلاء المالكين جاز لنا أن نفرض أن عدداً كبيراً من الفئات الثلاث التي هي ٩٣٪ من المالكين يملكون أقل كثيراً من المعدلات المذكورة التافهة . أما باقي الأراضي الزراعية وهو أربعة ملايين فدان - لأن أراضي مصر الآن ستة ملايين - فهو ملك ٧٪ من المالكين أو أقل من ١٪ من السكان ، وبعبارة أخرى أن ٦٧٪ من الأراضي الزراعية يملكها أقل من ١٪ من السكان . ومع ذلك فلاحصاءات تدل على تفاوت عظيم في الحيازة بين هذه الفئة الضئيلة ؛ فهناك مثلاً ٢٥٠ شخصاً يملكون (٥٣٥٧٠١) فدان أي معدل (٣١٤٠) فداناً للواحد . وهناك ٩٠ مالِكاً يملكون ٢٦٧٢٠٨١ فداناً أي معدل (٤٤٤٠) فداناً . وهناك طبعاً أكثر كثيرون من هذه الأقلية الضئيلة يملكون مئات العديدة بحيث يصح أن يقال أن عدداً كبيراً منها قد ينزل معدل حيازتهم عن حد الكفاية المعقولة .

من جاف المأكل وزري اللبن وزربية السكن إلا يشق النفس ويحيث بعد مستوى المعيشة في القرية العربية من أخط مستوى في الدنيا .

ولقد قدرت بعض الاجتماعات والدراسات أن تكاليف معيشة الاسرة القروية العربية لا يزيد عن الجنيين او العشرين ليرة سورية . وعلى هذا الاساس قدرت وكالة اغاثة لاجئي فلسطين مساعداتها للاجئين بحيث لا تزيد قيمة ما يتناوله الفرد من مواد غذائية عن الخمس ليرات او ما يعادل سنتين قرشاً مصرياً أو ٦٠٠ فلس عراقي ، وبحيث لا يزيد ما يتناوله الاسرة الاجتة التي تتألف من زوجين وولدين عن عشرين ليرة سورية ، أو جنيين ونصف ... وإذا كان هذا المبلغ هو معدل المستوى ولو حظ ان بعض الناس يتفاوتون عن بعضهم في الكسب ظهر ان هناك من لا يستطيع الحصول على هذا المعدل ويعيش بما دونه اذا كان هناك بشر يمكن ان يعيشوا بما دون ذلك (١)

ولقد سمعنا أناساً من فلسطين والأردن بل وسورية يبيعون او يحسدون اللاجئين على ما يتناولونه من قدر ناه عما فيه مصداق لما نقول .

ومهما بالغنا في تقدير نسبة المسورين أو الذين يعيشون عيشة معقولة نوعاً ما من القرويين فانها لن تزيد في أحسن الحالات عن ١٠٪ من مجموعهم ، ويرتكس الباقيون في ذلك المستوى المنحط البائس الذي ذكرناه . والباقيون هؤلاء هم بالنسبة لمجموع سكان الدولة ٦٧٫٥٪ أي غالبيتهم الكبرى اذا اعتبرنا ان سكان الريف هم ٧٥٪ من المجموع .

(١) في اثناء كتابة هذا الفصل نشرت بعض الصحف المصرية بعض محتويات التقرير وضعته مؤسسة روكفلر الاجتماعية نتيجة لدراسة قامت بها في القطر المصري جاء فيه فيما جاء :

١ - ان مصر اشد بؤساً في مستوى المعيشة من الصين والهند .

٢ - ان ١٢٪ من اسر القرى تعيش على الحبر الفطير واللبن المقطوط والخبز و ٥٦٪ منها لا تأكل الحنظل الا مرة في الاسبوع و ٥٪ منها تكسب أقل من ثلاثة دولارات في الشهر (جنبة واحد) و ٦١٪ تكسب ما بين ٣ دولارات و ١٤ دولاراً ونصف (أي بين جنبة وخمسة جنبات) و ٣٠٪ دخلها الشهري بين ١٥ و ٢٩ دولاراً أي بين خمسة جنبات وعشرة جنبات و ٧٪ يزيد دخلها عن هذا المعدل ..

يُضاف الى هذا ما حرمته القرية من العناية من النواحي الأخرى حرماناً شديداً . فالقرى التي فيها مدارس ما زالت اقل بكثير جداً من التي ليس فيها حتى لشكاد النسبة في بعض الاقطار العربية تكون واحداً الى عشرة ولا يزيد في أحسن الحالات عن واحد الى اربعة . وهكذا ترتكس القرية في الجهل والغباء وتنطلق مواهب كثير من أبنائها وتهدر قواهم وجيوتهم . واكثر القرى بل معظمها ما يزال محروماً من المياه الكافية الصالحة للشرب ومن أبسط وسائل الصحة والعلاج والوقاية . ومعظم المساكن في القرى كالزرائب أو أسوأ من حيث القذارة والظلمة وسوء التهوية وفقدان المرافق فتكون القرية بذلك عرضة لمختلف الأمراض وكثرة وفيات الأطفال . وقد غذا كثير من القرى بل معظمها مستقراً لأمراض وبئثة محلية تنهك قوى الفلاح وتفتك فيه فتكاً ذريعاً من بلهارسيا الى زهري الى تراخوما الى ملاريا حتى بلغ عدد المصابين بالبلهارسيا في مصر عشرة ملايين وعدد المصابين بالأمراض الأخرى مئات الألوف .

فمن الطبيعي أن تكون الأمة العربية التي غالبيتها العظمى في مثل هذه الحالة السيئة التي ليس بعدها سوء في المعيشة والغباء والجهل والمرض والفقر والكدر وسوء الاستغلال والحرمان من الحماية والعناية الصادقة في أحط الدرجات وأن تكون هذه الحالة من أشد العثرات التي تحول دون تقدمها في مختلف مجالات الحياة القوية الكريمة .

فما لم يجعل الفلاح صاحب ارض كافية لحاجته ، وما لم يساعد على استثمارها بالقروض والبذار والآلات ، وما لم يرفع عنه ظلم الملاكين واستغلالهم ، وما لم له الاستقرار والطمأنينة والانتفاع بكده ورفع مستوى حياته ، وما لم يجمع المزارع والمستأجر والعامل الزراعي حماية وافية من الملاكين والمرابين ، وما لم تعد عناية الدولة بالقرية جدية وعاجلة وعن ايمان وصدق فإن حالة الفلاح العربي والقرية العربية تظل على المنوال الزري البائس اليأس وحالة الأمة تظل نتيجة لذلك على ما هي عليه من تهمر وارتمكاس .

ونلج على وجوب العناية الجادة العاجلة عن ايمان وصدق لأننا نعرف أن

هناك محاولات كثيرة ومن أمد طويل في سبيل معالجة حالة القرية والقلاح وتحسينها وحماية المزارع ووضع حد لاستغلاله الى آخر الاستطوانة ... فهناك قوانين وضعت وهناك تجارب أجريت وهناك مشاريع أعدت غير انه لم يبد أثر مهم لكل ذلك في ابي ناحية من نواحي المشكلة ... ثم هناك اراض واسعة الدولة يمكن استصلاحها بسهولة بل هناك منها ما هو صالح منسوب من قبل ذوي النفوذ والجاه يمكن استرداده وتوزيعه على المحرومين غير أن الاهتمام لهذه الناحية لا يكاد يخرج هو كذلك عن نطاق الترداد والكلام والنية ...

- ٢ -

وقد تكون مشكلة سوء توزيع ملكية الأراضي التي هي من أهم المشاكل ومن أهم أسباب سوء حالة القلاح معقدة الحل . لأن الملكية الفردية من الحقوق المحترمة الأساسية في بلاد العرب كما ان اصحاب الملكيات الكبيرة في الأغلب اصحاب نفوذ قوي راسخ . ومنتسكين بملكياتهم تمسكاً شديداً لأن كيانهم الاجتماعي والاقتصادي قائم بها . غير ان الجذ والحزم والجرأة تضمن التغلب على هذه المشكلة . ولا سيما ان معظم اراضي البلاد العربية ان لم تقل كلها هي اراضي اميرية - أي خراجية - تعود ملكيتها الأصلية للدولة . والدولة الحق الصريح المنطقي والشرعي معاً في سن ما تراه من صالح جمهور الشعب من قوانين . وقد أصدرت الدولة العثمانية تشريعات عديدة في هذا النطاق ما تزال نافذة الى اليوم في بلاد الشام والعراق .

واقدر واجتهد الجمهورية التركية هذه المشكلة بالجد والحزم والجرأة فتغلبت عليها . ففي تركية ملكيات كبيرة كفيها مئات آلاف الأكرس المحرومة من الأرض أو التي ليست لها أراض كافية . وقد أصدرت في سنة ١٩٤٥ قانوناً بحته قانون الأرض استهدف ٥٠ غايات :

الأولى — تملك أرض لمن لا أرض له أو لمن ليس له أرض تكفيه من القرويين أو من يريد الاشتغال بالفلاحة من أهل المدن . الثانية — مساعدة المحتاجين من الفلاحين على تحسين أشغالهم الزراعية . الثالثة — تشغيل الأراضي الصالحة بأوسع وأحسن ما يمكن .

وهذه الأحكام الجوهرية في القانون بسبيل تنفيذ هذه الخطوة المهمة :

١ — حول القانون وزارة الزراعة حق استعلاك الأراضي التالية وما عليها من منشآت ومساكن متصلة بالعمل الزراعي لتوزيعها على الذين لا أرض لهم أو لا أرض كافية لهم :

أ — جميع الأراضي الوقفية المضبوطة أو الملحقة التي في تصرف مديرية الأوقاف أو تحت إدارتها بالنيابة أو في إدارة المتولين .

ب — الأراضي العائدة إلى إدارة الولايات (المحافظات أو المديرات أو المنصرفات) الخصوصية أو البلديات ولا تستعمل في عمل ما .

ت — الأقسام الزائدة عن خمسة آلاف دونم^(١) مما يملكه الأشخاص الحقيقيون أو الحكيون . ويجوز عدم أخذ الزائد عن هذا المقدار مما يملكه مؤسسات تعود منافعها إلى المصلحة العامة أو لمؤسسات الدولة الاقتصادية أو لمؤسسات أكثر من نصف رأس مالها للدولة .

ث — الأراضي التي لا تستغل بعد هذا القانون . (وهي التي تهمل ثلاث سنين متوالية بدون عذر) .

ج — الأراضي التي يعمل بها المزارعون والمستأجرون والعامل الزراعيون الذين لا أرض لهم أو لا أرض كافية لهم لأجل توزيعها عليهم ولو كانت أقل من خمسة آلاف دونم بشرط أن يترك لأصحابها مساحة تبلغ ثلاثة أضعاف الحد

(١) ١٢٥٠ فدان . ويجب أن يلاحظ أن هذا الحد الذي يبدو كبيراً هو متناسب مع سعة مساحة الأراضي الزراعية في تركيا التي يبلغ مساحتها نحو (٧٦٠) ألف كيلو متر مربع تقريبا أي مئتين وخمسين مليون دونم أو اثنان وستون مليون فدان قابل للزراعة .

الذي يعتبر حداً أصغر للكفاية في المنطقة التي تكون فيها الأرض مع ترك حق اختيار الأقسام له ومع عدم نقص ما يترك له عن خمسين دونماً في حال .

٢ - اعتبر القانون ضريبة الأراضي أساساً لتقدير قيمة الأملاك المستملكة . أما بدل الاستهلاك فتدفعه وزارة الزراعة بأقساط سنوية خلال عشرين سنة من السنة التي تليه بموجب تحويلات على خزانة الدولة . ويؤدى عن كل قسط ربع سنوي قدره ٤٪ والكسور التي تقل عن مئة أيرة تدفع نقداً مع التحويلات (السندات الرسمية على الخزينة) . والتحويل الذي بقيمة ألف أيرة يدفع في السنة التي تلي الاستهلاك . وتصدر التحويلات بقرار من مجلس الوزراء وباقتراح من وزارة الزراعة حسباً واد استهلاكه في كل سنة . والتحويلات تتمتع بنفس الحقوق والامتيازات التي تتمتع بها تحويلات الخزينة الأخرى . وتوضع قيم وفوائد الأقساط السنوية في ميزانية كل سنة في باب خاص من فصول ديون الدولة مع قيد واجب الأداء وتصرف وفقاً للأصول .

٣ - تعطي الأراضي المستملكة لرئيس الأسرة على أن يقدم الذين ليس لهم أرض بليرة ويعملون في أراضي الغير كزراعيين أو مستأجرين ثم الفلاحون الذين ليس لهم أرض كافية ، ثم الذين ليس لهم أرض بليرة ويعيشون عادة عمالاً زراعيين متوطنين ، ثم الفلاحون من العشائر الرحل أو التي تعيش في القلاة ، ثم الذين يتحلون بحكم القضاء عن ميراث أرض لهم ، ثم الذين ليس لهم أرض أو ليس لهم أرض تكفيهم ممن درسوا في مدارس الزراعة أو عملوا في مزارع التجارب أو داوموا على فصول زراعية معترف بها وأتموا الدراسة في مدارسهم أو فصولهم ، ثم الذين تقتنع وزارة الزراعة بقابلتهم الزراعة ممن ليسوا زراعيين في الأصل ويرغبون في احتراف الزراعة من جديد ، ثم الذين يدخلون في شمول هذه الفئات ويقدرّون على إدارة عمل مستقل ولو لم يكونوا رؤساء أسرة . ويراعى الدور في كل فئة من الفئات السابقة فيقدم الذين لهم أولاد ، ثم الذين لهم بيوت وعندهم وسائل كافية للعمل ، ثم الذين لهم بيوت وليس عندهم وسائل كافية للعمل ، ثم الذين ليس لهم بيوت ووسائل .

٤ - أوجب القانون ان تكون المساحة المعطاة كافية لمعيشة فلاح وأسرته ، ومتناسبة مع قابلية أفراد الأسرة وقوتهم على الاستغلال ومع نوع وقابلية الأرض أيضاً وضمن حدود الملكية الصغيرة . والذين لهم أرض ولكنها غير كافية بحسب ما عندهم ويوفى عليه ضمن الأسس المذكورة . ويجب ان تكون الأرض المعطاة قطعة واحدة او في مكان واحد بقدر الامكان . وإذا لم يوجد أرض في المكان الذي يسكنه الفلاح فتعطى له أرض في منطقة سكنه فان لم يوجد في جوارها فان لم يوجد في مكان آخر .

٥ - تعطى الأرض وما عليها من ابنية ومنشآت بالبدل وإطريق الدين المقسط وتقدر القيمة من قبل وزارتي المالية والزراعة وتنظم بها سندات دين على أصحابها لأمر المصرف الزراعي مقسطة على عشرين قسطاً سنوياً . ويجب دفع أولها في أول السنة السادسة من بعد سنة التسليم وبدون فائدة . ويترك من الأقساط الباقية ٥٪ عن كل ولد من اولاد المديون في سن الدراسة ، والأقساط التي تؤدي قبل عهدها ينقص عنها فائدة سنوية قدرها ٥٪ كذلك .

٦ - أوجب القانون فتح فرع تسليف خاص في المصرف الزراعي لتسليف المبالغ التي يحتاج اليها الذين يمتاون أرضاً للتأسيس والاستغلال . ووعدة سلفة التأسيس خمس وعشرون سنة ووعدة سلفة الاستغلال سنة واحدة . وتبين أسس ومدة وفوائد السلف وما يتصل بها من قبل وزارات الزراعة والتجارة والمالية معاً على ان لا تزيد الفائدة السنوية عن ٥٪ .

٧ - أوجب القانون رصد مبالغ سنوية في الميزانية لتمويل فرع التسليف المذكور ، ورصد أقساط بدلات الأراضي المحيية من الفلاحين لهذا الفرع أيضاً أي أن ميزانية الدولة حملت بدل الاستهلاك الذي يدفعه الملاكين وجعلت الأقساط التي تحبى من الفلاحين كرأس مال دائر لفرع التسليف بالإضافة الى ما يمكن رصده من الميزانية لذلك .

٨ - تسجل الأراضي المعطاة وما عليها من منشآت باسم صاحبها على أنه تكون رهناً باسم المصرف الزراعي مقابل ما عليها من ديون أصلية وفروعية ، وليس لصاحبها حق التصرف التام فيها ولا بإحداث مثل هذا الحق لغيره ما لم يحدد

ماعليه من ديون وان لا يحجز عليها لصالح ديون الأشخاص الحقيقية أو الحكيمين .
ويطبق هذا على وسائل الاستغلال المعطاة أيضاً . وتطبق كذلك على الأراضي
والوسائل التي تكون لمن أعطي أرضاً بسبب عدم كفاية أرضه مع حفظ الحق
المكتسب الآخرين من حجز ودين وارتفاق على الأرض التي كانت له . وفي حالة
وفاة المسجل عليه الأرض تشغل من قبل الورثة بالاشتراك .

٩ — الذين لا يدفعون أقساط ثمن الأرض أو أقساط السلف يحصل ما هو
مستحق منها بأنفسهم . بموجب قانون تحصيل أموال الدولة وما يدخل في نطاق الجائر
حجزه أي دون الأرض والبناء والتأسيس ووسائل الاستغلال اذا كان كافياً
للسداد . أما اذا لم يكن كافياً فيحصل المستحق بحجز وبيع الأرض والبناء
والتأسيس ووسائل الاستغلال بشرط اقتران ذلك بحكم قضائي . وهذا لا يطبق
الا في الظروف القاهرة التي يعود تقديرها الى وزارتي المالية والتجارة . وفي
هذه الحالة يكون لهاتين الوزارتين الحق في تأجيل الدفع وقسماً لما توافقه متاسباً
مع هذه الظروف .

١٠ — لا يجوز تأجير الأراضي المعطاة إلا بسبب الجندية أو المرض المزمن .

١١ — يجوز استرداد الأرض ممن يخالف احكام القانون على شرط ان يقرن
ذلك بحكم قضائي .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة التركية طلبت من مكتب عصبة الأمم
تقريراً عما جرى في موضوع اصلاح وتوزيع الأرض عند الدول الاخرى فارسل
المكتب التقرير المطلوب محتويلاً تفصيل ماتم من مثل ذلك في ثلاث عشرة دولة ،
فاقتبست من هذا التقرير القانون الذي اوجزنا احكامه الجوهرية والذي احتوى
احكاماً تفصيلية اخرى بسبيل التنفيذ والتطبيق .

كذلك من الجدير بالذكر ان الموافقة على القانون لم تتم بسهولة . فالت
الحكومة التركية منذ سنة ١٩٣٧ وهي تحاول استصداره فكانت الخواص تلقى
معارضة وتعويقاً . غير انها نزلت أمرها وتمكنت من أخذ الموافقة على القانون
بعد نقاش حاد شغل صحف تركية وأوساطها أياماً عديدة ، وكانت نقاش

شديد حوله في هيئة حزب الشعب النيابية - حزب الحكومة - قبل عرضه على مجلس النواب حتى أن الهيئة اضطرت أزاء كثرة المعارضين الى تقرير جعل التصويت حراً .

فلا بد من خطوة جادة وجريئة مماثلة لحل هذه المشكلة من مشاكل القرية التي قد تكون أهم مشاكلها .

والقانون التركي لم يتعرض لموضوع توزيع الاراضي التي تملكها الدولة والتي منها ما هو قابل للاستغلال ومنها ما هو في حاجة الى اصلاح، ويظهر ان هذا الأمر اعتبر طبيعياً مفروضاً منه فانضبت الجهود على استهلاك الزائد والمعطى من اراضي الأفراد والمؤسسات الأخرى .

فن الواجب ملاحظة ذلك في سياق الخطوة التي لا بد منها في سبيل حل المشكلة بحيث توضع اراضي الدولة في رأس القائمة فتبذل الجهود لتحريرها وإصلاح ما يحتاج منها الى اصلاح واسترداد ما هو منسوب منها وتقسيمها وتوزيعها على أسلوب مماثل لأسلوب القانون التركي بالإضافة الى الاراضي الزائدة عن حاجة الملاكين وقدرتهم والواجب استهلاكها وتوزيعها على المحتاجين والمهمومين .

وقد ضربنا المثل بما فعلته تركية في هذه المشكلة لأن بينهما الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والثروة مشابهة الى درجة كبيرة لئبينا .

- ٣ -

وطبيعي أن حل هذه المشكلة لا يعني أن مشكلة القرية قد حلت . ففي جانب هذه الخطوة يجب أن يسار خطوات عديدة جادة وحازمة وصادقة لاصلاح حالة القرية والصلاح .

ولقد أصدرت تركية قانوناً بسبيل ذلك احتوى أحكاماً جديدة جديدة بالاعتباس وكفيلة بالاصلاح المطلوب إذا غني بتنفيذها عناية جادة وصادقة .

وها نحن نورد منه ما رأيناه جوهرياً ضاربين صفحاً عن مواد وأحكام ثانوية تتعلق بالتنفيذ والتنظيم .

١ - تتألف القرية من سكان يعيشون في منطقة واحدة ولهم أمور مشتركة كجامع ومدرسة ومرعى ومختاب ومجزر وماء ويقل عددهم عن ألفين .

٢ - للقرية شخصية حكومية وحقوقية . ومالها العام يحمي مثل مال الدولة . وكل من يمتد يده اليه يعاقب بمثل عقاب مختلس مال الدولة .

٣ - الخزان (العمدة) هو رئيس القرية . وهو صاحب الحق بموجب هذا القانون بالكلام باسم القرية وإصدار الأوامر والعمل على تنفيذها وهو موظف دولة . ويقوم بواجبه بهذه الصفة . ويحاكم هو ومن يعمل معه في أمور القرية على ما يصدر منهم من إساءة تصرف ويعاقبون كموظفي دولة .

٤ - إن على أهل القرية أعمالاً جبرية وأخرى اختيارية . ومن لا يقوم بالأولى يجازي . وإذا قرر مجلس القرية جمل أحد الأعمال الاختيارية جبرياً وصادق على ذلك القاطعون أو الوالي حسب صلة القرية الإدارية يصبح جبرياً .

٥ - الأعمال الجبرية هي :

تجفيف المستنقعات داخل حدود القرية - جلب الماء الى القرية بقناة مغطاة وإنشاء مشرب صحي له - سد الخروقات التي تكون في الآقنية وتحويل طريقها عن مجامع الأقدار - تلمية فتحات آبار الماء متراً وتحويلها بذلك - تفريق محلات النوم في المساكن عن زريبة الماشية بمجدار - إنشاء بيت خلأ مستوف ذي حفرة عميقة أو مجرى في كل بيت - إنشاء بيت خلأ عمومي بعيد عن مجرى مياه الشرب وآبارها - العناية بنظافة الأزقة وتكنيس أمام البيوت من قبل أصحابها - عدم وضع الزبل والقمامات عند المشارب والآبار والينابيع - إنشاء مجرى الماء حتي لا يستنقع - جعل مزابل القرية وقاماتها في مكان بعيد عن المساكن - إنشاء طريقين متقاطعين في القرية يجمع في ملتقاها ساحة للقرية - إنشاء ساحة أخرى في طرف القرية مناسبة مع مساكنها - إنشاء غرفة في طرف هذه المساحة لتكون

محل اجتماع مجلس القرية واعمالها — اذا كانت القرية مجراً فيجب انشاء منزل يزل فيه عابزو السبيل ويكون له موقد ومربط للدواب — انشاء مسجد في القرى التي لا يوجد فيها في طرف ساحة القرية — انشاء مدرسة وفق المخطط والنموذج الذي تقدمه ادارة المعارف في محل تقي الهواء والحاق ارض بها لتكون حديقة المدرسة — غرس الاشجار في طرق القرية وساحتها وعلى منابع المياه والمقابر وبين القرية والقرية المجاورة واتخاذ التدابير لصيانتها من الدواب — صيانة حرش القرية والعناية به — انشاء القسم الواقع في حدود القرية ورفع كل ما يعرقل السير عليه من صخور ومرتفعات — حرث وزرع وحصاد اراضي الجنود واليتامى الذين ليس لهم من يفعل ذلك والعناية بكرومهم وبساتينهم — انشاء دكاكين للقرية احداها للبيطار وثانيها للبقال وثالثها للسواق وعجلته — تعيين ما يلزم للقرية من رعاة وحراس — اختبار الحكومة بما يحدث من امراض وبائية وسارية عند حدوثها ومنع الاختلاط بالمرضى الى ان يضل موظف الحكومة — فعل مثل ذلك في حالة حدوث مرض سار ووبائي في الماشية — المساعدة الى تغيير مجرى السيل اذا دام القرية — قتل وابادة كل دابة وطيور وحشرة وطفيلية من شأنها الاضرار بالمزروعات والاشجار المثمرة وغير المثمرة والكروم — صيانة مزروعات القرية ومغروساتها من اي ضرر وطارىء — عدم وضع اشياء في الطارق تعرقل السير — هدم ما يخشى انهياره من غرف وسطوح وجدران — عدم ترك الحيوانات المفترسة والشكسة سائبة — المساعدة على دفع الخطر واتخاذ حياة كل من يتعرض للخطر والهلاك — عدم تحميل الدواب احمالاً لا تطيقها — اجابة دعوة مجلس القرية للشهادة حتماً ما لم يكن مرض مانع من الاعتذار في هذه الحالة — عدم حفر حفائر في الممرات والطرق.

٦ — الأعمال الاختيارية هي :

انشاء المساكن بحيث تكون زرائب الدواب في مكان خاص — طراشة البيوت والزرائب والمستراحات داخلاً وخارجاً كل سنة مرة — رصف طرق

القرية بالحجارة - انشاء مقابر للقرية بعيدة عنها وعن الطريق العام وعن بحري الماء وتسويرها والعناية بها وعدم رمي القمامات فيها - انشاء حمام ومغسلة عامتين - انشاء مكان للسوق العام - تخريج الامكنة المناسبة من اراضي القرية وهضابها - تنظيم بحري الماء الذي يسقي اراضي القرية وتوزيعه - شراء آلات زراعية حديثة متنوعة مشتركة للقرية - شراء آلات لصنع الجبن والسمن - انشاء معالجة مشتركة للقرية - بذل الجهد لنسج ملابس القرية فيها - تعليم أو أكثر من أبناء القرية الحلاقة وآخرين الحدادة والبيطرة وجلاء الأوباء وسوق العربات وصنع الاحذية - جلب مواد صناعي لتكثير الغلات - جلب كتب لتوسيع المعرفة - مساعدة فقراء القرية وإيتامها بالمال والطعام - خزان الأطفال الذين لا كافل لهم - مساعدة الفتيات على الزواج - مساعدة الفقراء على تجهيز موتاهم - التعاون على بناء بيوت الفقراء التي تصاب بالحريق والانهار - استقرار مال من المصرف للقرية ومساعدة المحتاجين في اشغالهم الزراعية وتحصيل الدين وسدادهم - تشجيع ألعاب المضارعة والجري والرمي - تبديل طرز عجالات الثيران بطرز جديدة وانشاء معمل مشترك في القرية لانشائها وتعميرها - انشاء مخزن للقرية واخذ مقدار مناسب من غلة كل فلاح في ايام الحصاد وخزنها لاقراض المحتاجين في غير ايام الحصاد لطعامهم وبذرهم وتحصيل القروض في ايام الحصاد وهلم جرا - تخصيص حقل أو أكثر في كل سنة وحرثه وحصاده ورصد ثمن النلة بعد اخراج البذار اللازم للسنة القابلة للمصالح القرية المشتركة - شراء نخول من البقر والجاموس والضأن من الجنس الجيد لحساب القرية - تنشئة حرج ومخلاة للقرية اذا لم يكن لها - إيجاد خبير صحي في القرية أو تنشئة احد ابنائها لمثل هذه المهمة .

٧ - رصد لميزانية الاعمال العامة في القرية الغرامات التي يجبي بموجب هذا القانون على الخالفات وايراد الاراضي والاملاك المسجلة باسم القرية وغلة الاراضي التي تزرع باسم القرية واجرة مصانع ودكاكين القرية ورسوم الاوراق

التي يصادق عليها المختار ومجلس القرية والتي يمين مقدارها القانم مقام ورسوم
المفاتيح والنقل على البحيرات ووسائله ورسوم ذبحية الحيوانات وإيراد الأشجار
التي لا صاحب لها ورسوم المياه المعدنية وما يفرضه مجلس القرية من فريضة
نقدية على كل ساكن فيها أو ذي علاقة مادية بها مقابل مرتبات المختار والامام
والكاتب والخفراء وخبير الصحة وما تمنح الإيرادات الأخرى عن أدائه من
نفقات القرية العامة .

٨ - للقرية مجلس الى جانب المختار والمختار هو رئيسه . وينتخب الجميع
كل أربع سنين مرة . ومعلم القرية وإمامها عضوان طبيعيان في المجلس .
وعدد أعضاء المجلس ثمانية للقرى التي يقل عدد سكانها عن ألف والتي عشر
للا يزيد .

٩ - لكل تركي متوطن في القرية قبل ستة أشهر من الانتخاب وأتم الثامنة
عشرة من عمره وغير محكوم بجناية وحجر حتى الانتخاب ذكر أو أنثى .

١٠ - واجبات مجلس القرية انشاء الطرق والمدارس والمسجد والحمام
والدكاكين وتقرير التكاليف التي يجب أن يقوم بها أهل القرية بدينياً أو
يدفعونها نقداً وشراء الأراضي المناسبة لمبانيات القرية وتدبير أرض لمن ليس له
أرض أو لمن ليس له أرض تكفيه والقضاء في الديون والحقوق التي لا تزيد قيمتها
عن عشر ليرات والأصلاح بين المتنازعين فيما يزيد عن ذلك الى خمسين ليرة اذا
رضي الطرفان .

١١ - يفرض كل من لا ينفذ الأعمال الإجبارية أو لا يدفع الفرائض النقدية
التي يقررها المجلس بغرامة تتراوح بين الفرض والمئة . وتضاعف على من يمتنع عن
الدفع وتجبى منه قانوناً .

١٢ - اذا أسبى استعمال مال القرية يفرض المختار ومجلس القرية بالغرم
وتجبى الغرامة وفقاً لقانونت تحصيل أموال الدولة . واذا قصر المجلس والمختار في
تنفيذ الأعمال الإجبارية وعدم جباية الأموال اللازمة لها يفرض كل منهم بخمس
وعشرين ليرة .

١٣ - أشغال القرية الكتابية يتولاها كاتب القرية فإذا لم يكن فالعلم فإذا لم يكن فالامام .

١٤ - ممنوع على الأشخاص الحقيقيين والحكميين من الأجانب ان يملكوا اراضي وعقارات في القرى . وليس لأجنبي ان يقيم في قرية ما الا بأذن من وزير الداخلية .

ولا ندعي ان القرية التركية قد صلحت بعد هذا القانون . الواسع الشامل الذي صدر سنة ١٩٢٤ . ولنا نجهل ان القانون ليس هو كل شيء في حل المشاكل . وهذا ما نجهلنا نلج ونكرر القول بوجود الجهد والصدق في العناية والتنفيذ . غير ان القانون هو من دون ريب ناظم او ضابط مهم يجعل للحكومة سلطان التنفيذ اذا ما عزمت وحزمت وجدت .

- ٤ -

وعلى كل حال فانقرية مشكلة جوهرية من مشاكل الامة العربية ، والعناية بحلها بجهد وصدق وإيمان وسرعة من أوجب الواجبات على القائمين بالحكم في الدول العربية .

والمشكلة مهمة جداً تتحمل أن يكون لها إدارة حكومية خاصة ومستقلة ذات صلاحيات واسعة ولا تتأثر بتيارات الحزبية والانتخابات حتى تسير في مهمتها الخلقية بدون تردد ولا تعثر وحتى نتسكن من تحقيق منهج اصلاحي شامل يمكن تلخيص خطوطه بما يلي :

١ - جعل الفلاح صاحب أرض كافية لمعيشته حتى يستطيع الشعور بالاستقرار والطمأنينة والانتفاع بكده .

٢ - تخليصه من المزاوي وتسهيل اقراضه قروضاً طويلة الأمد تساعد على تأسيس العمل وأخرى قصيرة حين الحاجة تساعد على تسيير العمل .

٣ - حماية المستأجر والمزارع والعامل الذي يشتغل في أراضي الملاكين

حاجة كافية تضمن لهم المعيشة المعقولة والمعالجة المجانية والسكن الصحي والماء النقي .

٤ - إنشاء مدرسة في كل قرية . وإنشاء مدرسة داخلية زراعية صناعية لكل مجموعة من القرى المتجاورة .

٥ - ادخال نظام البناء والهندسة الحديث على القرية .

٦ - إنشاء ما يسمى بالمجموعة الاجتماعية التي تشمل على عيادة وصيدلية ومولدة وممرضة ومرشد اجتماعي وآخر زراعي في كل قرية كبيرة يبلغ تمدادها ألفاً وما فوق . وإنشاء مثل هذه المجموعة لوحدات من القرى الصغيرة المتجاورة أيضاً .

٧ - مكافحة الأمراض المحلية والسارية في القرى مكافحة شديدة وإزالة أسبابها .

٨ - تشجيع تأسيس الجمعيات التعاونية التي تساعد الفلاح مساعدة عظيمة على حسن الانتاج والتصرف والطرائق والوسائل الفنية ووقاية الفلاح من المزاين والمستغلين وتعميمها حتى تشمل جميع القرى .

٩ - ترتيب دورات متابعة للمحاضرات الاخلاقية والاجتماعية والصحية والفنية والقومية استهدافاً لبث الوعي القومي وتقويته وتركيزه والدعاية للصالح الاخلاقي والاجتماعي والصحي والفني .

١٠ - إنشاء مسجد في كل قرية يتولى امره رجل نابه نير .

١١ - وضع قانون مماثل لقانون القرية التركي الذي أُلغى بالحكماء الجهورية لتنظيم شخصية القرية المالية والحقوقية وإيجاد المسؤولين عن نفاذها وأمنها وصحتها وتحسين شؤونها وحل مشاكلها المحلية الخ .

١٢ - فتح المجال لمشاركة ذوي العقل والنباهة من القرويين في الحياة العامة وتمثيل القرية تمثيلاً صادقاً في مؤسسات الدولة المتنوعة فلا تظل تلك الحياة وهذه المؤسسات وقفاً على ذوي الجاه والثرء والألقاب والاقطاع من أبناء المدن والقرى .

١٣ - فسح المجال لأبناء القرى الناهية ليسيروا على حساب الدولة في أشواط

العلم العالي مجاناً .

ولقد أحدثت الحكومة المصرية أخيراً منصباً وزارياً باسم وزير الشؤون القروية والبلدية وجعل الرئيس دلي ماهر لشؤون القرية وزارة خاصة ، وهذا صواب يدل على أن مشكلة القرية بما يشغل حيزاً في رؤوس الصالحين من الحكام ، غير أن الذي نعتقه أن إناطة شؤون القرية وأصلاحها بإدارة مستقلة مستعرة هي الأنجع لأن الذين يتولون الوزارات هم على الأغلب سياسيون وحزبيون وهم عرضة لتيارات الحزبية والسياسة والانتخابات وما يرافق هذا في بلادنا من تصرفات واعتبارات شخصية كثيراً ما تحبط المسمى وتعرقل الوصول الى نتائج إيجابية وجديّة .

وفي مصر مشكلة خاصة بالنسبة للأراضي الزراعية ليست قائمة بالنسبة للبلاد العربية الأخرى . فمهما يكن من سوء توزيع الأراضي الزراعية فيها ، ومهما حزم القائمون بأمرها في سدّد تحديد الملكية الزراعية واستملاك الرائد عن الحد الأعلى ، فإن الأكتيرة العظمى من الفلاحين ستبقى بدون أرض لأن الصالح من الأراضي للزراعة في هذا القطر الآن قليل جداً حيث لا يكاد يزيد عن ستة ملايين فدان في حين أن سكان الريف المصري يبلغون نحو خمسة عشر مليوناً . وكثافة السكان في مصر بالنسبة للأراضي الزراعية الصالحة عالية جداً حتى لتضارع أكثر بلاد العالم كثافة . وقد قلنا إن مصر تكاد تنفرد في هذه المشكلة بين البلاد العربية . فمساكن العراق مثلاً نحو أربعة ملايين ونصف وأراضيها الصالحة للزراعة تزيد على سبعين مليون دونم أو ١٧ مليون فدان ، وسكان سورية نحو ثلاثة ملايين ونصف وأراضيها الصالحة للزراعة تزيد على ٥٠ مليون دونم أو ١٢ مليون فدان .

ولمعالجة هذه المشكلة سبلان : الأولى تزيد الأراضي الصالحة الزراعية باستصلاح ما يمكن استصلاحه من الصحاري على طرفي النيل الشرقي والغربي وفي صحراء سيناء حيث توجد مساحات واسعة يمكن استصلاحها بالري واستنباط

المياه الجوفية ، وقد جرت في هذا المجال محاولات ونجحت . أما الثانية فهي
تيسير الهجرة أمام الريفيين المصريين الى السودان والعراق وسورية ومساعدتهم
على الاستمرار الزراعي فيها حيث توجد اراض شاسعة صالحة للزراعة تزيد كثيراً
عن حاجة أهلها وكثافتها . ومن الممكن الى هذا وذلك أن يكون في تصنيع
مصر حلاً ما للمشكلة بحيث يقوم فيها مشاريع صناعية كبرى تستوعب عدداً
كبيراً من أهل الريف الذين لا يجدون عملاً ولا كفاً في الريف والأعمال الزراعية .
ونحن نقدر ما يمكن أن يقوم من مصاعب متنوعة أمام تنفيذ هذه المعالجة
وما تستلزمه من جهود جبارة . ولكنها بما لا معدى عنه وهي متصلة بصميم حياة
مصر ومستقبلها .

هذا ؛ وما يمكن إلحاقه بمشكلة القرية والفلاح وسوء حالتها من مختلف
النواحي ويدخل في باهما مشكلة القبيلة والبدو . وإذا لاحظنا أن البدو في
سورية والعراق والأردن نحو عشر السكان أو أكثر ظهرت لنا خطورة هذه
المشكلة . أما المشكلة في دول جزيرة العرب فهي أشد خطورة لأن مدن هذه
الدول لا تكاد تضم الخمس من السكان . وإذا كان هناك قرى وهجر فإن
سكانها لا يكادون يزيدون عن خمس آخر ، وهكذا يكون البدو فيها ٦٠ ٪ أو
أكثر . فمن الواجب توجيه العناية بمجد وصدق وإيمان نحو حل هذه المشكلة .
والمنهج الذي شرحناه آنفاً ليكون منهج مؤسسة القرية صالح للتطبيق في حل
هذه المشكلة . غير أنه من المتعذر تطبيقه بقياس واسع ومجد ما لم يغير طرز معيشة
البدو وتبديل حياة القلقة والترحل بحياة الاستقرار والاستمرار . والوسيلة
الى هذا هي بتلبية الحال تحضير البدو وابدال مخيمات الشعر بقرى وتهيئة أسباب
العمل الزراعي لهم ومساعدتهم عليه . وفي أملاك الدولة من جهة الأراضي الواسعة
المسجلة على أسماء مشايخ البدو والتي هي في الحقيقة حق أفراد القبيلة من جهة
امكانيات واسعة لتحقيق هذه الغاية . ولقد جنح كثير من البدو الى الزراعة
فاستمرأوها وأخذوا يستبدلون حياة الترحل بحياة الاستقرار نتيجة لذلك . وهذا
ما يضمن النجاح للخطة اذا ما سير فيها بمجد وصدق وإيمان .

ثانياً — مشكلة العمال والمدينة .

وإذا نحن نوهنا بسوء حالة القرية والفلاح والنحطاط مستواهما فإن هذا لا يعني أن سكان المدن العربية في حالة حسنة في مستوى المعيشة والصحة والعمل . فلذا إذا استثنينا في كل مدينة كبيرة بضعة أحياء وشوارع جديدة بدا المظهر كريهاً في ناحية التنظيم والقذارة في سائر الأحياء والمساكن والشوارع والجواري . وهذه الحالة أشد سوءاً في المدن الصغيرة لأن أكثرها يفقد ذلك الاستثناء .

ولا تتكاد نسبة الذين هم في حالة اقتصادية حسنة ومستوى رفيع في المعيشة من سكان المدن تبلغ العشر ونسبة الذين حالتهم متوسطة تبلغ الربع . والباقيون وهم ٦٥ ٪ أي الاكثرية الساحقة من سكان المدن في حالة دون المتوسط ومعظمهم في حالة سيئة جداً في المسكن والملبس والمعيشة والصحة والعمل . وجل هؤلاء هم من الطبقة العاملة السكادحة في مختلف المهن والأعمال . وهم بسبب حالتهم الشديدة مضطرون المروضون لأصحاب الأعمال والمصانع والورشات يستغل هؤلاء كدوم مقابل ما لا يكاد يسد رمقهم . وفرضون عليهم شروطاً شاقة في الأوقات والأعمال ، وقتاً يباثون بصحتهم وسلامتهم ومصرهم ، وكثيراً ما تعرض العمال للطرد والحرمان لأنفسه الأسباب ، كما أن كثيراً ما يكون كثير منهم عرضة للمعطل بسبب ضيق مجال العمل : وطبيعي أنهم عاجزون عن السكن في مساكن تتوفر فيها أسباب الصحة والراحة وعن المعالجة في حالة المرض التي هم عرضة له أكثر من غيرهم بسبب سوء الغذاء ورداءة المسكن والعمل الشاق .

ونسبة البائسين التي ذكرناها وهي ٦٥ ٪ هي بالنسبة لسكان الدولة ١٦ ٪ وهي نسبة خطيرة من شأنها أن تزيد في أسباب تدهور خطوات الأمة العربية وضعفها ، لأنها إذا أضيفت إلى نسبة ٦٧ ٪ وهي نسبة البائسين من سكان

القرى ارتفعت نسبة البؤساء في معيشتهم وصحتهم وسوء حالتهم الى ٨٣ ٪
من مجموع السكان .

ولقد بدا حقاً ثني من الاهتمام لناحية العمل والعمال في الحكومات العربية
غير أن ماجرى ليس متناسباً مع سوء الحالة وشدة الحاجة ، والواجب يقضي
بمضاعفة الجهد والعناية بهذه الطبقة ضمن منهاج يمكن أن تكون خطوته كإيلي :
١ - يجب سن القوانين القوية التي تحمي العامل من الاستغلال والأخطار
وتضمن له حق الحياة المعقولة في المسكن والطعام والملبس والعلاج والرعاية
والترفيه أو تضمن الحد الأدنى على الأقل الذي يكفل هذه الحياة المعقولة .
وتضمن الى هذا له في شيخوخته ولأرملته وأيتامه بعده الحد الأدنى للحياة
المعقولة أيضاً .

٢ - يجب العناية بمساكن العمال وأحيائهم بحيث توفر لها النظافة والماء
والإضاءة والمرافق الأخرى ، وبحيث يستبدل ما لا يمكن اصلاحه بجديد يتوفر
فيه ذلك أو باستئلاك الزائد من عقارات الملاكين ونيسير سكانها وعلوها للعمال .
٣ - يجب تشجيع الحركة التعاونية والنفاية العالية تشجيعاً قوياً بحيث تشمل
جميع العمال على اختلاف الاعمال وتمنح المنح والمساعدات المختلفة التي تمكنها من
النجاح في أهدافها المتنوعة .

٤ - يجب أن يكون في كل مدينة مدرسة صناعية متوسطة لتخريج أبناء
العمال فيها تخريجاً فنياً على حساب الدولة ويجب أن تتعدد هذه المدارس في المدن
الكبيرة ثني بالحاجة .

٥ - يجب أن يمكن الناهيون والأذكاء من أبناء العمال من السير في أشواط
التعليم العالي مجاناً .

٦ - يجب أن يمتنى بتوفير أذهان العمال بالمحاضرات الاخلاقية والاجتماعية
والصحية والثقافية وأن يساعدوا على تأسيس أندية لهم يقضون فيها أوقات فراغهم
فيما يفيدهم ثقافياً ورياضياً واجتماعياً .

٧ - يجب أن يشجعوا على المشاركة في الحياة العامة وأن يفتح المجال

لأذكيائهم وعقلائهم في هذه الحياة وأن يتولوا في مؤسسات الدولة المتنوعة
تمثيلاً صادقاً .

٨ - يجب أن يساعد العاطلون منهم على الحياة وعلى العمل معا .

- ٦ -

ثالثاً - مشاريع البر .

وما في البلاد العربية من ملاجئ ومياعم ومستشفيات وعيادات مجانية
ومؤسسات إحسان وتفرج وضمان اجتماعي ودور عجزة الخ قليل وضعيف جداً
لا يسد حيزاً ذا بال من الحاجة فضلاً عن سوء حال أكثر الموجود منه صحياً
وإدارياً . ومع أن هناك التفاتاً إلى هذه الأمور أكثر من ذي قبل النسيان
وراء التيار العالمي العام فإن ما فعل في هذا المجال لا يكاد يبدو التفكه ولا يزال
بعيداً جداً عن تحقيق الغاية أو السير في سبيل ذلك والوصول إليه في مدة قصيرة
فضلاً عن أن بعض البلاد لم تسد تخطي خطوة ما في هذا السبيل .

وهذا النقص مشكلة من مشاكلنا الاجتماعية الخطيرة . فالأكثريّة الساحقة
من الشعب التي تبلغ ٨٣ ٪ عاجزة كلياً تقريباً عن العلاج وعرضة للأمراض
المستوطنة وغير المستوطنة بسبب سوء الغذاء ورداءة المسكن وشاق العمل .
ولذلك فإن الأمراض تستفحل ويتسع نطاقها هذا الاتساع الكبير الذي تذكره
الاحصاءات ويعرف بنتيجة الدراسات ، والذي يستولي بعضها على معظم سكان
البلاد كالبالبرسيا في مصر وإصل عدد المصابين ببعضها مئات الآلاف كالتراخوما
والسل والزهري في مصر وغير مصر . (١)

(١) مما ذكره تقرير مؤسسة روكفيلر الاجتماعية الذي أشرنا إليه عن مصر في مناسبة سابقة
أن البالبرسيا تهد من القوى الانتاجية ٩ ٪ من سكان القرى والالديان المعوية تصيب ٦ ٪
منهم . ويستفاد من التقديرات الأخرى التي أطلعنا عليها أن عدد المصابين بالبالبرسيا في مصر يزيد
عن عشرة ملايين .

والفاقدون للكفيل المسؤول القادر من الأيتام والأطفال والطاعنين في السن
والمبتلين بالمعاهات المتنوعة المانعة عن العمل يملأون دروب المدن والقرى وساحاتها
ويعرضون منظرًا شديد المصاغة والآثارة والألم .

فالواجب نقضي بالالتفات إلى هذه الأمور بعين الجسد ووضع مناهج شاملة
والسير حثيثاً في سبيل تحقيقها في أقصر مدة ممكنة واعتبار ذلك واجباً قومياً
عدا وجوبه الاجتماعي والإنساني ويمكن أن تكون خطواتها كما يلي :

١ - يجب أن تكثر المستشفيات والعيادات في المدن الكبيرة والصغيرة على
السواء حتى تسد حاجة الناس على حساب الدولة وأن تجهز بما تحتاج إليه من
وسائل الطب الحديثة والأطباء الاختصاصيين . وأن يعالج الناس فيها جميعاً
فيؤخذ من القادرين أجوراً معتدلة ويعفى الفقراء العاجزين عنها ؛ أو أن
يطبق مشروع من مشاريع الضمان الطبي الذي يطبق في انكلترا وغيره مع استثناء
الفقراء من الرسوم وتسيدها عنهم من خزانة الدولة .

٢ - يجب أن يجير الأطباء على حسن التوزيع في أنحاء البلاد كخدمة
إجبارية وأن تحدد أجورات المداخلة تحديداً معتدلاً لا يعجز عنه فتوسطوا الحال
وأن يجير الأطباء على معالجة الفقراء مجاناً مقابل مساعدات تؤدي لهم من
خزانة الدولة .

٣ - يجب بذل العناية التامة لمكافحة الأمراض المحلية والسارية وإزالة
أسبابها في القرى والمدن على السواء .

٤ - يجب أن تنشأ في المدن الكبيرة والمتوسطة ملاجئ متنوعة لفقراء
العجزة والشيوخ والرمي وذوي المعاهات والأيتام بحيث تسد الحاجة وتحقق المناظر
التي تجرح الكرامة والانسانية .

٥ - يجب أن يرتب لأسر فقراء العاجزين والشيوخ والرمي وذوي المعاهات
والأرامل مخصصات شهرية تضمن لهم حياة معقولة .

ولا يقولن قائل أننا نضرب في يدها الخيال وأن الكتابة ورسم الخطط شيء
والتنفيذ والعمل شيء آخر . فليس مانع من خيال ولا متمذراً وقد حققه غيرنا

تحقيقاً كاملاً أو قريباً من الكامل . ولنا من جملة أخرى ولا يتقصنا ما فيهم
من مواهب وقابليات وما عندهم من إمكانيات . وكل ما يحتاج اليه شريحة ضيقة
وجلد وإخلاص وحسن إدراك الواجب وهو ما يجب أن تشتد الدعوة اليه .

- ٧ -

وطبيعي أن هذه المناهج تحتاج الى المال . وبالرغم من فقر سوادنا الأعظم
فإن في كل بلد من بلادنا طبقة قادرة على الدفع بخيا بعضهما حياة فيها من البذخ
والترف ما يصل الى السفه وتستطيع أن تسد فراغ المال ويجب أن تسده .

واقدر كثير ما قرأنا وقرأ الناس أن بعضهم في مصر مثلاً يقيم الحفلات التي
تكلف الواحدة منها آلافاً عديدة من الجنيهات ، وينفق على تبغهم وسياراتهم
ومشروباتهم وزينتهم وزيهورهم وكلابهم ودجاجهم فضلاً عن ثيابهم وخدمهم وحشمهم
وطعامهم وأثاثهم شهرياً مئات الجنيهات وأن آلافاً من الأغنياء يقادرون مصر مستوياً
الى مثالي أوروبا ويبلغ ما يتفقونه فيها عدد غير قليل من ملايين الجنيهات ، وأن
هناك من يخسر في سهرة ميسر واحدة العشرة آلاف والعشرين الف جنيه ثم
يخرج هادئاً الأعصاب كأنه لم يخسر الا جنيهاً ، وأنه ليس من النادر أن
يكلف فستان واحد ألفاً والفين من الجنيهات، وأن من الأمور العادية أن يكلف
الفستان الواحد مئتين وثلاثمائة جنيه ، وأنه ليس من النادر أن تشتري سيارات
قيمة الواحدة منها اربعة آلاف وخمسة آلاف وستة آلاف جنيه ، وأن قيمة
السيارات الملاكية في مصر تبلغ عشرات الملايين ، وأن هناك طبقة من الناس
يعيشون في قصورهم وأثاثهم ونحفهم وخدمهم وحشمهم ومراسيهم وولائهم
وحفلاتهم ولعبهم حياة برمكية ، وتبلغ نفقة الأسرة منهم الخمسين والمئة والمئة
والخمسين الف جنيه في السنة . وأن هناك أفراداً وأسراً عديدة يحمل رقم
إيرادها أو ربحها السنوي مئة الف ومئتي الف جنيه وأكثر . وفي من هذا
كله ولو نسبياً موجود في لبنان في الدرجة الأولى وفي سورية والعراق في الدرجة
الثانية مما يدل على أن هناك طبقة غير قليلة العدد قد استقطبت فيها الثروة والغنى

بدرجة استغلاب الفقر والعوز في السواد الأعظم . وهذا الدليل قائم في توزيع الملكيات الأرضية في الاقطار العربية على ما ذكرناه قبل .

فهذه الطبقات يجب أن تقضي خزينة الدولة ومشاريعها الاجتماعية والخيرية فضلا عن مطالبها الأخرى لأنها هي التي تنتفع في الدرجة الأولى بما توفره الدولة من الأمن والسلام والنظام وحرية الاستمتاع وهي التي تسيطر على ثروة الدولة المنقولة وغير المنقولة وتصرف فيها . ويجب أن تجبر على ذلك ، وإن هذا في الوقت نفسه الوسيلة العظمى إلى تخفيف الفروق الاقتصادية بين الطبقات وتخفيف روح التذمر في الفقيرة منها . ولا ندعو في هذا إلى بدع . فجميع بلاد العالم تأخذ به وتسير فيه . وهذه الطبقة في بلاد العالم تقدر هذا الواجب وتؤديه بطوع ورضى نفس إلا في بلادنا حيث تتهرب منه . وإذا رأيت أحيانا أن تسائر الظروف بالتبرع فيكون تبرعا تافهاً مع المن والطنطنة والقاب الحسن الكبير ويقصد التزلف إلى الرؤساء والكبراء وابتغاء تأمين المصالح والمنافع الخاصة ونيل الأوسمة والألقاب التشريفية .

ولقد بلغ من أمر الضرائب التصاعدية في بريطانيا مثلا أن تصل ضريبة الدخل إلى ٩٠ ٪ منه بحيث يدفع صاحب إيراد المئتي ألف جنيه (١٨٠) ألفاً منها . وليست بريطانيا هي المنفردة في هذا الأمر فجميع بلاد الغرب تسير على منوالها أو ما يقاربه . وبذلك وحده يمكننا أن نهيئ الميزانيات الضخمة لمشاريعها المتنوعة الدفاعية والعمرانية والانشائية والاجتماعية والصحية ومشاريع البر بمقاييس واسع أوصل هذه البلاد إلى ما وصلت من العظمة والكمال والوفاء بالحاجة والقوة المادية والعنوية حتى يبلغ ما يصيب الفرد في بعضها المئات من الجنيهات في حين لا يصيب الفرد في أكبر الميزانيات العربية الا عشرة جنيهات ، ومنها ما ينزل هذا المعدل فيها إلى ثلاث جنيهات . وجل الميزانيات في الغرب يسدها القادرون والاغنياء بطبيعة الحال . ولقد فرضت تركية في أثناء الحرب ضريبة خارقة على الثروة بقيمة خمسة مليون ليرة لنفقات الجيش وقالت إن السواد الأعظم يدفع ضريبة الدم بما يجتشد من مئات الألوف من أبنائه في الجيش

على القادرين والاعنياء أن يدفعوا ضريبة المال مقابل ذلك وفي هذا كل الحق والمنطق . وفي الغرب مشاريع خيرية كثيرة جداً تقوم على تبرع الاعنياء والقادرين في حين لانكاد نستطيع أن نذكر مشروعا هاما قام وعاش على تبرع أغنيائنا .

وهناك اعتبار آخر يجب ان يلاحظه اغنياء البلاد العربية وان يحاسبهم على الدفع ، وهو مانع الأفكار به اليوم من الدعايات المنبهة الى ما يقاسيه الفقراء من يؤس وحرمان ومرض بسبب استغلال الاعنياء وجشعهم والى تخمة الترف والبدخ وسفه التبذير الذي يرتكس فيه هؤلاء وما ينطوي في هذا من خطر ونمر عليهم . فاذا ما أدركوا هذا ودفعوا تمكن تهدئة بال السواد الأعظم عما تقدمه لهم الحكومات من خدمات تساعد على رفع مستواهم وتعليمهم وتمريضهم وتشغيلهم وضمان الحياة المعقولة لهم في حالة امكان العمل والعجز عنه .

والامر اولاً وأخيراً يحتاج الى حزم وقوة وإرادة ورغبة صادقة وبعد نظر فيمن يتولى مقاليد العرب من رؤساء ووزراء وموظفين ونواب . وهذا ما يمكن ان يكون اذا ما اشتدت الدعوة اليه ووجه الوعي نحوه مما يترتب على منظماتنا وكتابنا وخطبائنا ووعاظنا وصحافتنا بحيث لا يبقى حيز لاوائك من التجاوب مع الدعوة أو التخلي عن المقاليد الى من يتجاوب معها .

وعنالمنايع اخرى لتوفير المال لتنفيذ هذه المناهج . فحكوماتنا تسرف في المظاهر والفتحة كثيراً . ولا يندر أن نقرأ اتفاق مبالغ عظيمة على مبنى حكومي وزخرفته يمكن ان تكفي لعدد من تلك المشاريع الخيرية . ولا يندر أن نقرأ تبرع بعض العظام بمبالغ طائلة لإنشاء منشآت لاحاجة كبيرة لها يمكن ان تكفي لعدد آخر منها . ولا يندر ان نقرأ خبر اتفاق آلاف وعشرات الآلاف ومئات الآلاف على حفلات ومشاريع يمكن ان يكفي فيها عشر المبلغ او ربه لو جئنا الى جانب الاعتدال وصرفنا النظر عن الفخامة والضيافة ومظاهر الترف .

وهناك ملايين عظيمة أخذت تنهال على بعض رؤساء العرب من النفط، ويبدو
قسم عظيم منها تبذيراً عجيباً في القصور والزخرف والاثاث والرياش والسيارات
والطائرات والرحلات والحفلات والهدايا والسهرات الخ الخ ، ولو عدوا هذه
الملايين ملكهم الخاص لما جاز ذلك في عقل ولا شرع ولا منطق بينما ملايين
العرب في بلادهم وغير بلادهم من الأقطار العربية يقاسون ما يقاسون من البؤس
والحرمان والجهل والخطا المستوى والمرض بل منهم من لا يكاد يجد ما يستر
عورته ويمسك حشاشته ، وفي حين ان للعرب جميعهم حقاً فيها سيسألهم الله
عنه . وعلى كل حال ان هذه الثروة ملك للدولة وليست ملكاً للملوك والأمراء .
وان الحق هو اتفاقها على مصلحتها ومصلحة أهلها في الدرجة الأولى .

فن الواجب أن تشتد الدعوة لحل الحكومات من جهة ورؤساء العرب الذين
جعلهم الله مستخلفين في ثروة البلاد العربية الهائلة من جهة أخرى على الكف
عن تبذير المال فيما لا ضرورة له ولا نفع وفي الأهواء والشهوات والمشاهد
والزخرف والكليات ، وانفاقه فيما يموء على البلاد وأهلها بالخير والنفع
والإصلاح وخاصة في حل مشكلة هذا البؤس الاليم الذي يرتكس فيه
جمهورهم الأعظم .

(٩) ضعف استثمار امكانيات وثروات

البحر العربي

وأثراء وصلته بمجرها الحكم والرسايب الحزبية والنبائية فيها

- ١ -

إن الدخل القومي السنوي في مصر يقدر بسبعمئة مليون جنيه ، وفي سورية بالغ ومئتي مليون ليرة سورية أو نحو (١٣٠) مليون جنيه كما يستفاد من التقارير والدراسات الرسمية . فيكون معدل دخل الفرد الواحد السنوي علي هذا في مصر نحو (٣٥) جنيهاً وفي سورية نحو (٣٥٠) ليرة سورية أو (٣٨) جنيهاً مصرياً .

والدخل القومي في العراق الآن مقارب الى مصر وسورية . ومع ان المتظار أن يزداد بازدياد إيراد النفط الا أن الزيادة لن تزيد الدخل القومي زيادة كبيرة بالنسبة للمجموع . وربما صار معدل دخل الفرد بها مثل معدل سورية ومصر أو أكثر قليلاً . والدخل القومي في المملكة الاردنية لا يكاد يصل الى خمسة عشر مليون جنيه ولا يكاد يبلغ نصيب الفرد الواحد اثني عشر جنيهاً لأن سكانها نحو مليون وربع خمسم لاجئون ؛ والقسم الجنوبي من جزيرة العرب الذي لم يقسم له الحظ بعد في ثروة أرضية كما قسم للقسم الشمالي أسوأ حالاً وأضعف . ومع ان القسم الشمالي قد قسم له حظ كبير مثل في إيراد النفط الا أن هذا الحظ لا يعتبر دخلاً قومياً لأن ملوك هذا القسم وأمراءه يعتبرونه حظهم الخاص

ويعتبرون إرادته إيرادهم الخاص الذي لهم الحق في التصرف فيه كما يشاؤون ويرون . وإذا انفقوا منه شيء على البلاد والسكان فهو منهم كريماً ومنه . ومع ذلك فإن دخل النفط في المملكة السعودية التي هي صاحبة السيادة على معظم القسم الشمالي إذا وزع على أفراد الشعب السعودي لا يصيب الفرد الواحد منهم أكثر من عشرة جنيهات ! وليس هناك دخل قومي كبير آخر بحيث يصح أن يقال إن الدخل القومي في هذا القسم — باستثناء الكويت — منخفض جداً أيضاً . وسكان الكويت لا يكادون يبلغون مئتي ألف فلاستثناء لا يكاد يعني شيئاً بالنسبة لمجموع الأمة العربية . ويقال مثل هذا بالنسبة إلى لبنان الذي يمكن أن يكون أحسن حالاً من بعض النظم من البلاد العربية الأخرى حيث يقدر دخل الفرد بخمسين جنيهاً مصرياً .

والعرب في المغرب العربي أسوأ حالاً لأن خيرات المغرب الأراضية والمعدنية والصناعية والزراعية والتجارية والمائية معظمها مستغل المستعمرين الأفرنسيين ولأن جمهور الشعب العربي ليسوا إلا عمالاً كادحين بالبحس الأجور وأقصى الشروط بل هم بمثابة عبيد عمل لا أولئك المستعمرين بقوة الحاجة والقانون معاً على ما يستفاد من الكتب والدراسات التي وضعت عن حالة المغرب المذكور (١) .

ومعدل الدخل الفردي السنوي في مصر وسورية والعراق ولبنان الذي هو أحسن معدل الدخل الفردي في البلاد العربية هو في الواقع من أخط المعدلات بالنسبة لغير البلاد العربية . ويبدو الفرق صارخاً إذا ما قيس بمعدل الدخل الفردي في أميركا الشمالية وهو ١٧٠٠ دولار أي نحو (٧٠٠) جنيه وفي بريطانيا وهو (٣٧٥) جنيهاً وفي فرنسا وهو ٢٦٠ جنيهاً على ما يستفاد من التقديرات التي اطلعنا عليها . بل إن الدخل القومي في إسرائيل التي تمثل الصنف بأخبار ضيقها وافلاسها أحسن بكثير من أحسن المعدلات العربية . فإن هذا الدخل سنة ١٩٥٠ كان (٣٣٧) مليون جنيه . ومعدل الفرد هو (٢٦٦) جنيه في السنة (٢) . ومعنى

(١) في الجزء الثاني من كتابنا حول الحركة العربية الحديثة يانواف عن حالة المغرب العربي السيف.

(٢) من رسالة إسرائيل خطر سياسي وعسكري واقتصادي لمكتب مؤتمر الغرف التجارية والصناعية والزراعية العربية .

حساب هبوط قيمة الجنيه الى ربع قيمته الحقيقية فإن القيمة الحقيقية لمعدل دخل الفرد تكون نحو (٦٧) جنيهاً .
وهذا تأويل ما يتركس فيه الجمهور الأعظم من العرب من الفقر المدقع والحالة الزرية في مختلف الاقطار . ولا سيما إذا لوحظ ان المعدل الفردي هو اعتباري وليس من نصيب كل فرد وان هناك من يبلغ دخلهم السنوي مئات الألوف وعشرات الألوف والألوف والمئات من الجنيهات وان المعدل الفردي السنوي للطبقة الفقيرة التي هي الأكثرية الساحقة ينزل بسبب هذا التفاوت الى أقل من المعدل الزهيد الذي ذكرناه وقد ينزل في سورية ومصر مثلاً اللذين معدلها أرقى من غيرها الى عشرين جنيهاً أو أقل !

— ٢ —

وميزانيات الدول العربية ضعيفة جداً رغم ما يبدو من ضخامة أرقامها في نظرنا المسكين . ولا يسكاد يزيد معدل ما يصيب الفرد في أحسنها وهي مصر عن عشرة جنيهاً حيث تبلغ ميزانيتها مئتي مليون جنيه . ومعدل ما يصيب الفرد في سورية هو ستون ليرة سورية أي أقل من سبعة جنيهاً لأن ميزانيتها تقرب من مئتي مليون ليرة سورية وسكانها نحو ثلاثة ملايين ونصف ومعدل ما يصيب الفرد في العراق مفارب الآن الى سورية ومعدل ما يصيب الفرد في المملكة الأردنية أربعة جنيهاً ونصف . أما المعدل في دول الجزيرة العربية فهو أوطأ بكثير من ذلك .
والمعدل المصري الذي هو أحسن المعدلات من أوطأ المعدلات بالنسبة لغير العالم العربي . ويبدو الفرق صارخاً إذا قيس بمعدل الولايات المتحدة الذي يبلغ نحو ٧٠٠ دولار منها ٤٠٠ لميزانية الاتحاد و ٣٠٠ لميزانية الولاية الخاصة وبريطانية الذي يبلغ نحو ١٤٠ جنيهاً على ما يستفاد من التقديرات التي اطلعنا عليها . وحتى إسرائيل فإن معدلها يزيد على احسن معدل عربي . فان ارادتها الحقيقة الذاتية العادية لسنة ١٩٥١ - ١٩٥٢ قد بلغت ١١٣ مليون جنيهاً وكسوراً (١) وقد بلغ سكانها نحو مليون ونصف فيكون معدل نصيب الفرد منها نحو (٧٥) جنيهاً وإذا اردنا ان نحسب هذا الرقم بقيمة الجنيه الاسرائيلي الخارجيه فيكون نحو (١٩) جنيهاً أي ضعف المعدل المصري الذي هو أعلى المعدلات (١) .

(١) الرسالة المذكورة قبل .

وميزانيات الدول الأوروبية والأميركية بل وإسرائيل تعادل نصف الدخل العام في بلادها أو ما يقرب منه في حين أن معدل أعلى نسبة بين الدخل العام والموازنة في الدول العربية لا يزيد عن ٣٠٪ في مصر وهو أقل في غيرها حيث لا يزيد في سورية عن ٢٠٪ . غير أن هذا لا يعني أن المكلف العربي يستطيع أن يحصل أكثر من ذلك كثيراً ؛ لأن رقم دخله العام منخفض جداً وليس من السهل زيادة الضرائب والإيراد في حالة البلاد الحاضرة بزيادة كبيرة مهما كان من المحتمل والامكان أخذ مبالغ كبيرة أخرى من الأغنياء المتخفين ، لأن هذه المبالغ لن تشكل رقماً ضخماً بالنسبة لمجموع الميزانية والحاجة لأن عدد هؤلاء الأغنياء ليس كبيراً .

ومعظم هذه الميزانيات يذهب لمرتبات الموظفين ونفقات الدفاع والأمن بحيث تبتلع هذه وتلك نحو ٧٥٪ منها إن لم يكن أكثر . والربع الباقى يخصص للمشاريع الصحية والاجتماعية والزراعية والتعليمية والانتاجية والعمرائية والطرق والموانئ وغيرها بحيث لا يمكن أن يسد من الثغرة إلا جزءاً يسيراً .

وهذا من اسرار ما تعجب له من عدم ظهور آثار مهمة وناجحة في هذه الميادين على شدة الحاجة الناتجة من سوء حالة البلاد وأهلها ومن بقاء البلاد والسكان مرتكبين فيما هم مرتكسون فيه من الجهل والفقر والمرض والتأخر في كل مجال من مجالات الحضارة والقوة والنشاط .

- ٢ -

وقد يكون هناك استقطاب ثروة في فريق من السكان واستقطاب فقر واغسار في فريق آخر منهم . غير أن العلة ليست كامنة مع ذلك في سوء توزيع الثروة على ما في هذا التوزيع من سوء . لأن الفريق الثري ضئيل العدد جداً والفريق الفقير عظيم العدد جداً . ولو وزع الدخل القومي في مصر وسورية توزيعاً متساوياً على جميع افراد الشعب لما زادت حصة الفرد في مصر عن (٣٥) جنيهاً

وفي سورية عن (٣٨) جنوبياً في السنة . ودخل مصر وسورية القومي احسن دخول البلاد العربية على ما ذكرناه قبل . وليس من شأن هذا الرقم البائس الذي يعد بالنسبة لغير العالم العربي من اوطأ المعدلات ان يضمن مستوى حياة مقولة اقروى او مدني . ويقال مثل هذا بالنسبة للثروة القومية او ما يصح ان يسمى رأس المال القومي في حالته الراهنة بحيث لو وزع على جميع افراد الشعب توزيعاً متساوياً لما نتج أكثر من أن يصبح الاغنياء والميسورون فقراء اسوة بالجمهور الأعظم ، وكل ما يمكن ان يكون هو ان تتعدل قيمة ونسبة الفقر قليلاً .

كذلك فان علة هذه الأرقام البائسة في ميزانيات الدول العربية وفي الدخل القومي ومستوى المعيشة في البلاد العربية ليست كائنة في ضعف امكانيات هذه البلاد الطبيعية او في نقص طبيعي في جبهة وقابلية اهلها .

فالاعطال من الاراضي الزراعية القابلة للاصلاح والاستثمار في البلاد العربية يريد أضعافاً مضاعفة عن المستغل المستمر ، وقد وهب الله هذه البلاد نعماً عظيمة متنوعة ظاهرة وباطنة لا ينتفع بها الا في حدود ضيقة جداً . ومركز البلاد العربية ممتاز من كل اعتبار والعربي لا يقل عن أحسن الشعوب ذكاء وقابلية فيما هو يفوق كثيراً من الشعوب فيها ايضاً على ما ثبت من التجارب الفردية في مختلف مجالات العلم والعمل .

وانما تكمن العلة في ضعف استغلال تلك الامكانيات والقابليات وفي ضيق مجال العمل والانتاج مما هو الوسيلة الوحيدة الى رفع مستوى المعيشة وتحسين احوال العرب حكومة وشعباً وبلاداً .

وهذا عائد في الدرجة الأولى الى ضعف واعداد الشعب للعمل المنتج وضعف السياسة التوجيهية والاعدادية الجادة للدولة الخالصة وما يرافق سير حكومات العرب من بطول وارتمال وتقصير في حين ان ظروف العرب وحالتهم في اشد الحاجة الى خطوات او قفزات أو بالاحري الي ثورات جادة تشريعية وتنفيذية بلوغ الناية المنشودة أو على الأقل للسير في طريقها قدماً .

وهذه الخطوات او القفزات او الثورات ليست مستحيلة على العرب ولا عما لا تتحمله البلاد العربية كما قد يظن البعض . بل هي ممكنة ومستحيلة بل نستطيع ان نقول ان البلاد واهلها ونعمي السواد الاعظم على أتم استعداد لتضيدها لأن وعيه وان كان سلبياً وجامداً كما وصفناه ، وكان هذا من اسباب سكونه تجاه ما ترنكس فيه البلاد من حالات مريرة فانه في حالة يستطيع معها ان يدرك خطر وضرر هذه الحالات المريرة وما يلحق بالامة والبلاد من هوان وذل وخسارة بسببها ، وما تستمتع به الامم المتحضرة من رفاه ومستوى رفيع في الحياة وما هي عليه من قوة وثروة وعظمة ونشاط وعمران ، وما في بلاده من ثروات وقابليات عظيمة ، وما في أمته من قوى كامنة ، وما يعود من ذلك كله اذا استثمر احسن استثمار واستخدم احسن استخدام من رفاه ورفعة مستوي وقوة ومجد وكرامة ؟ وان يتجاوب مع كل دعوة الى ذلك .

- ٤ -

وفيما سارت عليه تركية من منهج مجال للاقتباس في امور كثيرة مما ذكرناه . وقد ذكرنا تركية خاصة للتأهل القوي بين بنيتها وبنية البلاد العربية .

(١) في سبيل انعاش العمل الزراعي وتمليك المحرومين من الأرض خلعت الخطوة المهمة بقانون الأرض الذي ذكرناه قبل ففتحت بهذا القانون الاتقلاي الحريه المجال امام الالف المؤلفة من الأسر القروية وأمام من يرغب في العمل الزراعي من أهل المدن الاشتغال والعمل والكسب والانتاج ورفع المستوى ، مما أحدث تباشيره تدل على ان هذه المؤسسة ستغدو مصدر ربح عظيم ونفع عميم لخزائنة الدولة واقتصاديات البلاد (١) ، وعملت على تزييد موارد ميزانيتها مما سوف يجنيه من ضرائب جديدة بسبب اتساع مجال العمل والكسب .

(١) قرأنا ونحن نكتب الكتاب في جريدة المصري عدد ١١ حزيران سنة ١٩٥٢ برقية من اقرة جاء فيها انه سيوزع خلال عام ١٩٥٢ - ١٩٥٣ (٤٠٠) الف فدان (اي ١٠٦٠٠٠٠٠) فوتم من الاراضي على المزارعين الذين لا أرض لهم وأنه وزع في الشهر الماضي (٤٠) الف فدان . وهذا الخبر يعني ان الحكومة التركية سائرة في تطبيق هذا القانون العظيم بهمة ونشاط ، واذا لاحظنا ان القانون قد صدر سنة ١٩٤٥ اذكر كما مدى ما عجز منه على الفلاحين والحزينة من فوائد عظيمة .

(٢) وفي تركية من الاحراج ما يزيد مساحته عن تسعين مليون دونم. وفي سبيل تنظيم استغلالها وضع قانون باستملاك احراج الاوقاف والأشخاص ومجالس القرى والبلديات وجعلها ملكاً للدولة ، وأنشئ مؤسسة خاصة ذات شخصية حكومية أخذت تبذل جهودها الفنية العظيمة السريعة في سبيل الاحراج تخشياً وتحطياً وتفحصاً مما أخذت تبشيره تدل على ان هذه المؤسسة ستغدو مصدر ربح عظيم ونفع عميم لخزانة الدولة واقتصاديات البلاد .

(٣) ولقد كانت الصناعة التركية ضعيفة . فتدخلت الحكومة في هذا الميدان فأنشأت مصرف « سومر بنك » برأس مال غدا ضخماً بالتدريج (صار في سنة ١٩٤٥ ثمانين مايلونا) وجعلته ذات شخصية حكومية مستقلة ، واناطت به تشغيل مصانع الحكومة والمصانع التي تشترك الحكومة في رؤوس أموالها ، ودرس وتخصير وانشاء وتشغيل المؤسسات الصناعية المساهمة في رؤوس أموال المؤسسات الصناعية الموجودة التي يمكن ان تستفيد من تقويتها وتوسيعها اقتصادياً وصناعياً وفتح المدارس لتثنية عمال ومعلمين المصانع وايضاد البعثات وتخرج المهندسين والفنيين والاختصاصيين وتسليف المؤسسات الصناعية الخ . وكان مما رسم من خطط لهذا المصرف ان ينشئ مصانع قوية للغزل والنسيج والورق والمعادن والمواد الكيماوية استهدافاً لخلق صناعة وطنية وقومية والانتفاع بخامات البلاد . وكان مما تقرر تحويل المصانع التي ينشئها المصرف الى شركات مساهمة ليتيسر اشراك الجمهور فيها . وقد سير في العمل على طريقة مشروع السنوات الخمس وكان من أثره ان انشئ في السنوات الخمس الأولى (١٩٣٤ - ١٩٣٩) عشرون مصنعاً كبيراً للغزل ونسيج الصوف والقطن والحرير النباتي والورق والأدوات المعدنية والشمع والقرميد والآجر والفولاذ والحديد كما دعمت مصانع عديدة للغزل والسكر والزجاج والاسفنج بالمساهمة المالية والاشراف الفني والإداري . وفي أثناء الحرب وسعت المصانع وزيد عددها واستطاعت ان تسد القمم الأكبر أو قسماً كبيراً من حاجة البلاد وخاصة في الاقمشة القطنية والصوفية والورق والأواني والمواد الحديدية والفولاذية والخرابية ، وغدت تستهلك نصف محصول

القطن التركي الذي زيدت العناية به بسبب ذلك حتى بلغت مساحة زراعته سنة ١٩٤٢ (٣٠٢٦٨١٨٧٠) دونماً بعد ان كانت سنة ١٩٣٢ (١٠٥٨١٠١٦٠) دونماً . ولا بد من أن نشاط المصرف قد استمر واتسع عما كان عليه حينما كنا في تركيا وكتبنا كتابنا « تركيا الحديثة » سنة ١٩٤٥ . وهكذا نشأت فعلاً صناعة تركية وطنية قوية شغلت عشرات الآلاف من العمال وصار فيها الآلاف من الفنيين ووفرت بها عشرات الملايين من المال الذي كان يدفع للخارج مقابل الحاجات المصنوعة المستوردة ، وعاد بالجملة نفع عظيم على البلاد وأهلها وميزانية حكومتها .

(٤) وبالإضافة الى هذا فإن الحكومة وجهت المصرف المعروف باسم «مصرف العمل» والذي نصف رأس ماله منها الى صناعة السكر فأنشأت شركة انشأت فوراً اول معاملها ثم انشأت بالاشتراك مع المصرف الزراعي والمصرف الصناعي الحكوميين معملين ثانين ثم وحدثت شركات السكر في شركة واحدة وجعل السكر حكرًا لها . وقد كان لها في سنة ١٩٤٤ اربعة معامل كبيرة . ولم تكن زراعة الشندر ولا صناعة السكر مأوفين فاهتم لهذه الزراعة حينما قامت معامل السكر ، وغدا انتاجها سنة ١٩٤٤ (٥٨٩٦٩٠) طناً ونتاج سكرها (٨٩٨٠٣) طناً بعد ان كان الاول سنة ١٩٢٦ (٤٧١٠٠) طناً والثاني (٥٣٥٠) طناً وبعد أن كان كان يجلب السكر لتركيا من الخارج بعشرات الاطنان - كان الجلب من السكر سنة ١٩٢٦ (٦٢٠٠٠) طن - غدت معاملته تفي بحاجاتها وتفيض قليلاً للتصدير .

(٥) ولقد كانت حركة التعدين في تركيا ضعيفة واكثرها في يد شركات اجنبية أو امتيازات اجنبية أو مرهونة لشركات اجنبية . فتدخلت الحكومة في هذا الميدان أيضاً . وانشأت سنة ١٩٣٥ معهداً فنياً باسم معهد الابحاث والدراسات لتنظيم خريطة جيولوجية مفصلة لاجناس ومواقع وقيم عروق المعادن وبمحت افضل الوسائل لاستثمار المعادن المكتشفة والممكن اكتشافها كما انشأت مصرفاً برأس مال حكومي غدا ضخماً بالتدريج سمته « مصرف المعادن » وجعلته ذات شخصية حكومية مستقلة ، وعهدت اليه بتنفيذ مشروع سنوات خمس في مجال التعدين

اسوة بمصرف سومر في مجال الصناعة . وكان من آثار نشاطه أن اشترى اسهم الشركة الألمانية لنحاس أرغني وأربعة وعشرين امتيازاً مدنياً أخرى ، واشترى شركة مناجم فحم اركلي وزونغولداق وأنشأ شركة لاستثمار معدن الكروم . وقد أصبح له في سنة ١٩٤٥ منشآت ومعامل عظيمة مجهزة بأحدث وأقوى الأجهزة لاستثمار الفحم المعدني والفحم اللينيت والكروم والحديد والنحاس والكبريت وهكذا نشأت حركة تعدينية عظيمة شملت كذلك عشرات الألوف من العمال والمئات من الفنيين وغدت مصدر ربح ونفع كبير للبلاد والخزينة .

ويبدو مما ذكرناه أن الحكومة التركية سارت في خطواتها على اسلوب الدرواية الاقتصادية أو التأميم حيث رأت أنه لا يمكن للبلاد أن تخطو خطوات واسعة في هذا المجال إلا على هذا الاسلوب مما هو وجيه جداً . فلما اعتقد بالنسبة لحالة تركية الثقافة والخلقية والاجتماعية المائلة لحالة البلاد العربية في الجملة .

وقد سارت تركية على هذا الاسلوب في شؤون اقتصادية أخرى رامية بذلك الى تكثير موارد الخزينة من جهة والاشراف والضيافة من جهة أخرى حيث جعلت التبغ والكحول والمشروبات الروحية والكبريت والملح والسكر والنفط صناعة واستثماراً واسعاً واشرافاً في يد مؤسسة حكومية مستقلة ذات شخصية حكومية . وكذلك صنعت تقريباً في وسائل النقل البحرية والبرية والجوية .

واقدر كان في تركية عام ١٩٢٥ (١٠٨٦) كيلو متراً من الخطوط الحديدية منها (٣١٦١) لشركات أجنبية فاشترت لغاية سنة ١٩٤٣ (٣١٦١) كيلو متراً منها كما أنشأت (٣٣٢٨) كيلو متراً جديداً على نفقتها . وقد حصرت النقل البحري في يدها وبد الشركات التركية القوية وقصرت حق الافراد على النقلات والاسفار القصيرة والصغيرة ، ثم أمت شركة البواخر التي تشغل في البوسفور فغدا لها سنة ١٩٤٣ أسطول بحري تجاري مؤلفاً من (١٢٠) قطعة بين صغيرة وكبيرة تديره مؤسسة حكومية ذات شخصية مستقلة وحكومية . وحسنت دار الصناعة البحرية التي كانت في عهد الدولة العثمانية حتى غدت داراً عظيمة كانت تسد في

سنة ١٩٤٤ حاجة تعمير الاسطولين الحربي والتجاري وتشيء سفناً بخارية من حمولة (١٥٠) طناً وقد رسمت خطة لتوسيع الدار لتكون قادرة على صنع بواخر وآلات بواخر لحمولة (٥٠٠) طن وأكثر ولا بد من أنها قد حققتها الى الآن . وجعل المرافئ ومستودعات المرافئ في تركية حكومية منها ما أنشأته الحكومة انشاءً ومنها ما أمته بعد ان كان لشركات لجنية . وكانت تسمى في سنة ١٩٤٥ مرفأين عظيمين على حسابها واحسداً على البحر الأبيض في الاسكندرونة والآخر على البحر الاسود في أريكلي .

كذلك الامر في النقل الجوي ، فهو محصور في يد الحكومة ويدار من قبل مؤسسة حكومية ذات شخصية حكومية ومستقلة .

ولقد وضعت تعريفية جمركية استهدفت حماية الصناعات والثلاث التركية الطبيعية والناشئة وتشجيعها كما استهدفت تقليل استيراد الكياليات ، واحتطت في الاستيراد والتصدير خطة حكومية بحيث جملا على أساس التفاضل فلا يسمح بالاستيراد من بلاد إلا بنسبة ما تصدره تركية اليها من غلات وخدمات ومصنوعات ، وتعاقدت مع الدول الموردة والمصدرة على هذا ، فأدى ذلك الى نتائج باهرة من حيث نشاط الحركة الصناعية وسد معظم الحاجة المحلية ، ومن حيث حفظ ثروة البلاد من التبدد على الكياليات ومن حيث تحسين الميزان التجاري تحسناً بارزاً وغدوه في صالح التصدير بعد اختلاله وتغلب الاستيراد فيه على التصدير .

ومن الجدير بالذكر ان الحكومة التركية استطاعت ان تفعل كثير من هذا قبل الحرب العالمية الثانية وفي حين كانت ميزانيتها تتراوح بين ٢٥٠ و ٣٥٠ مليوناً من الليرات التركية وكانت نفقات الدفاع والبوايس والديون العمومية تستغرق نحو نصف هذه الميزانية .

- ٥ -

وما تم في تركية في هذه المجالات التي ذكرنا طرفاً منها بإيجاز على سبيل المثال يمكن ان يتم مثله في البلاد العربية بطبيعة الحال بل ونحب ان يتم مثله وأكثر

منه ، فامكانيات هذه البلاد وثروتها الظاهرة والمكنوزة عظيمة جداً وأهلية
سكانها ونباهتهم عظيمتان كذلك . والزمن قد تقدم وتقدمت معه الاسباب
والوسائل وسهلت في ذات الوقت . وحاجتنا الى الاصلاح وتحسين المرافق والاحوال
العايشة للجمهور الاعظم وجعله منتجاً كاسباً شديدة جداً بالنسبة للحالة المحزنة
الرهيبة التي يتركس فيها هذا الجهور . هذا الى ما هو ضروري ومنهم جداً من
تسنيع البلاد العربية . فان معظم نشاطها الانتاجي على ضائلتها وتغتره مصروف الى
الرعاية . وهذا مما يبقها وأهلها في نطاق متأخر وفي حاجة دائمة الى الغير مستغلة
منه ويستنفذ أموالها ويذهب بما يفيض عن حاجاتها من الغلات بالائمان البخسة .

- ٦ -

على أن من الحق أن نقرر ان الذي يعوزنا ليس هو المناهج ولا الخطط
والافكار ، وانما هو نبذ الروح الواية المترددة التي كل هها تزجية الايام
والحلول السطحية العابرة والتي تدعو العالم المتحضر الى احتقارنا والاستهتار بنا
والشكائب على استغلالنا ، واستبدالها بروح تجديدية انقلابية وان تشدد الدعوة
الى ذلك اشتداداً يجعل استجابتها مما لا مناص منه في الاقدام على نهضة كبرى في
في مختلف المجالات تشريعياً وتنفيذاً وحسن استغلال امكانيات البلاد والامة وقواها
وبواهبها وثرواتها العظيمة . فقد آن للعرب ان ينتهوا من هذه الحالة البائسة التي
تعملهم وتجعل بلادهم في عداد البلاد والامم الدنيا المتأخرة ، وان يلتحقوا بقافلة
العصر الجيدة التي استطلعت ان تسخر قوى الكون وان تفعل المعجزات والعجائب
في ميادين العلوم والفنون والابتكارات والاختراعات ، وان تنتفع بذلك الى
افصى حدود الانفاع في تحسين بلادها وحالة امتهاثروة ومستوى وعمرانها وصحة
وقافة ورفاها ونظاما وان يتداركوا امرهم وكرامتهم وثرواتهم وقضاياهم بروح
تجددية وانقلابية .

فتح نسمع ونقرأ مع الناس منذ سنين كثيرة عن تقارير خبراء ودراسات
خبراء كلقت عشرات آلاف الجنيئات واحتوت الاقتراحات والنصائح الكثيرة
النفيدة والخطط والمناهج التفصيلية ، ونحن نسمع ونقرأ مع الناس منذ سنين

عن مشاويح كهربائية وزراعية وروائية ومعديّة وصناعية واستثمارية وثقافية
ومعمارية وإنشائية وتخريرية وتخطيطية وتجفيفية درست ووضعت لها الخطط
والمناهج التفصيلية في مختلف البلاد العربية ، ونحن نسع ونقرأ مع الناس منذ
سنين كثيرة عن لوائح قانونية قدمت وقوانين وضعت والنظمه قررت في شؤون
اصلاحية متنوعة في مختلف البلاد العربية ، ما لو انجز ونفذ عشره لتهدت حالة
البلاد واهلها تبدلاً عظيماً . ولكن الآثار التي تراها لسكن هذه الاعلانات
والطنطنات والدراسات والتقارير والمناهج لا تناسب مع ظروف الدنيا وشدة
الحاجة وسعة الثغرات في بلادنا .

والبعض يعزو هذا الى قلة المال في يد الحكومات العربية . ومع ما يمكن
أن يكون لهذا من صحة ما فليس هو العلة فيما نعتقد . فتركبه استطاعت كما قلنا
ان تقوم بما قامت به من مشاريع اقتصادية ومعمرية وإنشائية وصناعية ومعديّة
كبيرة ، وان تنشي وتول أربعة مصارف كبرى وهي مصارف العمل والمعادن
والزراعة والصناعة وان تنشي ثلاثة آلاف كيلو متراً من السكة الحديدية ، وان
تشتري ثلاثة آلاف ونصفاً من السكة الحديدية ، وان يكون لها الى جانب ذلك
جيش لم يكن ليقل عدده عن نصف مليون من ميقاتها التي لم تكن تتبلغ مقدار
ميرانية مصر قبل الحرب وفي أثناءها ، وعدد سكانها مقارب لعدد سكان مصر ولم
تكن حالة تركيه الاقتصادية والمعمرية والثقافية احسن من حالة مصر ان لم نقل
ان مصر تفوقها من بعض النواحي . ومعظم ما تم في تركية مما ذكرناه قد تم
أكثره قبل الحرب العالمية الثانية أي قبل ان تنهال عليها المساعدات النقدية
والعينية الانكليزية والاميركية والافرنسية قبل الحرب وفي أثناءها . وبفضل
ما استطاعت ان تفعله وان تحتفظ به من جيش قوي استطاعت أن تجعل لنفسها
مركزاً محترماً في أثناء هذه الحرب عند المعسكرين المتقارعين على السواء . وان
تجنب بلادها وبلائها وان يخطب كلاهما ودعا وان تصيب منافع مادية عظيمة منها .
واذا كان من الممكن ان يحتج على مقايضة مصر بتركية بما كان يحوف مصر من
عوائق الاستعمار فان مصر قد تحررت كثيراً خلال السنوات الستة عشر التي مرت

على معاهدة سنة ١٩٣٦ وتضمنت مزاياها كثيراً وكان في إمكانها فيما نعتقد أن تفعل أشياء عظيمة في مختلف المجالات الاقتصادية والاجتماعية على الأقل . وهذا الذي نقوله وارد كله بالنسبة لغير مصر من البلاد العربية بطبيعة الحال .

ومما تكن الثروة القومية قليلة وعدد الأغنياء ضئيلاً فإن في أيدي هؤلاء والطبقة المتوسطة مبالغ عظيمة يمكن أن تسد حيزاً كبيراً من المال الذي يحتاج إليه في النهضة الاقتصادية المنشودة . ولقد أنفق في دمشق وحدها خلال سبع سنوات ١٩٤٥ - ١٩٥٢ ما لا يقل عن (٥٠٠) مليون ليرة على بناء المساكن وحدها تحت مشاهدتنا الشخصية ، وأخبار بيروت وحلب وبغداد ومشاهدها تنبئ عن أن ما أنفق فيها لا يقل عما أنفق في دمشق . ولا شك في أن ما أنفق في القاهرة هو أضعاف مضاعفة لما أنفق في هذه العواصم مما تؤيده المشاهدات والأخبار . وهذا فضلاً عما أنفق في الاسكندرية والمدن الكبرى والمتوسطة والصغيرة الأخرى في القطر المصري والأقطار العربية الأخرى . فبلاد تستطيع أن تنفق على الممرات وحدها خلال سبع سنين هذه المبالغ الطائلة التي قد يبلغ مجموعها ألف مليون جنيه مصري تستطيع بطبيعة الحال أن تحول مشاريع عظيمة متنوعة صناعية وتجارية وزراعية ومعديّة اذا وجدت الجهد والتوجيه القوميين .

- ٦ -

والذي يتبادر لنا من كل ذلك أن عقدة هذه المشكلة وعلتها متركّزتان في جهاز الحكومات العربية وروحها ، وأنها السبب في تعثر الخطوات والمشاريع واللوائح والقوانين والتدابير والخطط والمناهج والدراسات والعرائض والقرارات التي نسمع ونقرأ أخبارها الطائفة دون أن نرى لها أثراً هاماً تنريعيّاً وتنفيذيّاً . وهما في نفس الوقت عاملان كبيران في ما يقع من أخطاء ويعترف من منكرات في مختلف الميادين . فقد كانا من الملل المهمة في ضياع فلسطين وما كان من جراء هذا الضياع من عار الابد الذي لحق بالعرب ودولهم السبع لأنها حلالا دون

الانتفاع بالامكانيات الميسورة لدى الدول العربية في حرب فلسطين وكانت هذه
 الامكانيات على ضآلتها كافية بالقضاء على اليهود . ولقد فرضت الحكومات العربية
 على نفسها في اجتماعات الجامعة العربية مقادير معينة من الاسلحة والاعتدة
 والمتطوعين لترسل الى فلسطين في مرحلة النضال الاولى ، فلم تنفذ القرارات
 تنفيذاً صادقاً وكاملاً ، فتأخر تسليم ما سلم من الاسلحة والاعتدة وارسال من
 ارسل من المتطوعين كثيراً ، وما سلم من الاسلحة كان أقل مما فرض من جهة
 وكثير منه كان في حالة لا يمكن الانتفاع به ، قدما وطرازاً وعطلاً وعتاداً حيث
 ارسل من المخازن المهجورة والمتروكات القديمة . وكانت الخطوات في كل موقف
 ومرحلة من مواقف حرب فلسطين ومراحلها وانية ضعيفة ارجحية حائرة مترددة
 متفككة ، وبدا ضعف مدعش وقصير خطير فيما يجب ان يكون لدى دوائر
 استعلامات الجيوش العربية للدول المجاورة لفلسطين من معلومات ضرورية حول
 فلسطين والاستعدادات اليهودية . ولقد كانت فضائح وسرقات وجرائم عديدة
 في ظروف هذه الحرب وفي سياق شراء السلاح والعتاد كان لتقصير الدواوين
 الحكومية والاشخاص المسؤولين واهلهم وغفلتهم في ذلك اثر كبير . وتقرأ
 وتسمع حوادث يومية كثيرة من حوادث الدواوين الحكومية وموظفيها فيها
 ما لا يكاد يصدق من الاهمال والبطول والارتجال والعفلة وتفسير الاعمال وسوء
 سلوك كثير من الموظفين وغفلتهم واعتبارهم انفسهم من غير طينة الناس
 واعتبارهم اصحاب المصالح خولاً لهم . وتنتشر الصحف احياناً تنفاً من تقارير
 ومراسلات دواوين المحاسبة فيها شيء كثير من مثل ذلك . والجهاز الحكومي الى
 هذا فضاء حتى انه ليتطلع تلك ميزانية الدولة ويرافقه بدخ يصل في بعض
 الظروف والدول الى حد انفسه والتبذير كما يرافقه ضعف الانتاج وفقدان
 المسؤولية وسوء الاستعمال والاستغلال والرشوة والمحسوبية مما تردد منه ومن
 آثاره الشكوى على كل لسان وفي كل مكان وآل . فها لم تبدل الروح والجهاز
 تبدلاً جوهرياً فان التعثر في سبيل القاية المنشودة سيظل مستمراً وحالة البلاد
 السيئة واهلها في مختلف النواحي ستظل قائمة .

واقعد جرت محاولات متنوعة في مختلف البلاد العربية بسبيل هذا التبدل فلم تجد شيئاً مهماً مع الأسف ، بل لقد تضخم الجهاز أكثر من ذي قبل في بعض البلاد حتى زاد عدد الموظفين في مصر مثلاً أكثر من عشرة آلاف خلال ست سنين بسبب ما أحدث من دوائر ودواوين ، وزاد رقم مرتبات الموظفين أكثر من عشرة ملايين جنهما بالتبعية واستمرت مع ذلك بل زادت الشكوى من تلك المظاهر المشينة التي ذكرناها .



وتلعب الاعتبارات الشخصية والحزبية دوراً خطيراً في هذا الجهاز فزیده خلال إلى خلل بما تشيع فيه من اضطراب وقلقلة وضعف كفاءة . وكثيراً ما يعتمد الحزب الحاكم إلى ملء الوظائف المهمة بل والثانوية بالمتسعين واضطهاد الذين ينسبون إلى الحزب الحاكم السابق . وكثيراً ما يحمل هذا الموظفين على الترفل والنفاق لرجال الحزب الحاكم مهما كان لونه واقتراف المخالفات القانونية والاقدام على ما لا يتفق مع مصلحة الدولة والبلاد في سبيل تحقيق مطالب ورجال وانصار الحزب الحاكم مما كثرت منه الشكوى واستشرت أخطاؤه وساءت آثاره . ومع ان بعض الحكومات حاولت التظاهر بالتزاهة والترفيع وأعلنت البلاغات بسبيل منه الا أن الأمور ما زالت على ما وصفناه في أكثر البلاد العربية . وقد جنت بعض الحكومات إلى أحداث وكلاء دائمين وأمناء فنيين واداريين دائمين للوزارات تقليداً للغرب على اعتبار ان الوزراء سياسيون ومتبدلون وان مصلحة الدولة تقتضي أن يكون جهاز الحكومة ومشاريعها مستقرة يقوم على أمرها موظفون دائميون ذو سلطات وخبرة كافية ، غير أن هذه المحاولة لم تلبث ان بدت تقليداً مسيخاً حيث ادرك اثر الحزبية الذي ذكرناه هؤلاء بشره أيضاً من حيث القلقلة ومسايرة الأهواء والارغبات على حساب مصالح الدولة وجهازها . وكثيراً ما يعتمد الوزراء الجدد إلى تغيير أو تعديل مناهج وخدات الوزراء السابقين اما لتكيد الحزبي واما للمباهاة في أحيان كثيرة فتتم بذلك تلك الشؤون ويذهب كثير من الجهود والافات والنفقات هدرًا وهباء .

يضاف إلى هذا اعتبار كثير من الذين يتوآون الحكم أن الدولة مزرعة لهم ولهم الحق في إدارتها والتصرف فيها تصرف صاحب المزرعة بمزرعته ، فيعلاؤن دوائرها بالأقارب والأخصاء والانتصار أو يختصونهم بما يعود عليهم منه المكاسب والمنافع مباشرة ومداورة . وليس من النادر أن تقرأ وتسمع خبر قيام مشروع من مشاريع الري والطرق والمخابر والاستملاك والمناقصات والمزايدات والمقاولات أو خبر صدور قرارات مانحة أو مانعة ثم يسفر الأمر عن أن هذا قد جرى خدمة الأقرباء والأخصاء . وهذا ما يجعل الذين يتوآون الحكم في بلادنا يتهاكئون على الكراسي ويحللون الحرام ويحرمون الحلال ويناقضون أنفسهم ويخلفون وعودهم ويحشون باعائهم في سبيل الاحتفاظ بها وإذا اضطر بعضهم إلى تركها قهراً فإنه لا يتوآى لحظة واحدة في استهداف العودة والعمل لها بكل قوة وبوسيلة وصفة ليستأنفوا تصرفهم المنبثق عن الاعتبار الشخصية والحزبية في الدرجة الأولى وإذا كان هناك استثناءات فهي نادرة جداً وتعتمد من الأحداث المثيرة .



وتلعب الاقطاعية الانسوية والمالية دوراً كبيراً كذلك في هذا المجال حيث أنها كثيراً ما تكون صاحبة الشأن والمرشحة في الدرجة الأولى للحكم بسبب ما يكون أصحابها عليه من المال والجاه والنفوذ والانتصار . وهكذا يقوم على الحكم في ظروف كثيرة أناس متخمون مترفون أصحاب مصالح ومطامع خاصة قلما يشعرون بالآلام الجردور ومشاكله ومتابعيه الاقتصادية والاجتماعية ويكون كل همهم الاحتفاظ باقطاعيتهم ومصالحهم وتوطيدها والدفاع عنها وعرقلة كل مشروع قد يؤثر فيها من قريب أو بعيد ، والتفنن في أساليب استغلال الحكم لأنفسهم وذريعتهم وانتصارهم وأخصائهم . وكل منا يعرف أن في مجالس النواب ودوائن الحكومة مشاريع قوانين عديدة مهمة وخطيرة في باب الإصلاح والانشاء والتحصين تناسم السنين الطوال بسبب ما تضعه هذه الطبقة في طريقها من عثرات وعراقيل . وكل

مننا يعرف أن هناك قوانين وأنظمة مقررة معطلة أو شبه معطلة، أو معطلة في حق فريق نافذة في حق فريق آخر بسبب تدخل هذه الطبقة .

وفي كل معركة انتخابية تجري في بلادنا تبذل الأموال الطائلة حتى لا يقدر ما يبذل فيها وخاصة في مصر ثلاثين من الجنيات وحتى لا يبذل المرشح ثلاثة أو أربعة أضعاف ما سوف يتقاضاه من مرتب النيابة طيلة مدتها الكاملة ... وليس لهذا الا تفسير واحد وهو حرص الاقطاعية الاسرورية والمالية على اشغال مناصب الدولة وكراسي الحكم واطمئنانها الى أن ما يعود عليها من ذلك سيكون أضعافاً مضاعفة .

وقد غدت الحياة النيابية في بلادنا بسبب ذلك مستحماً مشوهاً لا يكاد يبدو نصيبنا منه المظاهر والشكليات واشباع رغبة الكلام والتبجح . والحكومات التي تصرف على الانتخابات النيابية تتدخل في الأعم الأغلب فيها وتوجيها الى حزبها الى جانب الدور العظيم الذي يلعبه المال فيها كما قلنا قبل . ويغدو كثير من النواب لا يهمهم إلا ضمان مصالحهم واسترداد ما بذلوه من مال وجهد أضعافاً مضاعفة فيترافون من أجل ذلك الى الحكومة القائمة بها كأن لوئها وعينونها الثقة مقابل ما تقضيه لهم من مطالب ورغبات خاصة . وهكذا تضمن الحكومات استمرارها في الكراسي بالتواطىء مع النواب . ولم يكدر سجل في حقبة ربع القرن التي مارست فيها البلاد العربية هذه الحياة أن أسقط مجلس نيابي حكومة ما بها كان لوئها بسبب هذا التواطىء . وإذا كان يدخل أحياناً الى مجالس النواب رجال من غير هذه الطبقة لظروف محلية أو حزبية أو خارقة فانهم يظلون أقلية تذهب صرخاتها سدى أو يضطرون الى الاندماج في الاكثريه الاقطاعية . هذا الى ما اعتاده الملوك والرؤساء من التدخل في الكبيرة والصغيرة من شؤون الدولة والحكم وتكييفها حسب آرائهم أو بالأحرى أهوائهم رغم ما تنص عليه الدساتير من عدم مسؤولياتهم ؛ ويجاريهم الوزراء في ذلك ترافاً وخنوعاً ورغبة في الاحتفاظ بالكراسي . فكل هذا يعمل عمله في جهاز الحكومة وروحه وسيره ،

ويعقد المشكلة تعقيداً شديداً أو يجعل السير نحو الإصلاح والتقدم الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والانتعاشي بطيئاً متعثراً .

- ٩ -

وتلعب الطائفية في لبنان بالدرجة الأولى والعراق بالدرجة الثانية دوراً كبيراً كذلك في هذا الجهاز . فالطائفية في لبنان أساس كل مظهر من مظاهر الدولة ومشاريع الحكومة ومناصبها . وتوجب هذه النزعة التي قوتها السياسة الافرنسية الاستعمارية الهادفة الى اشغال أهل لبنان بالتناظر والتنافس المحسني وابعادهم عن نطاق الوحدة القومية والوطنية العامة ان يكون التوازن مرعياً كل الرعاية في تلك المشاريع والمناصب . وكثيراً ما أدنى الأمر إلى توسيد الاعمال والمناصب الرفيعة وغير الرفيعة إلى أناس ليس لهم ميزة إلا أنهم من الطائفة التي يجب أن يكون لها نصيب معين في الاعمال والمناصب ؛ وقد قويت هذه الروح مع الزمن حتى صار كل موظف يعتبر نفسه ممثلاً لطائفته ومن واجبه قبل كل شيء أن ييسر مصالح هذه الطائفة ويرعى منافعها ومآربها دون مبالاة بمصالح الطوائف الأخرى مع أن المنطق والمصلحة يوجبان أن يكون الشخص الاصلح في المكان الاصلح وحسب ، وأن يعتبر القائمون بشؤون الحكم والاعمال الحكومية للجميع لا لطائفة خاصة ولا لمللة خاصة ولا لحزب خاص . وقد حاولت محاولات متنوعة لتخفيف هذه النزعة الويثية فكان نصيبها الاخفاق بسبب معارضة رؤساء الطوائف الدينيين وغير الدينيين لأنهم يرون في بقائها ضماناً لمآربهم ومنافعهم وسلطانهم . وفي من هذا واقع في العراق لأن المسلمين الذين هم كثرة سكانه الكبرى منقسمين إلى سنين وشيعيين ؛ وكل منهم مناظر للآخر ويرى من حقّه أن يكون له نصيبه المتناسب مع عدده في مشاريع الحكومة ومناصبها وسائر مظاهر الدولة بقطع النظر عن المؤهلات والمنطق والمصلحة العامة . وقد حاولت هنا أيضاً محاولات متنوعة لتخفيف هذه النزعة ، ورغم أن الحالة آخذة بالتحسن

وأن هناك فرقاً كبيراً في شدة التزام النزعة بين العراق ولبنان فلما لازالت تلعب دورها الكبير في نطاق جهاز الحكم العراقي .

- ١٠ -

ومما يلعب دوراً خطيراً في تعقيد المشكلة كذلك الحياة الحزبية الراهنة في بلادنا التي تكون الاعتبارات الشخصية ناطمة لها في الأعم الأغلب مما هو سر كثرة الأحزاب عندنا مع تماثلها وتقاربها في المناهج والغايات ، وسر ما ترتكس فيه من الارتكاسات المتنوعة . ولانستثني من هذا تلك الأحزاب التي يبدو عليها من حيث التسمية والمناهج انها قامت على فكرة ودعوة معينة ، سواء أكان ذلك في مجال المبادئ ، والنظم الاقتصادية أم الاجتماعية فإن كثيراً منها متماثل في الخطط والاساليب وفي التسمية كما ان الاعتبارات الشخصية فيها بارزة بروزاً قوياً حتى تشكل تكون الفكرة قد جعلت وسيلة او تكأة لقيامها بحيث تكون جهود الحزب ونشاطه وقوة منوطة بالشخص او الاشخاص البارزين الذين انتأوه وبحيث يكاد يكون هدف هذه الجهود والنشاط هو بروز هذا الشخص او الاشخاص . والأحزاب التي قامت على دعوة او فكرة وتوخت العمل القومي او السياسي او الاجتماعي لذاته قليلة جداً . وقد ظلت ضيقة النطاق محدودة النشاط لانه يعموز القائلين بها الايمان والاستغراق والمطمح الاعلى والوسائل ، وقد ان سلمت مع ذلك من تأثير الاعتبارات الشخصية .

والمستعرض لظروف الحركات السياسية والنضالية وحركات الأحزاب ونشؤها وانشقاقاتها في بلادنا يرى انه قد عاد منها على القضايا القومية افدح الاضرار وان ما نسبت به الجهود السياسية والنضالية في سبيل هذه القضايا من اخفاق وعدم جدوى وعدم انتفاع من ما كان من روائع البطولة وجسم التضحيات التي كان يبديها الشعب حينما تنقد حماسه ، وان ما كان من تمكن المستعمر من الاحتفاظ بمركزه وسيطرته ونفوذ دسائسه ومكائده ونجاحه في تفريق الصفوف واتخاذ

ثمرات الجهاد والضحايا ، كل ذلك يكاد يكون بسبب مكائد الأحزاب وتجاهلها
وتدافعها وأتانية القائمين بها واعتباراتهم الشخصية . وهذا فضلاً عما يرتكس فيه
جماعات الأحزاب وصحافتها من ارتكاسات ترخص فيها الاعراض وتختل فيها
موازين الاخلاق وتهون فيها الكرامات وتسود فيها الصفحات ويبدو فيها من
كبريه المشاهد وبشع المناظر وشديد العدا والجلقاء والقطيعة والأذى بين أبناء
البلد الواحد بل بين أبناء الاسرة الواحدة مما لا يدخل تحت اي ضابط من عقل
ومنطق وخلق وكرامة وصدق وامانة شفاء لجزازات النفوس وسخائم الصدور
وتأثراً بالاهواء والاعتبارات والمصالح الخاصة بما كان منه صور الياسة جداً في
مصر وسورية وفلسطين والعراق ولبنان . وتبعاً لذلك اصبح الوصول الى الحكم
لاجل الحكم نفسه هو الهدف الاول لجهود هذه الأحزاب ونشاطها وتنافسها .
وقل ان توخت في تشكيلاتها ايقاظ الشعب وتنويره واصلاح شؤونته . واذا ما كان
الحزب فرصة في التوسع في التشكيلات والنفوذ الى الشعب بسبب موقف من
المواقف او ظروف من الظروف او بسبب نشاط القائمين عليه ومطامعهم فيكون
كل همه استغلال الفرصة ضد الحزب الآخر او الحكم القائم حتى اذا استلم الحكم
نسي كل ما كتبه في منهجه من مبادئ وخطط وما وعده به من وعود طويلة
عريضة وما كان يتعمه عن الحزب الحاكم من اخطاء وعيوب ، واخذ يستفيع من
ظروف الحكم وينفع انصاره بما تسعه قوته ووقته وطاقته ، وتتخذ الأحزاب
الآخرى حينئذ خطة التربص والتجريح والشهير والطمع والمز والاغداق والوعود
واستغلال الفرص حتى اذا آل الحكم لواحد منها سلك نفس الطريق
الذي سلكه من قبله ...

وقلما وجه نقد للحزب القوي او الحزب الحاكم في بلادنا بنية حسنة وبقصد
الاصلاح والتقويم من جانب الأحزاب الاخرى . وقلما قابل الحزب القوي او
الحزب الحاكم نقداً او معارضة بصدر واسع ايضاً . وقلما اعترف حزب معارض
بما قد يصدر عن الحزب القوي او الحزب الحاكم من اعمال ومواقف ومشاريع
فيها تقع ومصلحة وخير . والشعور القوي بين احزابنا يتعلل في كون الحزب

المعارض عدواً للحزب الحاكم أو الحزب القوي يتربص به الدوائر ويثير ضده الكراهية وبذلك جهوده في هدمه للنكابة وشفاء النفس ، وفي كون الحزب القوي أو الحزب الحاكم ينظر الى الحزب المعارض بنفس النظر فلا يألو جهداً في اضطهاده وتجريحه ونشر الدعايات والمطاعن والمعاير ضده وسد المنافذ عليه وتعطيل مصالح افراده وأنصاره . وكثيراً ما اندججت الأسر والحولات برمتها في هذه المواطن العدائية المتقابلة أو اثرت الأسر والحولات برمتها وحملت على الاندماج فيها ، وغدا الأمر بين جماعات الاحزاب عصبية قبيلية جاهلية يستباح بتأثيرها وفي ظلها مالا يجوز من مال وعرض وملك ومصالح بل ودماء وظلم وعدوان وتزوير ...

ولقد تقلب مختلف الاحزاب في بلادنا التي يقوم بها الحكم النيابي الحزبي على الحكم بحيث يقال ان الاحزاب جميعها قد توات الحكم ، كما تقلب مختلف الاعمار عليه من الشيوخ والشبان ومارسه كذلك رجال اتصفوا بالاستقلال عن الاحزاب ، ومع ذلك فانه لم يكد بطراً تحسين مهم يمكن ان يكون سبيلاً الى الغاية المنشودة ولم تبدل الروح التي تسيطر على الحكم وجهازه في اي عهد تبديلاً ذا بال مما ينطوي فيه شدة العقدة وعمقها ومما يبرر القول انها عقدة خلقية وبنوية .

وتقول والاسف يحز القلب ان من أهم علل تشكلاتنا وحركاتنا الحزبية والسياسية والحكومية وتعرها عدم ظهور زعماء اقوياء عابرة مؤمنون في بلادنا تؤهلهم مواهبهم وإيمانهم للقيادة الصالحة المصلحة التي تنفخ في الروح فتبدلها وتثير القوى الكامنة في رجال البلاد وجمهورها فتجعلها تكتسح ما في طريقها من عقبات وتسير قدماً في سبيل الإصلاح أو الانقلاب المنشود . وجل الذين برزوا على مسرح السياسة والحكم والحزبية في بلادنا عاديون في مواهبهم رغم ما يمكن ان يكون بعضهم عليه من ثقافة علمية وفنية وغيرة وطنية وقومية وصلابة في العقيدة . وبفسر هذا ما قلناه من عدم ظهور اثر لهم في جهاز الحكم وروحه رغم تقلب مختلف الفئات والاحزاب والاسنان على الحكم .

والمشكلة ليست هينة من دون ريب لأنها كما قلنا متصلة ببنية الأمة الضعيفة في مختلف قواها وتشكيلاتها المادية والادبية والثقافية والخلقية والمرانية . غير أن اليأس غير جائز وغير مؤد إلى نتيجة ايجابية بطبيعة الحال . وهذا فضلاً عن انه لا محل لليأس والتشاؤم في الحقيقة ؛ لأن الامنة العربية على كل حال متحركة نحو الامام في مختلف النواحي اذا ما قيس حالها الحاضر بحالها قبل ثلاثين او أربعين سنة .

ومما كان الوعي الآن سلبياً واجمداً في سوادها الاعظم فانه ضد هذه النقائص والانحرافات ، راغب أشد الرغبة في التطهير والاصلاح والتحسين ، ومستعد لتلبية اي دعوة صادقة مخلصه الى الاصلاح وتعزيد كل من يتقدم اليه ويقوم بأي حركة تجديدية واتقالية وتطهيرية بسبيله . ومن الواجب على كل واع قادر من شبابه وحمفينا ووعاظنا وكتابنا واساتذتنا وخطبائنا وهيئاتنا ورجالنا أن يشتدوا في الدعوة الى التطهير واصلاح النقائص والسير الخالص الصادق في طريق التقويم والتحسين وان يشجعوا كل حركة تهدف الى ذلك وان يعضدوا كل من يبدو عليه القابلية والاستعداد له وكل من يتقدم اليه دون التأثر بأي اعتبار .

بواعث الانفطبات السورية والمصرية واللبنانية وخطواتها

- ١١ -

واقعد كان معظم مذكراته من الذرائع التي تدرع بها الجيش السوري الى القيام بحركاته الانقلابية في شهر مارس ١٩٤٩ ثم بحركاته الاخرى التي كانت تامة وتصحيحاً لها لأنها انخرقت عن القصد ولم تحقق الأمل المنشود . وهذه الحالة نفسها كانت كذلك المرة التي تدرع بها رجال الجيش المصري الى القيام بحركاتهم الانقلابية في شهر تموز ١٩٥٢ ؛ مما فيه دلالة على قوة التسلل والتدحرج في الشعوب

- ١٥٤ -

والبلاد العربية من هذه الحالة السيئة والرغبة في الخلاص منها . ويزيد في هذه الدلالة ان الشعوب العربية قد قابلت هذه الحركة بكل اهتمام واعتباط وتأيد .

وتقد كانت حركة المعارضة القوية في لبنان التي توجت بالبيان الجريء الذي القاه رئيس الوزارة سامي الصلح وضمته قرارات رسمية خطيرة عن استئراء الفساد وأسبابه ، والتي أدت الى الاضراب العام ثم أدت الى نوع من الانقلاب باستقالة رئيس الجمهورية تعبيراً قوياً عن ذلك التمليل والتدمير .

ونحن من المستبشرين المقتنعين بهذه الحركات ، لان الحالة السيئة التي وصفناها لا يمكن اصلاحها الا بحركات انقلابية جريئة يكون هدفها القضاء على الفساد المستشري في نظام الحكم وجهازه وروحه الوانية ، وتخفيف التفاوت العظيم بين طبقات الأمة ان لم نقل ازالتها ، وانقاذ اكثريّة الأمة العظمى من الهوة السحيقة التي ترتكس فيها ، والاصلاح والتطهير والتحسين في مختلف شؤون الدولة الاقتصادية والاجتماعية والاخلاقية والثقافية والفروية والعمالية والحزبية والنيابية بخطوات سريعة وحازمة يختصر بها الزمن ، ولا تقف الاشكال والتقايد والمقاهيم الراهنة في طريقها وتكون زمنية مجردة من المطامع والمآرب الخاصة .

ولقد اصدر القائلون بحركات سورية ومصر في برهة وجيزة كثيراً من التشريعات اصلاحية المهمة في مختلف الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والتنظيمية والاصلاحية مما يحسنه واقترحناه في الفقرات والفصول السابقة ؛ كما اخذوا يسبرون في سبيل تنفيذ هذه التشريعات ، وتحقيق كثير من المشروعات ، والنجاز كثير من الوعود مما يبعث في النفوس الآمال بالتحسن والاصلاح المنشود بعد فترة من الوقت اذا ماواصلوا نشاطهم ونفذت التشريعات حققت المشاريع وانجزت الوعود .

وما يثلج انصدور انهم أكدوا بمختلف الاساليب والمناسبات ان هدف الاصلاح والتطهير والتحسين في مختلف شؤون الدولة بسرعة وحزم هو هدفهم ،

وانهم تجردوا عن كل ما يسيىء الى هذا الهدف القومي من المآزق والنزوات
الخاصة ، وانهم ليسوا بسبيل فرض ديكتاتورية شخصية ، وان الاسلوب القائم
ليس إلا مرحلة انتقالية لا بد منها سيعقبها حياة نياية سليمة الاساس والبنيان ،
كما ان نياتهم وتصرحاتهم تدل على انهم يصدرون فيما يقولون ويفعلون عن وعي
وادراك واخلاص .

واقدماء رجال العهد في القطرين الى حركة جديدة باسم حركة التحرير
ووضعوا لها منهجاً قومياً واصلاحياً شاملاً احتوى جميع الاهداف التي يتحقق
بها بعث دولة قوية في بنائها السياسي والاجتماعي والاقتصادي والعمراني والدفاعي ،
مضمون فيها الحريات المتنوعة هادفة الى توفير اسباب الحياة الكريمة المعقولة
والصحة والعلم لجاهل الشعب في المدن والريف على اساس حكم نياي سليم ؛
متوخين جعلها حركة شعبية قومية عامة يتضامن افراد الامة على اختلاف فئاتهم
في تحرير البلاد مما يعيقها من عوائق ويشوبها من شوائب داخلية وخارجية
 واجتماعية واقتصادية لتحقيق تلك الاهداف السامية ؛ وقد أخذ آلاف الناس
من مختلف الفئات والميول تقبل على هذه الحركة المباركة ان شاء الله وتندمج فيها
عما يدعو الى الاستبشار والاشتباط .

واننا ندعو الله أن يثبت القائمين بالحركات الانقلابية في عزائمهم ويسدد
خطواتهم ، ويحببهم المآزق والنزوات ؛ واننا نشتمنى أن يتضامن ذوو الشأن
والدراية في تحقيق الاهداف الاصلاحية التي تستهدفها هذه الحركات ؛ وأن يندمج
الجميع في مفهوم وروح الثورة الانقلابية التجديدية التي بها وحدها يستطيع
اختصار الزمن والتغلب على كل عثرة في طريق تلك الاهداف ؛ وان تشدد دعوة
الواعين الى ذلك ؛ وان تبرز هذه الروح التجديدية الانقلابية الى البلاد العربية
الاخرى حتى يتم الانسجام والاتفاق فيما يجب أن تسير عليه الامة العربية من
خطوات عاجلة وجريئة بسبيل الاصلاح والتحسين . ففي هذا العلاج القوي
الناجع للحالة السيئة التي تركس فيها امتنا وبلادنا ، وايدان للعالم بأن الامة
العربية أخذت تجد في سبيل الحياة الصالحة العزيزة الكريمة .

ولقد يسرت الحركة الانقلابية المصرية سبيل التضامن والتعاون والانسجام بين مصر وسورية خاصة لأنها غدتا تشتركان في طبيعة النظام والاسلوب والهدف والخافز . فعلى الواقعين المخلصين من أبناء البلدين ورجال عهدهما أن يستفيدوا من فرصة هذا التشارك بأوسع مقياس ، وأن يتسقوا ويتضامنوا فيما يعترضونه من خطوات اصلاحية في مختلف الشؤون ، بل وأن هذه الفرصة لتسمح لهم بتوثيق صلات البلدين توثيقاً أقوى مما هو قائم بينهما وبعبارة ثانية توثيقاً اتحادياً اقتصادياً وسياسياً وعسكرياً وثقافياً وتدريبياً واجتماعياً ليكون نواة الاتحاد العربي العام الذي هو غاية وضرورة معاً للبلاد العربية والشعوب العربية ، والذي كانت الحالة السائدة قبل الانقلاب من الاسباب الحائلة دونه . وبما لا شك فيه انهم سيؤثرون فيما يعملونه في هذا المجال في سائر البلاد العربية ويجعلونها تجاربهم وتسير معهم فيه .

ولقد انتخب لرئاسة الجمهورية اللبنانية نتيجة للحركة التي اشرفنا اليها كميل شمعون الذي كان من قواد المعارضة للفساد المستشري في جهاز الحكم وروحه وفي سائر اوضاع الدولة ومن طلاب الاصلاح ، والذي عرف الى هذا بنشاطه وروحه العربية القومية وسخطه على ما يرتكس فيه لبنان وسائر بلاد العرب من اوضاع سيئة في مختلف النواحي . وقد دشّن عهده بخطاب قوي وعد فيه بالسير في خطة اصلاحية وتطهيرية وتجديدية شاملة وتحسين حالة الشعب وتحقيق العدالة الاجتماعية وخلق شعب واحد تسود فيه الوحدة الوطنية وتزول منه النزعة الطائفية ، والسير في سياسة عربية قومية عامة ترفع من هبة العرب وتحقق اهدافهم في مختلف قضاياهم ، مما يبعث في النفس الامل في أن يندمج لبنان فيما دعونا اليه سورية ومصر من الانسجام والتضامن والانتفاع من فرصة التشارك في الخافز والهدف بأوسع مقياس . وعلى الواقعين المخلصين في لبنان أن يشتدوا في الدعوة الى ذلك .

هذا ؛ ومن المسائل الجديرة بمزيد الاهتمام والعناية والتي يمكن ان تكون وسيلة قوية وناجعة لاصلاح جهاز الحكم وروحه تزويد دوائر الحكومة بالخبراء الاجانب الصالحين . فمما تكن ثقافة الموظفين العرب وفهم وخبرتهم فان روح النظام والتنظيم والانتاج والتنفيذ وحسن استعمال الوقت والوسائل مما ينقص كثيراً منهم لأن ذلك كله مظاهر من مظاهر انما في الروح والمرأ أكثر منه نتيجة تعليم سريع . ودليل ذلك انه أصبح في دواوين الحكومة وأعمالها عدد عظيم ممن حصلوا على أحسن الشهادات من الجامعات العربية والغربية في مختلف العلوم والقانون دون أن يكون لذلك أثر كبير وناجع في تبدل روح الجهاز الحكومي . فنحن والحالة هذه في حاجة الى خبراء اسكن فرع من فروع العمل الحكومي ، لإعادة تنظيمها أولاً وبث روح النظام والتنظيم والانتاج والتنفيذ وحسن استعمال الوقت والوسائل ثانياً . ومن الواجب أن نستكثر منهم دون أن يهوانا عدد ما كان كثيراً لأن الحاجة شديده الى روح جديدة لا ينشأ إلا من هي فيه خلقاً وروحاً ومرأنا . هذا فضلاً عن الاحتمال القوي في أن يكون المال المبذول في هذا السبيل ممتراً من حيث ان تنظيم الخبراء سيقط في الارحج عدد الموظفين ويزيد في الانتاج . وهنا مشكلة جديرة بالتنبيه وهي وجوب العناية الشديدة في اختيار الخبراء وعدم الانخداع بالمظاهر والالقاء أولاً والابتعاد عن تعلق الدول الطامعة والقادرة بقدر ما يمكن ثانياً .

نقول هذا ونحن نعرف ان حكوماتنا اخذت تستعين بالخبراء الاجانب ، غير ان هذا ما يزال في نطاق ضيق أولاً ، وكثيراً ما عسرت أعمال الخبراء وجهودهم ومقترحاتهم من قبل الموظفين نسكاً وحسداً وتجبجاً ثانياً ، مما يجب أن تستند الدعوة الى اصلاحه والتنبيه عليه .

ومن الوسائل التي تخطر بالبال ان يعهد بالتشريع الكبرى التي ترمي الى استغلال ثروات البلاد وتقوية انتاجها بل وبالشؤون التعليمية والعمرانية

والاجتماعية الى مؤسسات حكومية مستقلة لها صفات حكيمة لضمان الاستقرار والاستمرار لها وعدم تأثرها بتيارات وتبدلات وازمات الوزارات والحزب والانتخابات على النحو الذي اقترحه في صدد العناية بشؤون القرية والذي سارت عليه تركيا في نهضتها الاقتصادية الحديثة مما المعنا به قبل . لان هذه المشاريع والشؤون تسير عادة وفقاً لخطط ومناهج مرحلية تستغرق مدة طويلة ، ويجب ان تكون الاداة القائمة عليها بخارجي عن تلك التيارات .

ومن أم ما ينبغي الاهتمام له بشدة وقوة في هذا المجال امر الامتيازات الاجنبية التي تجعل كثير من مرافق البلاد وثرواتها تحت سيطرة الشركات الاجنبية وتسمح لها باستمرار وافر الارباح مما لا يمد مانستهيدة البلاد وخزينة الدولة منه إلا شيئاً نادياً ، فضلاً عما لها من آثار ضارة في السيادة والسياسة العربية القومية من حيث يدرى العرب ولا يدرون ، حتى كانت تكون نعم الله على البلاد العربية بسبب ذلك تقام وكاد يصير ما وهبها الله بلاء من اسباب القوة والثروة والمركز الممتاز اسباب ذل وضعف .

فمن اوجب الواجبات ان نشدد الدعوة الى معالجة هذا الامر بمعالجة ناضجة وحازمة إما بتأميم هذه الشركات واستثمارها من قبل مؤسسات حكومية مستقلة وهو الافضل ، وإما بإعادة النظر في شروطها بعد الدراسة الوافية وضمان معظم الربح والفوائد لخزينة الدولة وأهل البلاد وإزالة كل قيد عس بسيادة الدولة والمصالح القومية من قريب او بعيد وإبقاء هذه الشركات في نطاق المستثمر المالي المعقول . ولقد كان كثير من هذه الامتيازات ان لم تقل جريئة املاء وتحكما وفي ظروف القاهرة ، وحالة العالم تيسر امكان إعادة النظر فيها كان وضمانة حتى الخزينة وأهل البلاد في ثروات بلادهم وعدم استمرار استنزافها من قبل الاجانب في حين يقامى أهل البلاد ما يناسون من بؤس وحرمان وضلت عيش وجهل ومريض ، وتقاضي خزينة الدولة ما تقاسيه من عنت وضيق شديدين . وليس من محل لتوبيخ الدول التي تقبع وراء هذه الشركات والتي ان تستطيع ان تعمل شيئاً غير التهويل والفارغ امام الجذ والمهزم .

ونريد أن نخص امتيازات النفط وأنانيه بالذكر في هذا المقام . فإن الله قد
 من على البلاد العربية بشرة نفطية هائلة من شأنها أن تؤثر في مجرى سياسة
 العالم جميعه سلبا وإيجابا . ولقد كان من شأنها أن تكون أقوى وسيلة إلى حل
 قضايا العرب فضلا عن أن تكون أعظم وسيلة إلى اصلاح شؤونهم الداخلية لـ
 أحسن رؤسائهم الانتباه واغتنام القرض وتحلوا بالإرادة والعزيمة والصدق
 والتجرد . ومع ذلك فظروف العالم وتطوره يسمحان للعرب في كل ظرف أن
 يستفيدوا من هذه النعمة أعظم فائدة حينما يجدون ويصدقون في الرغبة ويتجردون
 من الأهواء سواء في مجال نيلهم حقهم الطبيعي باعتبار انهم اصحاب الثروة وإن
 الشركات ليست إلا صاحبة رأس مال ليس له إلا الربح المفقول ، فيستولون على
 معظم الأرباح وينفقونها على مشاريع الأحياء والعمران والاصلاح الكبرى ،
 وسواء في مجال السياسة العالمية الذي تجعلهم فيه ذوي شأن كبير يساعد على المساومة
 وحل قضاياهم القومية . ولقد آن لهم أن يجدوا ويعتزموا ويصدقوا في الرغبة ،
 وأن تكون لهم سياسة نفطية موحدة وأن يكون لهذه السياسة اداة في أمانة
 جامعة دولهم ، ومن الواجب أن تستند الدعوة إلى ذلك بقوة ودأب واستمرار .
 ونقولها ثانية أن من الواجب عدم تهيب الدول الفاعلة وراء هذه الشركات فإن
 تفعل الاتهويشا ولا ينبغي أن يؤثر هذا فيما إذا ما عزمنا وصدقنا الرغبة .

ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن من الواجب أن تشدد الحكومات العربية
 بعد الآن كل التشدد لزاء أي عروض شركات وامتيازات اجنبية وإن لا تمنح أي
 ترخيص لأجنبي الا عند الضرورة الفنية والمالية وفي نطاق يتضمن مصلحة
 الدولة من كل ناحية وبالنسبة للحاضر والمستقبل ، وشركات من دول غير طامعة
 ولا ترمي إلى العمل الاقتصادي لذاته ، وأن عليها أن تضطلع هي بالمشاريع الاستثمارية
 الكبرى الزراعية والصناعية والمعدنية والكهربائية — والنقلية الخ على حسابها
 وبمساهمة الأهليين في رؤوس الاموال اللازمة وبإدارة مؤسسات حكومية مستقلة
 على النمط الذي سارت عليه الحكومة التركية على ما ذكرناه قبل . فهذا هو الذي

يمكن ان يتسق مع مصالحتنا القومية من ناحية سياسية ومن ناحية اقتصادية وفيه كل الخير والفائدة .

وليس من مانع من الاستعانة في تأسيس وإدارة هذه المشاريع بخبراء من الاجانب بل انه واجب ولو لمساعدة من الزمن مع تفضيل من لايت الى الدول الفادرة . وفي خلال هذه المدة يجب الاهتمام لتخريج شباب العرب بمقياس واسع في مختلف الفنون والعلوم والصناعات ليسدوا الحاجة وتولوا الشاء وإدارة الاعمال والمشاريع فنياً وإدارياً ويقبسون معجزات الغرب في مختلف مجالات العلوم والفنون ليحققوها في بلادهم وقد أثبت كثير منهم قابلياتهم العظيمة لهذه المهام .

وفي البلاد كما قلنا قبل برغم فقر جمهورها الاعظم طبقة ميسورة تستطيع ويجب ان تشارك في تمويل هذه المشاريع بمقياس واسع ، ويمكن أن يتم هذا اذا لم تستجب الدعوة الى المشاركة الحرة بل بقرروض وطنية إجبارية مقابل فوائد محددة وحينئذ تستقل الحكومات بالفعل .

وإيراد المناطق العربية من الثروة النفطية السنوي عظيم ربما زاد مجموعه عن مئة وخمسين مليون جنيه ، وهو قابل للزيادة وخاصة بالنسبة للعراق . وطاقة بعض هذه المناطق أقل من أن تحمّل اتفاق هذا المبلغ الضخم في مشاريع نافعة لقلة السكان وضيق الرقعة وضعف الامكانيات الطبيعية . ويبرز بسبب ذلك قسم عظيم منه على أشياء كإقامة وشخصية لا تقع فيها ولا دوام . وانه لمن الممكن والواجب معاً ان يسمى لدى رؤساء هذه المناطق ويطلب اليهم المشاركة الواسعة في ذلك أيضاً . وانه لمن الممكن ان يسد بنصف هذا الإيراد السنوي الضخم الذي يحار أصحابه وكيف ينفقونه ثروة واسعة من حاجات البلاد العربية التي فيها امكانيات عظيمة لمشاريع اقتصادية متنوعة والتي بنفصها المال اللازم لها ، ويكون عوناً كبيراً على استغلال امكانياتها العظمى وخاصة على تنمية التي هو مهم جداً وقد تؤثر كبير في دعم نشاطها وحيويتها وقوتها ، وان من الواجب ان تشدد الدعوة الى ذلك . والمال بعد لا يطلب هبة ولا منحة وانما يطلب للتنمية والرياح الذي يعود بالنتيجة

على أهل هذه المناطق بدلاً من تبذيره فيما لا نفع أو لا خير فيه للأمة
والبلاد العربية .

- ١٣ -

أما معالجة موضوع الأحزاب فالذي نراه هو وجوب اهتمام القائمين بالحركات
الانقلابية والإصلاحية لجعل الفكرة والمبادئ وقصد التضامن فيها وتنظيم الجهود
والأساليب في سبيل تحقيقها هو الناظم لها ؛ ولا مانع من أن يحملوا دون تعدد الأحزاب
المثالية أو المتفاربة في مناهجها وأسايلها ، ودون التكتلات الحزبية التي لا يكون
سندها ومظهرها إلا اعتبارات الشخصية مما هو ظابع معظم الأحزاب التي قامت
في بلادنا ؛ بحيث يتيسر بذلك أن تكون الفكرة والمبادئ الميزة هي الناظمة
وأن يندمج الذين يكونون قائمين بالفكرة والمبادئ في الحزب سواء اجمعتهم
مع مديري دفته ومؤسسية جامعة من معرفة أو صداقة أم لم تجمعهم .

وفذكر هنا على سبيل المثال الأفكار التي يحسن أن تقوم الأحزاب عليها في
بلادنا وتماز :

١ - في الدنيا فكرتان متنازعتان أحدهما الاشتراكية على اختلاف مداها
وثانيها الفردية الاقتصادية أو الحرية الفردية الاقتصادية . ولكل منها أنصار
مؤيدون ومستندات واقعية ونظرية . فيصح أن يكون في البلاد العربية حزب
اشتراكي وآخر حر اقتصادي فيكون الفرق بارزاً ومفهوماً بين هذين الحزبين
فيؤيدهما الناس بالانتماء والتعضيد عن علم وبيئة .

٢ - ومما يكن مفهوماً من أن مسائل العامل والفلاح والإصلاح الاجتماعي
تتناوله مناهج هذين الحزبين وخاصة الاشتراكي فإن حالة العامل والفلاح وضعف
المنشآت الاجتماعية مع شدة الحاجة إليها في بلادنا تتحمل ولو لآمد محدود أن
يكون حزب اجتماعي اصلاحي يتفرغ لهذه الناحية ويبدل جهوده في سبيلها .

٣ - وبالنسبة لدنيا العروبة هناك فكرة الوحدة الشاملة التي تهدف إلى وحدة
الدولة وهناك فكرة الاتحاد مع احتفاظ الدول العربية الراحة بكياناتها الذاتية

في مجال السلطان الداخلي . فلا مانع من ان يكون لكل من يقول باحدى الفكرتين كتلة حزبية خاصة .

د — وهناك فكرة وجوب توطيد الحياة النيابية على اوسع مداها كما ان هناك فكرة الاقتصاد في ذلك بحيث يكون للسلطات التنفيذية صلاحيات واسعة بعض الشيء . وكل منها مستند الى مؤيدات نظرية وواقعية . فلا مانع من ان يكون لكل من يقول باحدى الفكرتين كتلة حزبية خاصة .

هـ — وهناك كذلك من يرى النظام الملكي والادارة المركزية هما الاصلح لشكل الحكم والادارة في البلاد العربية في حين ان هناك من يرى النظام الجمهوري واللامركزية هما الاصلح . وكل منها مستند كذلك الى مؤيدات نظرية وواقعية . فلا مانع من ان يكون لكل من الفكرتين كتلة حزبية خاصة ايضاً في الدول التي لا تزال تسير على النظام الملكي والمركزية الادارية .

ولا يؤخذ من هذا التعدد ضرورة تعدد الاحزاب بنفس النسبة . فمن الممكن ان تكون هذه الفكر المتضادة مجموعة في حزبين أو ثلاثة مثلاً .

وننبه على اننا شخصياً لانؤيد الحرية الاقتصادية الفردية على اطلاقها كما اننا لانؤيد فكرة الحياة النيابية على اوسع نطاقا ولو لمدة محدودة من الزمن على الأقل . ونعتقد ان الحياة النيابية المحدودة التي تسمح للحكومات بسلطات واسعة هي الافضل الآن بسبب حاجة البلاد العربية الى الاستقرار والاسراع في الخطوات اصلاحية والتجديدية مما قد يثمر بالشكليات البرلمانية المعروفة ثم بسبب مآرئنا من مشاهد الانتخابات النيابية والمجالس النيابية في بلادنا والتي لم تكن تلك الحياة تتدنا بها الا تقليداً مسيخاً مشوهاً أدت في الاعم الاغلب الى استئراء الفساد في الحكم والاستغلال السيء وتشر المصاريع وانزعاجات اصلاحية . والافضل ان يكون النظام النيابي جليماً بين حق رقابة الائمة على السلطات التنفيذية وبين تمتع هذه السلطات بصلاحيات واسعة لانتقدها إشكالات الحياة النيابية وشكلياتها على ان يوضع ضمانات للتوازن بين سلطات الدولة بحيث يحاط الحق في نزع الثقة من

الوزارة بوضع قيود من شأنها ان تجعل مركز الحكومة غير مزعزع حتى تقوى على احتمال مسؤولياتها في اعمال اصلاح الواجبة ، وبحيث يكفل استقرار السلطة التشريعية فلا يكون البرلمان عرضة للحل لانتفاه الاسباب ، وبحيث يكفل مبدء سيادة الدستور وسيادة القانون وذلك باقامة رقابة قضائية نافذة على دستورية القوانين التي تسنها السلطة التشريعية وعلى شرعية القرارات التي تصدرها السلطة التنفيذية .

ولا يعني شيء من هذا ان تكون حرية الرأي والنقد والنشر والاجتماع والعمل ضيقة محدودة . بل يجب ان تكون في كل حال مطلقة اطلاقاً تاماً لا يقيد بها الا حرية الغير وحقه وكرامته والمصلحة القومية العليا .

ومن ناحية النظام الاقتصادي فالذي نعتقد ان الاشتراكية المعتدلة الوطنية هي خير المناهج ؛ ونعني بها التي تهدف الى ازالة أو تخفيف الفروق العظيمة بين الناس في الثروة والملك والمراتب الاجتماعية وحق الاستمتاع بنعم الله في كونه على التساوي ، والمساواة التامة الفعلية في الحقوق والواجبات العامة ، وسيطرة الدولة على المرافق والمنشآت العامة التي لها اساس بمصالح الجمهور وحياته بقصد التيسير والتخفيف عن الجمهور ، والحيلولة دون استقلال العمال والفلاحين واضطهادهم وارهاقهم ، وتوفير اسباب العلم والصحة والعمل والحياة المعقولة لكل الطبقات ، وكفالة العاجزين عن الكسب من الشيوخ والاطفال والمرضى على ما يستلزمه في سياق الكلام عن الشيوعية ؛ وبما هو من تلقينات القرآن وملهاته ، وبما نعتقد انه العلاج الوحيد الذي يمكن ان تستقر به البشرية وتقر عينها بالهدوء والرضاء . وبما ساق اصحاب النظرية الاقتصادية الحرة من حجج فطن يستلجمون ان ينعونوا بصواب نظريتهم لانها تصطدم مع حقيقة الواقع من كونها تؤدي الى تجمع الثروة في أيدي فئات قليلة وبقاء السواد الاعظم في حالة الحرمان مما كان هناك اختلاف في مدى هذه الحالة . واذا كنا نرى حياة العامل والفلاح حسنة ومسئولهم ترفع في بعض الدول وقد نالوا عناية كبيرة من الحكومات واصحاب الاعمال في

الظروف الأخيرة فإن الذي نعتقد أن ذلك إنما هو استجابة بوجه ما إلى الدعوة الاشتراكية أو الرغبة في تفاديها وليس ذلك أصيلاً في طبيعة النظرية التي يقوم عليها النظام الاقتصادي الفردي .

وقد قيدنا الاشتراكية التي نفضلها بالمعتدلة الوطنية احترازاً عما توسس به الشيوعية من التنكر للكرامة القومية والمصلحة القومية والتقاليد القومية ومن محاربة الملكية والحيازة اطلاقاً ومن تسخير الفرد تسخيراً شديداً حيث يرى في هذا كله محاولة غير مجدية لتعديل الطباع البشرية أو بالأحرى تعديل الغرائز ؛ واهداراً للقوى والمواهب البشرية دون ضرورة ولا مبرر ؛ وأكراً مانكره في هذه الاشتراكية الشيوعية أنها دعوة أجنبية وأن الذين يندمجون فيها من العرب وغير العرب ينسلخون من قوميتهم وما تستلزمه من مقتضيات ويسرون بوحى موسكو سلباً وإيجاباً مما كان في هذا الوحي من مفارقات ومغاطات ومناقضات على ما ألمنا به بأسباب أكثر في أحد الفصول السابقة .

أما من ناحية شكل الحكم والادارة فالذي نعتقد أن النظام الجمهوري واللامركزية هما الأصلح . وقد كان ذلك النظام هو شكل الدولة الإسلامية بعد النبي عليه السلام ، وكان عهده مضرب المثل في العدل والاستقامة ومصلحة الشعب . وسلسلة المآسي الدائمة المتصلة الحلقات في تاريخ العرب والإسلام إنما كانت بسبب الملكية التي كانت الانانية والاعتبارات الشخصية والأهواء الفردية هي كل شيء فيها بالأعم الأغلب . وإذا كان تنظيم وراثته العرش قد خفف من بلاء المنافسات والمكابدات فإنه لم يغن شيئاً في صدد ولاية الصالحين خلاقاً وعلماً وإخلاصاً حيث ظل ذلك رهن الصدفة وحيث ظل الباب مفتوحاً لتولي الأغرار والأغبياء والفاستدين لأنهم ورثاء الملوك الراحلين وحسب ؛ وهذا فضلاً عن التكاليف الباهظة التي تحملها الملكية للشعب في نفقاتها ودبدباتها وقصورها ثم فضلاً عن دسائس الملوك وجنوحهم إلى الطغيان والتحكم . وأقول بأن النظام الملكي ضمن الاستقرار قول جزاف . فمهما تكن الانتخابات للجمهوريّة فإنها إنما تكون

في كل بضع سنين مرة . ويكفي للتدليل على كونه جزافاً ان الذين يقولون به لا يقولون بالغاء الحياة النياية بسبب ما في انتخاباتهم من اثاره مع أنها علمة تتأثر بها جميع البلاد . ومما كانت الانتخابات فان نتيجتها تكون على الغالب شخصاً ممتازاً ناضجاً لا يتجلى من مزايا خلقية وعلمية وقرمية ؟ وهي على كل حال اضمن دائماً من الوراثة لتولي الاصلاح لرأس الدولة كما هي التعبير الحاسم لسيادة الأمة الذي يتجدد من حين لآخر . والخلع من الرئيس المنتخب اذا ظهر فساد اسهل بكثير من الخلع من الملك . ومن الممكن تفادي الهزات وضمان الاستقرار بجعل مدة رئاسة الجمهورية طويلة أو مدى الحياة مثلاً كما كان الأمر في جمهورية الخلفاء الراشدين التي هي التقليد الاسلامي الاول الواجب احتذائه في نظام الحكم في الدول العربية . أما الادارة المركزية فمن شأنها ان تشل البلاد وتعرقل حركتها الاقتصادية والعمرانية بسبب سيطرة المركز وما تؤدي اليه من مطلق وإهمال وما قد تفسح له من مأرب ومحابة وشهوات ..

الفصل الثاني

المشاكل السياسية

- ١ -

(١) عرقات الدول العربية ببعضها .

قد تكون هذه المشكلة رأس تلك المشاكل وعقدتها . فليس خافياً ان علاقات الدول العربية ببعضها لا تقوم على ما يجب ان تقوم عليه من التوافق والتضامن والتعاون والانسجام والصراحة والمودة . وانه يسودها أحياناً كثيرة نخاذل وتراخ وشكوك وتنافس وجفاء ومكائدات وتفسيرات تعود على العرب ومصالحهم وكراماتهم بأشد الاضرار وتكون من أشد العثرات في سبيل قوتهم وتقدمهم . وعقدة هذه المشكلة هي السياسية الاقليمية والشخصية التي تسيطر على تلك العلاقات وتنظمها وتحول دون صدق التعاون والتوافق وتحفز بعضها للترقب بالآخر والكيد له أو عدم الاهتمام لمصلحته بصدق وإخلاص وجد .

فالبعض يحسب حساب قوة البعض الآخر واشتداد نشاطه وتحسن أحواله وقوته ويرى في ذلك تهديداً أو خطراً عليه فلا يشور عن اقامة العراقيل وبث الدسائس والمكائد في سبيله حتى يفل متعثراً لخطوات في المجال السياسي والاجتماعي والاقتصادي . والبعض يرى ان مصلحته الخاصة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

تقضي بأن لا يندمج مع غيره اندماجاً قوياً حتى لا تضع شخصيته ولا تتأذي مصلحته الإقليمية فيقف عثرة في سبيل أي حركة أو دعوة أو رغبة اندماجية وتوافقية وتعاونية . والبعض يرى في اندماج بعض الاقطار ببعضها اندماجاً قوياً وصادقاً ، اضعافاً لمركزه وشخصيته فلا يتوانى في احباط أي حركة من مثل ذلك بأي وسيلة يقدر عليها . والبعض يسير في علاقاته ببعض الدول الكبرى سرّاً وعلانية على غير مايجب البعض الآخر بل وعلى غير ما تقتضيه مصالح العرب ويقررونه في اجتماعاتهم الرسمية العامة ، ولا يبالي بالوقوف موقف الخاذل أو الناقض أو المطل ...

-٢-

والمتبع لسير وظروف كارثة فلسطين الحاطمة التي سجلت على العرب عار الأبد وأذلتهم في عيون أهل الأرض وسمحت لأذل أمة في الأرض أن ترهب عليهم وتهزأ بهم وتدعي كذباً بأنها كسرت دولهم السبع ، وتفعل بفلسطين وأهلها الافعال ، وتظل تعتدي عليهم الى الآن بمختلف الصور والاساليب وتكيد لهم ، ولا تبالي بهم في كثير ولا قليل يجد ان السياسة الشخصية الإقليمية واعتباراتها كانت سبباً قوياً بل السبب الأقوي فيها كما أنها لم تزل السبب القوي لمنع العرب من الأخذ بالثأر وغسل العار مع قدرتهم على ذلك .

فقد كان التضامن والتعاون والثائق مفقوداً بالمرة في الحرب المرحية الهزيلة التي أقدمت عليها الحكومات العربية بتأثير تلك السياسة بينما كانت تقضي بذلك بسط البدائه لأنها حرب واحدة الغاية والحافز من جهة وكانت نتيجة لقرار اشترك فيه الجميع من جهة أخرى . وظل هذا التضامن والثائق والتعاون مفقوداً بتأثيرها في مراحل الحرب الفلسطينية التالية حتى بلغ ذروته الآلئمة المحزنة في ظروف معارك النقب وضم فلسطين ومفاوضات الهدنة المنفردة وعقدتها واستمر مفقوداً الى الآن في جميع ماله صلة بهذه القضية الشديدة ، واستغله اليهود وأعداء العرب أوسع استغلال وأقواء مادياً ومعنوياً وما يزالون يستغلونه في صدد القضية الفلسطينية |

وقد لعبت هذه السياسة دوراً عجبياً في مراحل قضية فلسطين قبل التقسيم والحرب أيضاً . فقد بدا من انكتره والولايات المتحدة الأميركية منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية من المواقف المضادة لمصلحة العرب ما أثار الأفكار في مختلف الفئات والأوساط العربية ، وكان من أهمها نفس انكتره سياسة الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ في صدد الهجرة اليهودية والذي نص على ان انكتره قد قامت بكل ما يجب عليها نحو انشاء الوطن القومي اليهودي حيث فتحت باب الهجرة اليهودية المغلق واتفقت مع الولايات المتحدة على اجراء تحقيق جديد في قضية فلسطين غير عابثة بما قطعته على نفسها من عهد صريحة ولا بعد كرات العرب واحتجاجهم وهياجهم كما كان من أهمها موقف الرئيس الأميركي ترومان موقفاً صريحاً مضاداً لحق العرب ناقضاً للوعود الصريحة التي قطعها سلفه للملك العرب وساستهم ، ولما أصدرت لجنة التحقيق المشتركة قرارها الذي يسار مطالب اليهود الى أبعد حد ويقضى على حق العرب الصريح أشد القضاء ازداد هذا الهياج ، وعقد ملوك العرب اجتماع انشاص التاريخي في ٢٩ مارس ١٩٤٦ وأعلنوا بعده أن قضية فلسطين هي قضية العرب جميعاً وأنه يتحتم على دول العرب وشعوبها سيانة عروبته وحلوا الامين العام للجامعة الدول العربية نتائج أبحاثهم ومداولاتهم وتوجيهاتهم في هذا الشأن لاتخاذ أفضل الوسائل لصيانة مستقبل هذا الوطن العزيز على قلوب العرب أجمعين ، وعقد مجلس الجامعة اجتماعه الخارق التاريخي على أثر ذلك في بلودان (حزيران ١٩٤٦) فقرر رفض أي شكل من أشكال التقسيم ووجوب الاصرار على استقلال فلسطين وعروبته وارسال مذكرات الولايات المتحدة وانكتره بنقد تقرير اللجنة والاحتجاج عليه ، واندأرها بسوء العلاقات بينها وبين العرب اذا لم تبدل موقفها وتعترف بحقوق العرب ، وقرر الى هذا قرارات سرية سجل فيها خطورة الحالة في فلسطين وحق الدول العربية في الدفاع عنها بالقوة اذا لم تحل قضيتها حلاً مرضياً ومساعدة أهل فلسطين على ما يساعدهم على النضال والنظر في مقاطعة الدولتين السكسونيتين المتآمرتين أدبياً واقتصادياً وسياسياً وإلغاء ما يكون لهما من امتيازات في البلاد العربية ، واستمرت الدولتان الغادرتان في خططها العدائية نحو العرب المسيرة لمطالب

اليهود ومطامعهم بكل وقاحة واضرار ، ولما انتقلت القضية الى هيئة الامم لعبت الولايات المتحدة دوراً كبيراً أو الدور الأكبر الايجابي اللقيم في حمل الدول على تقرير التقسيم كما لعبت انكلترا دوراً كبيراً أو الدور الأكبر الايجابي في داخل فلسطين بعد قرار التقسيم كان من نتيجته اتاحة الفرص الواسعة لليهود بالتسلح والممكن من الاستيلاء على كل ما خصص لهم في قرار التقسيم ثم على لواء الجليل المخصص للعرب بحيث لم يأت يوم ١٥ مايس حتى كانت الدولة اليهودية قائمة في المناطق المخصصة لها وفي لواء الجليل مما (١) في حين انها كانت تعسر نشاط العرب في الداخل والخارج كل التيسير ، فلم يحفز كل هذا أي دولة من الدول العربية الى تغيير سياستها الودية المائعة مع انكلترا وأميركا الشمالية فضلاً عن اعلانها العداء والغاء امتيازاتها بتأثير السياسة الشخصية والاقليمية الذي نسف كل ما كان من هياج وتضريعات وقرارات ومكائد ونكليات واحانات مادية ومعنوية . . .

- ٣ -

ولقد بدا للعرب جميعهم ان من شأن النفط العربي ان يكون وسيلة عظيمة للضغط وحل مشا كل العرب فضلاً عن مشكلة فلسطين ، ولقد بدا العراقي متحمساً كل الحماس لموضوع وقف النفط والغاء امتيازاته حينما بدا من انكلترا وأميركا ما بدا من اصرار واستمرار في خطتها العدائية ، وطلب مندوبه في أحد اجتماعات اللجنة السياسية الذي انعقد في ايلول ١٩٤٧ في ظروف كانت قضية فلسطين في أشد مواقفها خطورة تنفيذ قرارات بلودان السرية في صدد امتيازات النفط فجميع المندوب السعودي بعض الشيء ودار الحماس بان المندوب العراقي انما يريد الاجراج ، وبدأت مظاهر محوري الجامعة السعودي الهاشمي بارزة حيث انحاز بعض المندوبين الى المندوب السعودي وبعضهم الى المندوب العراقي ، وانتهى الموقف الى اعادة الامر الى مجلس الجامعة ، واجتمع هذا المجلس في تشرين الاول ٩٤٧ وقرر ان مقررات بلودان السرية واجبة التنفيذ في حالة تطبيق أي حل من

(١) في الجزء الخامس من كتابنا حول الحركة العربية تفصيل كاف لهذه الأحداث

شأنه ان يحس حق فلسطين في ان تكون دولة عربية ، ولعبت الدولتان السكسوفيتان دورهما الكبيرين الذين ذكرناهما وقامت في فلسطين دولة يهودية ودست فلسطين العربية وأهلها بالتمال فلم تقدم الدول العربية صاحبة النفط او المرتبطة مع الدولتين بامتيازات على اي عمل تنفيذي لتلك المقررات بتأثير السياسة الاقليمية الشخصية...

وقطع العراق النفط عن حيفا بعد قيام الدولة اليهودية بالرغم من فائدته الكبيرة وعظيم التضحية التي تحملتها الخزينة العراقية لم يكن تنفيذاً لقرارات مجلس الجامعة كما لا يخفى لان النفط ظل يجري من العراق الى طرابلس الشام بعد قرار التقسيم ، ولم ير العراق مانعاً من مسألة ما كان يسيل الى حيفا الى ميناء سموري وآخر لبناني . هذا مع التسليم بان في توقف العراق عن التنفيذ بسبب عدم تضامن المملكة السعودية معه شيئاً من الوجهة .

ولقد أذاعت بعض الصحف خبر اعتزام الملك السعودي على إلغاء الامتيازات وكون المنشآت والمهندسين الاميركيين في خطر فسارع الى اصدار تصريح ينفي ذلك معللاً بان هذا عهد وعقد وان الدين الاسلامي قد أمر بالوفاء بالعقود وحماية من هم في ذمة سلطان المسلمين ... واشتدت الحملة والمطالبة بعد قرار التقسيم واستمرار اميركا في محاباتها لليهود فلستنكر الامير فيصل في حديث صحفي أدلى به الى مندوب جريدة المصري في أواخر شباط سنة ١٩٤٨ هذه الحملات وقال انه ليس من تناقض في موقف آية مع ما يجب ان يفقه العرب من المصالح الاميركية وان اميركا ليست وحدها التي ناصرت التقسيم ولم يسمع أن دولة عربية ألغت امتيازات ومصالح الدول الناصرة ، وانه في الساعة التي يرى العرب جميعاً ان المصلحة تقضي بوقف اعمال الشركة فسيترون اننا على استعداد لايقاف عملها جالاً كان كل ما كان وتقرر لم يكن ...

ولسنا نعي فيما نقول اختصاص النقد لموقف السعوديين وانما أردنا الاشارة الى ما لاسياسة الشخصية والاقليمية من تأثير في سياسة العرب وعلاقاتهم ببعضهم وفي جعلهم يقولون مالا يفعلون ويهضمون كل تناقض وإهانة واستخفاف . ونقصد

قال الامير فيصل حقاً حينما قال انه لم يسمع أن دولة عربية ما ألغت امتيازات ومصالح الدول المناصرة لليهود : فجميع الدول العربية ظلت على أحسن الصلات مع الولايات المتحدة وانكلترا وفرنسا وغيرها من الدول المناصرة ومنها من ازداد تقرباً واستسلاماً لأبحاثها وتوجيهها وتزلفاً في سبيل نيل رفدها ، بل ومنها من أبرم مع الشركات الانكليزية والاميركية بائعاً وتمضيد حكومتها اتفاقات نفطية وغير نفطية بعد قرار التقسيم بالرغم من ان قرارات بلودان السرية تحظر هذا بنوع خاص وبالرغم من قرار جديد اتخذته اللجنة السياسية بتاريخ ٢٢/٢/١٩٤٨ في هذا الموضوع بالذات حيث نص على « الامتناع عن منح امتيازات بتمديد نائب البترول أو بتنفيذ الامتيازات التي منحت سابقاً بتمديد النائب في داخل البلاد العربية لمصلحة شركات أجنبية تنتسب لدول تعمل من تقسيم فلسطين وتنفيذه سواء اكانت مصادر البترول في المملكة العربية السعودية او في العراق ، وذلك مادامت الدول التي تنتسب لها هذه الشركات تعمل على ارغام العرب على قبول تقسيم فلسطين » ثم بالرغم من استمرار هذه الدول في موقفها المؤذي للقضايا العربية عامة وقضية فلسطين خاصة ...

ويستمر هذا التناقض الى اليوم بسبب هذه السياسة وتأثيرها فقد قرر مجلس الجامعة العربية في احدى اجتماعاته عام ١٩٥١ وبسبب التوتر الذي ساد العلاقات بين الدول العربية والدول الغربية في ظروف حركة القضية المصرية ومشاريع الدفاع المشترك وقضايا المغرب العربي « عدم التعاون اقتصادياً وعسكرياً مع الدول الغربية الى ان تحل القضايا العربية » ومع ذلك فان اكثر من دولة من الدول العربية ظلت تتعاون تعاوناً اقتصادياً وثيقاً مع الدول الغربية ، ولم تر مانعاً من عقد معاهدات جديدة متنوعة مع الولايات المتحدة الاميركية بسبيل التعاون الاقتصادي وتوطيد الصداقة معها ونيل سدقاتها وهباتها الضخمة الثافية التي لا تنوء بها خزائنها ، بل وانما لثباتها على ذلك وتقبل بسبيله مواد فيها شيء غير قليل من

اسباب تمكين الحلب الاميركي منها في حين ان الولايات المتحدة الاميركية هي
أشد الدول العربية استهتاراً بالعرب وقضاياهم وتمضيدهم لليهود (١) .

ولقد عقدت حكومة المانيا الغربية مع دولة اليهود اتفاقاً على منحها مبلغاً
عظيماً كتعويضات عما فعله هتلر باليهود ؛ فقامت الحكومات العربية وقعدت لهذا
الحادث الخطير جداً الذي يعد دولة اليهود بأسباب القوة الاقتصادية والحربية ؛
وأخذ رجالها يصدرون التصريحات القوية منذرة محتجة ؛ ثم قررت اللجنة
السياسية مقاطعة المانيا الغربية اذا تم ابرام الاتفاقية ؛ وبدأ العرب هذه المرة
جادين حتى أطلق موقفهم حكومة المانيا وجعلها ترسل الوفود وتنفس المخرج ؛ ولم
تر اللجنة السياسية في ماعرضته مبرراً للتراجع ؛ ومع ذلك سارت هذه الحكومة
حتى أبرمت الاتفاق ؛ وحبس الناس أنفاسهم ليسمعوا الكلمة الداوية في تنفيذ
العرب لقرار المقاطعة ظناً منهم ان هذا واقع حتم لا نه ايس لا لمانيا من القوة
السلطان على أحد منهم ما يجعلهم يتراجعون عنه فاذا الحكومات العربية تحيب هذا
الظن وتقصت همت أهل الكهف ؛ واذا كل ما كان من هياج والندار وتصريحات
وقرارات وغضبات مضرية يتبخر لا نه بدأ لبعض هذه الحكومات أن يتراجع
لمصلحة اقليمية خاصة ترآها دون مبالاة بما لهذا التراجع من ضربة شديدة على اعتبار
العرب ووزنهم ومصالحهم العامة العليا ...

(١) قالت جريدة المصري في عددها ١٩/٧/١٩٥٢ في سياق تعليقها على المعاهدة الاميركية
المصرية التي عقدت في هذه الايام « ودراسة نصوص هذه المعاهدة تكشف عن خطورتها بالنسبة
لستقبل الاقتصاد الوطني المصري وخاصة فيما يتعلق بتشجيع الاستهلاك الصغيرة وتنمية الكيان
الاقتصادي المستقل في البلاد . ومع ان المعاهدة مرحت على تأكيد شرط التبادل في المعاملة بين
المصريين والاميركيين الا ان حقيقة الوضع الاقتصادي والسياسي في مصر تنفي نظرية التكافؤ بين
الطرفين المتعاقدين وهي النظرية التي لا بد من توافرها في أي معاهدة تعقد بين دولتين او أكثر
تفرض اقتصادي وسياسي . اما ان نسوى المعاهدة بين الاميركيين والمصريين في شؤون الاستتار
والمملكية والاخراج والدخول بالدولارات وفي اقامة الشركات والمعاهد الدينية والثقافية
والاجتماعية فهو ما يجعل من المعاهدة وسيلة لان تبتلع اميركا بإمكانياتها الكبيرة المجتمع
المصري الناشئ .

ولقد أضاعت هذه السياسة على العرب فرصة سنحت لهم أثناء الحرب العالمية الثانية . فقد اشتد الشعور في الأوساط العربية القومية بضرورة الاستفادة من ظروف الحرب وتحقيق هدف عظيم من أهداف الحركة العربية وهو الوحدة بشكل من الأشكال . وكانت بريطانية هي صاحبة الحلول والعلول والسلطان العسكري في بلاد العرب فشجعتهم على أن يخطوا خطواتهم نحو هذا الهدف حيث صرح وزير خارجيتها في اجتماع عام بتاريخ ٢٩ مايس ١٩٤٢ ق ١٤ : بأن العالم العربي قد خطا خطوات واسعة منذ التسوية التي تمت في نهاية العالم الماضي (١) وقد رغب كثيرون من مفكري العرب في أن يكون للشعوب العربية نصيب من الوحدة اعظم مما تتمتع به الآن . وهم في سعيهم بالوحد هذه الوحدة رجحون عوت بريطانيا وتأيدها ومثل هذا النداء من اصدقائنا لا يمكن الا ان يلبي . وانه ليلوح انه من الطبيعي ومن الحق ان تعزز الروابط الثقافية والاقتصادية بل والسياسية بين البلدان العربية . فحكومة صاحب الجلالة ستؤيد من جانبها كل التأييد كل مشروع تتم الموافقة الاجماعية عليه . ثم صدر منه تصريح ثان بتاريخ ٢٤ شباط ١٩٤٣ أمام مجلس النواب جاء فيه « ان الحكومة البريطانية كما اوضحت قبل تنظر بعين العطف الى كل حركة بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافة والسياسية بينهم وان من الجلي ان الخطوة الاولى لتحقيق أي مشروع يجب ان تأتي من العرب أنفسهم . » وبناء على هذا التشجيع بدأ مصطفى النحاس رئيس الوزارة المصرية مشاوراته بعد هذا التاريخ بقليل مع ممثلي الحكومة العراقية ثم مع ممثلي الحكومات الاردنية والسورية والبنانية والسعودية واليمنية على التوالي ، وكانت تسمى رسمياً مشاورات الوحدة العربية واستمرت كذلك . وكان استبشار العرب عظيم بهذه المشاورات والتسمية ، وكان الظاهر ان النحاس غير بعيد عما تعنيه هذه التسمية على ما سجل من تصريحاته امام البرلمان المصري والمؤتمر الوفدي وخطاب العرش والتصريحات الخاصة والصحفية الاخرى . وفيها العراقي وسوريا والاردن على

(١) قصد بهذا ما قاله سوريا ولبنان من الاستقلال والحياة الثابتة .

حقيقة مداها ، واطمأنوا بتشجيع الانكليز فقالت سوريا بأنها تؤثر أقوى اداة
لتعاون المشترك وهي الحكومة المركزية فإذا تعذر ذلك اقيم نظام آخر من
الاتحاد أو الاتفاق أو الحلف . وقالت العراق والاردن انها ترغبان في تكوين
اتحاد له سلطة تنفيذية وجمعية تمثل فيها الدول العربية الداخلة فيه على ان يماون
مجلس الاتحاد لجنة تنفيذية تمثل جميع نواحي التعاون السياسي والاقتصادي
والثقافي والاجتماعي ويكون لقراراتها قوة تنفيذية على الدول الداخلة في الاتحاد
كما جاء في محضر اللجنة التحضيرية المتقدمة في الاسكندرية . ولكن تلك السياسة
كانت سببا في مسخ المفهوم حيث لم يرض الآخرون بفكرة الوحدة أو الاتحاد
أو الحلف بناء على اعتبارات اقليمية وشخصية لا تمت بأي صلة الى المصلحة القومية
العامة . وقد يكون للاصابع الانكليزية اثر في ولادة نظام الجامعة بالشكل الذي ولد به
لان الانكليز ليسوا من الطيبة وحسن النية التي تجعلهم يرضون بقيام اتحاد عربي
قوي يشمل اربعين مليوناً في منطقة يحدونها منطقة نفوذهم واستعمارهم وسلطانهم
ويرون أهلها يظهرون لهم العداء في كل فرصة تمنح لهم . غير ان رؤساء العرب
وساستهم لو تجردوا عن سياستهم الشخصية والاقليمية وكانوا أقوى ارادة وحزماً
وأبعد ادراكاً وأوسع أفقاً لكان في امكانهم ان يفعلوا شيئاً في تلك الظروف التي
كانت الحرب مازال دائرة فيها وكان للعرب وزن وقائدة في نظير الحلفاء .
ولو فعلوا هذا ولم يضيعوا هذه الفرصة الذهبية لكانوا تقادوا كارثة فلسطين
الخطاطمة حتماً .

ومن المؤسف ان ممثلي العراق وسوريا والاردن لم يكونوا من الحزم والارادة
وسعة الافق ما يحفزهم على تنفيذ ما كانوا متفقين عليه من المبادئ الاتحادية حينما
لم يرض بها الآخرون ولو كانوا على ما قلنا من الصفات لكان في المكنان الذي
يششونه شيء من العوض وباب يمكن ان يلحق بهم منه غيرهم .

وانتد جاء في دستور هذه الجامعة الموقع في ٢٢ آذار ١٩٤٥ ما يعوض بعض
الشيء عما كان من تفاؤل ومسوخ لفكرة الوحدة حيث فسحت المادة الثانية المجال

الى توثيق الروابط الاقتصادية والاجتماعية والتشريبية والثقافية مما يدخل فيه
الحمارك والسكك والطرق والبرق والبريد والعملة والجوازات والجنسية ومناهج
التعليم الخ... كما ترى في نصها التالي.

المادة ٢ - الغرض من الجامعة توثيق الصلات بين الدول المشتركة فيها وتنسيق
خطاتها السياسية تحقيقاً للتعاون بينها وصيانة استقلالها وسيادتها والنظر بصفة عامة
في شؤون البلاد العربية ومصالحها . كذلك من اغراضها تعاون الدول المشتركة
فيها تعاوناً وثيقاً بحسب نظم كل دولة منها واحوالها في الشؤون الآتية :

أ - الشؤون الاقتصادية والمالية ويدخل في ذلك التبادل التجاري والحمارك
والعملة وامور الزراعة والصناعة .

ب - شؤون المواصلات ويدخل في ذلك السكك الحديدية والطرق والظيران
والملاحة والبرق والبريد .

ت - شؤون الثقافة .

ث - شؤون الجنسية والجوازات والتأثيرات وتنفيذ الاحكام وتسليم المجرمين .

ج - الشؤون الاجتماعية .

ح - الشؤون الصحية .

وحيث فسحت المادة التاسعة المجال الى ما هو اوسع والى ما يمكن ان يؤدي الى
اتحادات ثنائية كما ترى في نصها التالي :

المادة التاسعة - للدول الجامعة العربية الرغبة فيما بينها في تعاون اوثق
وروابط اقوى مما نص عليه في الميثاق ان تعقد بينها من الاتفاقات ما تشاء لتحقيق
هذه الاغراض .

غير ان تلك السياسة جعلت هذه المواد حبراً على ورق ليس خطيرها حسب
ما يقع في مدي النص الذي اوردناه بل فيما اقل من ذلك خطراً وشأناً بحيث لم
يتحقق ونجز من الاهداف المذكورة في الميثاق شيء عملي ذو بال حتى ولا قضية
تنقل العربي بين البلاد العربية وعمله فيها يسر مثلاً مع ما بذلته امانة الجامعة

من جهود وانمقد من لجان وتقرر من قرارات ووضع من لوائح وتشريعات
واتفاقيات ؛ وقصارى ما كان هو تنسيق مواقف الحكومات العربية ازاء
الاحداث السياسية العربية وغيرها العربية من آن لآخر تنسيقا غير مضمون التنفيذ
والاعمال والتجاهل مع ذلك ، مع مشاهد ملموسة الية من التشاد والمسكيدات
في كثير من المواقف ؛ ومع انقسام دول الجامعة في ظل كيانها الى محورين
متشادين يتربص احدهما بالآخر ويؤكد احدهما للآخر .

ولقد تدخلت دول الجامعة في قضية فلسطين قبل قرار التقسيم وبعدة واشتبكت
مع اليهود في الحرب نتيجة لقرارات الجامعة حقاً . وكان هذا من حيث المبدأ
أعظم وأروع عملية عربية عامة . غير أن ما كان من سير مراحل هذا التدخل
ونتائجه بسبب السياسة الشخصية والاقليمية التي لعبت دوراً كبيراً هو أسوأ
ما يمكن أن يكون سيراً ومراحل ونتائج ، حتى ليشي المرء ان لا تكون قد
تدخلت ، وقد ادى هذا التدخل الى اشتداد أثر هذه السياسة ومظاهرها
فضلاً عن ما ادى اليه من تلك النتائج والمراحل السيئة .

- ٥ -

ولقد كان من اثر كارثة فلسطين المظلمة ان أخذت الاصوات ترتفع داعية
الى اتحاد الدول العربية كرد فعل لهذه الكارثة التي افقدت الامة العربية ثقها
في نفسها وسحقت معنوياتها ، ثم اتيق في ربيع سنة ١٩٤٩ اتجه الى اتحاد عسكري
سياسي واقتصادي بين دول الهلال الخصيب فحورب هذا الاتحاد حرباً شديدة
بدافع من الاجتهاد في البص و بدافع من الاعتبار الشخصية والاقليمية والتوازنية
في البص الآخر حتى حبط . وكان مما ساعد على حبطه فكرة الضمان الجماعي
التي تقدمت بها مصر في خريف السنة نفسها ، وقيل ان فيها العوض الأوسع
والاشمل والاقوى . واستقبل الناس الفكرة بالارتياح والاغباط لانهم متشوقون
الى حركة ترد لهمتهم وتعيد اليهم ثقهم في أنفسهم وترد عليهم روحهم المسجوقة

وتبث فيهم شيئاً من الأمل المفقود . ومع أن السير في الموضوع كان كالعادة على أسلوب السير السلحفائي فقد أمكن كالعادة أيضاً من وصولنا إلى غاية ما في حدود الكلام والكتابة أن يصل الأمر إلى غاية حسنة حيث انتهى الكلام إلى الاتفاق على فصوص قوية لمعاهدة سميت بمعاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي :

فنصت مادتها الأولى — على اعتبار كل اعتداء مسلح يقع على أي دولة أو أكثر منها أو على قواتها اعتداء عليها جميعاً ، والتزام كل منها بالمبادرة إلى معونة الدولة أو الدول المتعدية عليها واتخاذها على الفور منفردة وبمجموعة جميع التدابير واستخدام جميع ممتلكاتها من وسائل بحرية في ذلك استخدام القوى المسلحة لرد الاعتداء وإعادة الأمن والسلام إلى نصابها .

ونصت المادة الثالثة — على مبادرة الدول المتعاقدة إلى توحيد خططها ومساعدتها في اتخاذ التدابير الوقائية والدفاعية التي يقتضيها الموقف في حالة خطر حرب داهية أو قيام حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها .

ونصت المادة الرابعة — على تعاون الدول المتعاقدة على دعم مقوماتها العسكرية وتعزيزها والاشتراك بحسب مواردها وحاجاتها في تهيئة وسائلها الدفاعية الخاصة والجماعية لمقاومة أي اعتداء مسلح .

ونصت المادة الخامسة — على تأليف لجنة عسكرية دائمة من ممثلي هيئة أركان حرب جيوش الدول المتعاقدة لتنظيم خطط الدفاع المشترك وتهيئة وسائله وأساليبه .

ونصت المادة السادسة — على تأليف مجلس للدفاع المشترك يختص بجميع الشؤون المتعلقة بتنفيذ المواد السابقة على أن تكون قراراته التي تصدر بأكثرية الثلثين ملزمة للجميع .

ونصت المادة السابعة — على تعاون الدول المتعاقدة على النهوض بإقتصاديات بلادها واستثمار مواردها الطبيعية وتسهيل تبادل منتجاتها الوطنية والزراعية

والصناعية وبوجه عام على تنظيم نشاطها الاقتصادي وتنميته وإبرام ما يقتضيه الحال من اتفاقات خاصة لتحقيق هذه الاهداف .

ونصت المادة العاشرة — على تعهد كل من الدول المتعاقدة بأن لا تمقد أي اتفاق دولي يناقض هذه المعاهدة وبأن لا تسلك في علاقاتها الدولية مسلكا يتنافى مع غرضها .

ووقعتها دول سوريا ومصر ولبنان والسعودية واليمن في حزيران ١٩٥٠ وأخبرت الاعتبارات الشخصية والاقليمية والتوازنية وما انتجته من جفاء وانكماش وتردد ومحور هاشمي مقابل محور سعودي العراق والاردن عن توقيعها مدة طويلة ، فلم يوقعها العراق الا بعد ثمانية أشهر ولم يوقعها الاردن الا بعد موت الملك عبد الله . ومع ذلك فما تزال هذه المعاهدة في نطاق الكلام ولم يصادق عليها من قبل بعض الرؤساء والمجالس حتى تصبح نافذة نظرياً ، والاعتبارات المذكورة ملغوسة اشد الملغس في هذا التعثر .

والى هذا فان هناك قرارات كثيرة اخرى قررها مجلس الجامعة ولجانها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والقضائية استجابة لظروف ملزمة أو مسارية لموقف خاص أو مما شاة للرأي العام ثم ظلت حبراً على ورق ولم تنفذها الحكومات التي اشترك ممثلوها . وكثيراً ما يكونون رؤساء وزارات ووزراء — في بحثها ووضعها وتقريرها وإعلانها بل ونوقضت لان الاعتبارات الشخصية والاقليمية والفردية وقفت في طريق التنفيذ دون مبالاة بما تعطل من مصالح وهدر من جهود ، وبما أحاط العرب من جراء ذلك من ذل وسجل عليهم من عار وانفقد لهم من وزن وقيمة واعتبار في نظر العالم السياسي والعالم العربي على السواء وفي ظروف كان الممكن ان يكون للصدق في تنفيذها اثر عظيم .

والدسائس الاستعمارية وخاصة الانكليزية تلعب دوراً خبيثاً اثيراً في هذا الحال بسبب ما بينها وبين بعض الدول العربية وبعض رجالات هذه الدول من معاهدات

وتواثي ؛ ولعلها من أهم اسباب مايقوم بين دول العرب من جفاء ومناقضات ،
وعرقلة نمو الجامعة العربية وشمل حركاتها .

-٧-

ومن الجدير بالذكر ان هذه الاعتبارات المجرمة غير منبثقة من الشعب بل
متضادة كل التضاد مع عواطفه ورغباته فضلا عن مصالحه ؛ وانما هي نتيجة لانانية
الرؤساء وكبار الساسة الذين يقبضون على زمام الامر في الدول العربية واحواثهم
وضيق أفقهم وتفكيرهم . وقد أثبتت الشعوب العربية في مختلف الاقطار في مختلف
المناسبات وبمختلف الاساليب قناعتها عليها .

ففي قضية فلسطين كانت الصرخات الداوية من الصحافة العربية ، والمظاهرات
الصاخبة التي قامت في مناسبات تلك القضية الاقليمية في مختلف الاقطار تنهت
بسقوط هذه الاعتبارات وتبهرها العامل الاقوى فيما حل بالعرب من نكبة وحزى
وهوان ؛ بل ولقد كانت الاحداث الانقلابية والثورية والدموية التي وقعت بعد
تلك النكبة نتيجة من نتائج ذلك الشعور الناقم او مستندة عليه . او مستمدة منه
كما يدل عليه ما كان من ارتياح وتأيد عام لتلك الاحداث .

وفي قضية الوحدة العربية كان الرأي العام العربي وما يزال في جانبها وضد
الذين يتفوقون في مراقبتها على طول الخط ، لانه يراها الوسيلة الوحيدة الى قوة العرب
وتقدمهم . ولو استفتيت الشعوب العربية استفتاءً أحرراً من الضغط والمسايس
لجاءت النتيجة حتما في جانب الوحدة الشاملة ولا سيما في هذا الطرف الذي يتجه
العالم فيه الى التكتل ، وتقوم الوحدة او الاتحاد فيها بين شعوب لا يجمع بينها الا
الجوار او المصلحة السياسية والدفاعية فكيف بالعرب وهم أمة واحدة يجمع بينها
اللغة والدين والتاريخ والمصلحة وقد غرز في قلوبهم خنجر مسموم وسرطان خبيث
لا يمكن اقتلاعه او الوقاية منه الا بها .

ولقد اقامت سوريا على هذا الدليل الحاسم في الدستور الجديد الذي وضعته
جمعيةها التأسيسية عام ١٩٥٠ حيث احتوت مقدمته هذه الفقرة « ونعلن ان شعبنا
هو جزء من الامة العربية بتاريخه وحاضره ومستقبله يتطلع الى اليوم الذي تجتمع

فيه في دولة واحدة ، وسيعمل جاهداً على تحقيق هذه الأمنية في ظل الاستقلال
والحرية ، وحيث احتوى نص قسم رئيس الجمهورية والنواب على العهد ، بالعمل
على تحقيق الوحدة العربية ، على أن هذا الدليل تقدم من سوريا قبل هذا الظرف أيضاً
حيث كانت الوحدة في الدرجة الاولى والاتحاد في الدرجة الثانية . مطالب الوفد
السوري في مشاورات الوحدة العربية على ما ذكرناه قبل وحيث كان لرئيس جمهوريتها
شكري القوتلي كلمة ذهببت مثلاً جاء فيها « ان سوريا لن تقبل ان يرتفع على بلادها
علم آخر غير علم الوحدة العربية » .

وبما لا ريب فيه ان النظام الجمهوري الذي يقوم في سورية كان علملاً
ساعد على تقديم سوريا هذا الدليل الصريح القوي عند كل موقف اقتضاه ، وأن
هذا النظام لو كان قائماً في الاقطار العربية الاخرى لكانت ارادة الشعوب العربية فيها
ظهرت قوية رائعة في جانب هذه الوحدة ولكان في الامكان تحقيق هذا الهدف
العظيم في هذه الحقبة من تاريخ العرب الحديث وتفادي الكوارث والاهانات التي
حلت وما تزال تحمل فيهم .

واذا كان لبنان مع نظامه الجمهوري لا يقدم الدليل الصريح الذي قدمته سوريا
فان ذلك راجع لاعتبارات اخرى لا تدخل لنظام الحكم فيه ، ومع ذلك فأكثريّة
سكان لبنان في جانب الوحدة والاتحاد حتما لو جرى فيه الاستفتاء الحر الذي المعنا
اليه . فان نصف سكانه الذين هم محميون وفريقا غير يسير من مختلف الطوائف
النصرانية من انصار الوحدة او الاتحاد . ولا يمكن المارة في ذلك لانه من
الحقائق الملموسة التي يقوم عليها أدلة لا تنقض .

- ٨ -

ومن المؤسف ان نقول ان المشكلة ليست سهلة . لأن الرؤساء والساسة هم
اصحاب الاثر الفعلي الاقوى في مقابله امور البلاد العربية ونظمتها وسيورها ، وهم
حريصون ان يظفروا هم المسيطرون ، ولأن الدافع لهم على التزام السياسة

الشخصية والاقليمية هو الهوى والانانية وضيق الافق مع يقينهم في قرار ذاتهم
ان هذه السياسة خائرة بالمصالح القومية العامة ، ولأن الوعي القومي العام ليس
في حالة يستطيع معها ان يعي ارادة الامة على أوائك الرؤساء والساسة ويجعلهم
يتقون الله في أمتهم ويكفون عن اتباع أنانيتهم وهوام بسبب سلبته وجوده
وضعف تنظيمه .

على ان اليأس غير جائز بالبداية ومؤد الى الارتباك في الخطر والضرر
بحياة الشعوب والبلاد العربية ومصالحها وحاضرها ومستقبلها مما يتحمل مسئولية
العظمى كل واع من أبناء هذا الجيل شيئاً كانوا أو شباناً . وأن من الواجب
والحاللة هذه ان تشتد الدعوة والحللة من كل واع قادر من صحفيين وأسائفة
وكتاب وخطباء ووعاظ وهيئات ضد هذه السياسة والتنبية على خطرها وضررها
وما أصاب العرب من شرها وأذاها ، والحناف بالرؤساء والساسة بان يكفوا عن
تقليدها وتضحية مصالح شعوبهم وحياتها وكرامتها على مذهبها وبان يتقوا الله في
بلادهم وأمتهم ويحملوا المصلحة القومية العامة الصحيحة هي الناطقة لخططهم
وحر كآتهم والمهمة لهم بما يعملون بل وأن من الواجب على الواعين القادرين تحريك
الرأي العام تحريكاً قوياً بكل اسلوب ومناسبة حتى يصبح كاسحاً قوياً لا يجد
الرؤساء والساسة ممدى من التجاوب منه في هذا المطلب الذي له الأثر الأكبر
في حاضر العرب ومستقبلهم من تخلف النواحي . وعلى الشباب خاصة ان يقوموا
بالأكبر عبء في هذه الدعوة والحللة لانهم موضع الضرر والأذى أكثر من غيرهم
باعتبارهم العنصر الأقدم من رجال هذا الجيل .

ولقد مهدت حركة سورية ومصر ثم حركة لبنان الأخيرة سبيل التعاون
الواسع في هذا المجال بين مصر وسورية ولبنان بسبب ما يجمع بينها من الحافز
والهدف ؛ فعلى الواعين الخالصين في البلدان الثلاث أن تشتد دعوتهم الى ذلك حتى
تكون رائدة الشعوب والبلاد العربية في هذا الأمر الخطير .

(٢) الوحدة العربية

- ١ -

هناك ثلاث سبل أو وسائل الى توطيد العلاقات بين الدول العربية وتنظيمها. اثنتان منها في نطاق الواقع ، وليس من شأنها قلب شيء من الاوضاع الحاضرة . وهما معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ودستور الجامعة العربية . أما الثالثة فهي الوحدة العربية . والثالثة هي الجوهرية في حياة العرب ومصالحهم . والاثنتان الاو ايانا اما جعلتا عوضاً عنها بعض الشيء بسبب الاعتبارات الشخصية والاقليمية التي سيطرت على الرؤساء ، والساسة الكبار على ما ذكرناه قبل . وفي اعتبارها عوضاً عن الوحدة اعتراف وتسلم بان هذه هي الجوهرية وبان الرؤساء والساسة اما تحولوا عنها مع اعترافهم بضرورتها بسبب تلك الاعتبارات . وجميع اسباب الوحدة ودواعيها قائمة . فالشعوب العربية ذات لغة واحدة تقطن في وطن كبير لا يفصل بينه فاصل طبيعي ولا عنصري . وهي تعيش منذ الف وثلاثة سنة على الاقل في جو تاريخي وسياسي وروحي وقضائي وثقافي وأدبي واقتصادي واحد .

ولقد كان يقوم أحياناً دول مستقلة استقلالاً داخلياً في بعض البلدان العربية غير ان الوحدة السياسية والاقتصادية بل والعسكرية كانت تظل موطدة بينها فضلاً عن عدم تبدل الجو الروحي والأدبي والثقافي الواحد . واذا كان قيام الدولة الفاطمية استثناء في موضوع الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية فان ذلك الجو لم يتبدل أولاً وكانت الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية موطدة لوقت طويل من عهدها بين مصر والشام والحجاز واليمن وبلاد المغرب العربي تانياً . وحينما قضى على هذه الدولة ظلت الوحدة السياسية والاقتصادية والعسكرية موطدة بين الاقطار الشامية والمصرية والحجازية واليمنية في نطاق الدول الايوبية والتركية والشركية التي كانت في الحقيقة دولاً عربية فعلاً برغم كون رؤسائها

وفريق من جندها ورجالها من عنصر غير عربي ، وحينما قضي على الدولة التركمانية
ظلت هذه الوحدة موطنة في نطاق الدولة العثمانية مع احتفاظ البلاد العربية
بطاوعها العربي .

- ٢ -

والفرقة البادية اليوم هي في معظم مظاهرها وقيامها من صنع الاجنبي وغدره
ولست منبثقة من الشعوب العربية التي ظلت تعيش في نطاق الوحدة طيلة القرون
المديدة السابقة . فقد اعتدى الافرنسيون والانكليز على بلاد المغرب ومصر في
القرن السابق وفصلوها عن نطاق الدولة العثمانية وبقية البلاد العربية . ثم غدروا
غدرتهم الفاجرة الثانية في ظروف الحرب العالمية الاولى فتآمروا على تقطيع اوصال
البلاد الشامية واستعمارها وقطع الروابط بينها وبين العراق والحجاز قبل ان
يحجف مداد العهود التي قطعها الانكليز للملك حسين باسم الحلفاء على قيام مملكة عربية
مستقلة تضم جميع الاقطار العربية التي كانت في نطاق الدولة العثمانية وتحدد اذني
بلاد الشام والعراق والحجاز على ما هو مثير في مكاتبات الحسين - مكماهون . ثم
ظفروا باصولن ومآمراتهم وخططهم الفائرة بتختلف الاساليب والوسائل والوساوس
والدعيات المضللة والارهاب والرشوة وشراء القمم والتخويف وايضاظ التفرات
وتغذية الحزازات والاحقاد ونفخ المطامع في الرؤوس حتى بدت بلاد العرب أشلاء
متناثرة وأجزاء متنافرة . وكانت غدرتهم الكبرى فيهم في فلسطين وما انتهى اليه
أمرها من قيام الدولة اليهودية وانقطاع عقدة الصلة بين شمال بلاد العرب وجنوبها
فضلا عما تار بين العرب من احقاد وضغائن كانت وما تزال اليد الانكليزية الأليسة
طولى في نشوئه وورسوخه .

والشعوب العربية راغبة في الوحدة أشد الرغبة لانها تنافي من الحواجز
الاصطناعية التي تقوم بين البلاد العربية أشد العنت والعناء وتضرر منها أكبر
ضرر ، ولو استقيمت لكأنت فتواها حاسمة في اثبات هذه الرغبة التي قامت وما تزال

تقوم عليها الأدلة المتعددة الرسمية وغير الرسمية على ما ذكرناه قبل ، وكل ما في الأمر أن جود وعينها وسليته يجعلها لا تدفع اندفاعاً ذاتياً قوياً على إرادتها في تحقيق هذه الرغبة .

- ٣ -

والحق الذي لا مرأ فيه والذي يقول به كل واع سليم التفكير من العرب أنه أن يكون للعرب كيان محترم قوي إلا بالوحدة التي تفدواقطارهم بها دولة واحدة أو دولة متحدة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وتشريعياً ، وأنه لم يصب العرب ما أصابهم من وهن وضعف وتعرض للعدوان والندحار أمامه في ظرف من ظروف تاريخهم إلا حينما كانت تنفصم وحدتهم أو تنهين ، ولم يكونوا أقوياء محترمين مزدهري الحضارة في ظرف من ظروف تاريخهم كذلك إلا في ظل شكل من أشكال الوحدة ، وأنهم أن يزالوا ضغفاء مهينين في عيون أنفسهم وعيون غيرهم مستضعفين تتلاعب بهم الأهواء وينهضمهم الأعداء والطامعون ماراً بالوا غير متحدثين .

فمن الواجب والحالة هذه أن لا يلبس العرب شيء عن الوحدة التي هي طبيعة وضرورة باستجابها ودواعيها والتي هي العلاج الأقوى أو الأوحيد لا يرتكزون فيه من ضعف وهوان وتخاذل واعتبارات شخصية وأقليمية .

ونحن لا نجهل أن الوحدة بين العرب قديماً إنما توطدت بالقوة وأن الوحدة بين الشعوب التي انحدت حديثاً إنما توطدت كذلك بالقوة التي هي على ما يبدو السبيل إليها ، لأنه يوجد دائماً طامحون يودون أن يستمتعوا بالحكم والسلطات ورؤساء لا يتخلون عن ملهم من حكم وسلاطان بها كان أمرها ومدي رقبتها ، غير أن الاستعداد الطبيعي أثر لا ينكر في توطيدها أيضاً . وهذا متوفر كل التوفر في العرب من حيث رغبتهم الشديدة ووحدة الوطن واللغة والتاريخ والجنس والثقافة والروح الموطدة بينهم شعراً طويلاً . وإذا لم يكن الوعي العربي العام قوياً وكاسحاً تستطيع الشعوب العربية أن تأتي به إرادتها التي لا شك فيها

في أمر الوحدة ، وإذا لم يبد في أي بلد استعداد وقدرة مما على تحقيق الوحدة بالقرض والاملاء فإن رجال العرب البارزين على المسرح القومي والسياسي والقابضين على أزمة الأمور والمؤثرين فيها وجميعهم يعترفون جهاراً أو في أنفسهم بأن الوحدة هي العلاج الوحيد الطبيعي لحالة العرب الحاضرة - مدعوون إلى التفكير الجدي العاجل في هذا الأمر ، وهم قادرون فيما نفتقد إذا ما جدوا وتضامنوا على عمل شيء كثير في هذا الباب ، وظروف العالم وحركات التكتل الجارية (١) بين أقطار كثيرة لا تتوفر فيها ما تتوفر في الأقطار العربية من دواع واستعداد . وحالة العرب التي هي أسوأ مما يمكن أن تكون عليه مما يمكن أن يساعد كثيراً على انتعاج . وعلى الواعين أن يشتدوا في الدتوة إلى هذا الهدف الجوهري بكل الاشتداد وبكل سرعة ونشاط لأنه متصل بصميم حياتهم ووجودهم ومركزهم في العالم ، ولا فائدة كل ما تأخر ازداد حائثهم سوءاً وازداد مركزهم هواناً .

- ٤ -

وإذا كان وضع الأقطار العربية الراهن سواء من ناحية وجود كيانات شخصية وإقليمية ورسوخ اعتباراتها أو من ناحية سلبية الوعي وجوده أو من ناحية التفاوت الثقافي والاقتصادي لا يساعد على قيام وحدة سياسية شاملة في ظل دولة واحدة في هذه المرحلة وتاريخ العرب ولو على نمط الولايات المتحدة الأمريكية الذي يمكن أن يكون مثالياً بالنسبة للبلاد والشعوب العربية فلا مانع من مساهمة هذا الوضع وحمل تحقيق فكرة الوحدة العربية على مراحل بحيث تكون المرحلة الأولى قيام اتحاد دول عربية وفقاً لهذا المنهج :

١ - اتحاد في الشؤون العسكرية فيكون جيش متحد تحت قيادة ونظم واحدة .

(١) لعل مما يجري الآن في أوروبا الغربية عبرة بالغة ؛ فقد انفتحت نول قرننه وبليكا وهولانده وبلجيكا وفرنسا وكسبرج وألمانيا الغربية على تأسيس أسرة أوروبية متحدة لها برلمان وجيش مشترك وبينها اتحاد اقتصادي ولها مجلس وزراء مشترك وقد ألفت بهذا الحواجز والجزائرات

٢ — اتحاد في الشؤون الخارجية فيكون هناك تمثيل سياسي واحد وسياسة خارجية واحدة .

٣ — اتحاد في الشؤون الاقتصادية فيكون هناك نقد واحد وسمارك ورق وريد وهاتف موحدة في النظم والادارة .

٤ — يكون لرعايا الدول المتحدة جنسية اتحادية تخولهم حق التنقل والاقامة والنشاط والعمل في أي دولة .

٥ — اتحاد في النظم والموانع والخطط الثقافية والمدرسية .

٦ — اتحاد في التشريع فتكون القوانين العامة صادرة عن مصدر تشريعي واحد .

٧ — يقوم على ادارة الشؤون الاتحادية مجلسان يشترك فيها ممثلون للدول المتحدة واحد اجرائي وآخر تشريعي بنسبة تستمد من ظروف ودور وتكاليف كل دولة من الدول المتحدة .

٨ — تقسم نفقات المصالح والمؤسسات الاتحادية وريعا ووظائفها بنسبة ميزانية او عدد سكان كل دولة او بنسبة اخرى تنجم مع الظروف الاجتماعية والاقتصادية لكل دولة .

٩ — يضع مجلس تأسيسي مشترك قانوناً أساسياً (دستوراً) لهذا الاتحاد تحدد فيه الاهداف والغايات والحقوق والواجبات والسلطات والكيفيات بصورة عامة .

١٠ — يبقى لكل دولة استقلالها الداخلي فيما يتصل بطرائق التطبيق والامن وال عمران والتنظيم والوظائف والشؤون البلدية والصحية والتجارية والصناعية والزراعية الخ وما يتصل بذلك من قوانين وتشريعات وتشكيلات ، وتحفظ كل دولة بنظام حكمها الراهن . ويكون لها وزارة وبرلمان .

ويندمج في هذا الاتحاد مصر وسوريا ولبنان والعراق والاردن والمملكة السعودية والمملكة اليمنية اي دول الجامعة العربية اليوم ان امكن . ويجب ان

يكون مركزه مضرًا لها من ميزات عديدة تجعل مركزيتها مفضولة من قبل الدول الأخرى . ومع أننا نميل إلى أن تكون رئاسة الاتحاد لمصر تقوية لمعنى الاتحاد القومي فإن من الممكن الاستغناء عن رئاسة رمزية إذا ثارت الاعتبارات الشخصية والاكتفاء برئاسة عملية يتناوبها ممثلو الدول المتحدة في دورات سنوية .

وهناك إمارات عربية في أنحاء جزيرة العرب جنوباً وشرقاً وشمالاً لها كيانات خاصة على صغرها وتلعب فيها الأصابع الانكليزية والمطامع الاستعمارية فتجعلها تحرص على هذه الكيانات مع انصالحها الجغرافي الوثيق بدول اليمن والسعودية والعراق . ومع أن من الأفضل أن ينضم كل منها إلى الدولة الأكثر قرباً والأشد صلة جغرافية واجتماعية واقتصادية فلا مانع إذا تعذر هذا الآن من دخولها في الاتحاد كشخصيات خاصة اسوة بلبنان والأردن .

وطبيعي أن تكون الدولة اللبنة عضواً في هذا الاتحاد كما أن من الطبيعي أن تكون كل من تونس والجزائر ومراكش أعضاء فيه حال ما يتم تحريرها الذي يجب على الاتحاد العربي بعد تكونه بذلك الجهد المتصل في سبيله .

وهذه الصورة التي نرسمها تطوي ولا ريب على نواة المملكة العربية المتحدة التي سوف تتطور إليها ويستطاع فيها سبك الأمة العربية في قالب واحد وتوجيهها في اتجاه واحد والحاق المتأخر منها بالمتقدم من النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية والمعنوية ، وتكثيف جهودها وقابليتها واستغلال امكانياتها العظيمة حتى تصل إلى اكمل ما يمكن من درجات الثقافة والرفاء والكرامة والقوة والصالح الاجتماعي والفردي والاقتصادي وتنبؤاً مركزها الملائق بها بين امم الأرض كأمة ذات اجماع تاريخية وذات خصائص وقابليات عظيمة ، وفي أثناء ذلك تكون فكرة الدولة الواحدة قد فضحت فتغدو هذه النواة حقيقة المملكة العربية المتحدة التي نرى أن تقوم على نطم ونظم الولايات المتحدة الاميركية .

وطبيعي أننا نقدر أن هذا ليس سهلاً كسهولة رسمه على الورق . ولكن

الجهد المنظم والأخلاص في السعي والإيمان بالفكرة والهدف ، وكل هذا مما يجب على الواعين القادرين توجيه الشعور اليه وتركيزه فيه من شأنه تهوين كل عسير ولا سيما انه ليس امام هذه الامة طريق آخر يضمن لها حياة كريمة عزيزة .

ومما يمكن من احتمالات عراقيل الاجني في سبيل تحقيق هذه الصورة في مرحلتها الاولى التي هي مرحلة خطيرة من دون ريب توصل الى الغاية فاننا لانشك في ان الامر قبل كل شيء هو امر العرب أنفسهم والارادة ارادتهم ، وعراقيل الاجني انما تنجح بما يمكن ان يجده من ثغرات او ضعف في ارادة العرب ورغباتهم ومواقفهم وجددهم واخلاصهم . والجهد المنظم الدائب والدعوة القوية المتوافقة بالإيمان والصدق من شأنها ان يسد هذه الثغرات فلا يجد الاجني متفذاً للدسائس والمكائد والعراقيل او يضيق المنافذ امامها .

- ٥ -

ولقد دل ان ارتباط بعض الدول بمعاهدات فيها التزامات عسكرية وغير عسكرية في حين ان بعضها حر من كل قيد يجعل الاتحاد بينها خطراً على الدول المطلقة من حيث كونه يجرها الى داخل الشبكة مع الدول المقيدة . ونحن لاندرى كيف يمكن ان يكون هذا اذا احتفظت كل دولة بكيانها . فالمعاهدات الموجودة انما تنص على التزامات معينة في داخل اراضي الدولة المقيدة بها وحسب والاتحاد اذا قام فدور يقوم بموجب ميثاق مماثل لميثاق جامعة الدول العربية من جهة الاسلوب الفني مبدلاً في الاسم والمدى وقوة الالتزام والتنفيذ . ولقد كانت تلك الحالة موجودة حينما قامت الجامعة العربية فلم تمنع قيامها واشتراك المقيد والمطلقين على السواء فيها . ولقد كانت موجودة كذلك حينما عرض الضمان الجماعي بديلاً من الاتحاد الثنائي الذي كان هناك اتجاه نحوه في بعض الدول فلم تمنع من مضي الدول العربية في بحثه وايصاله الى مرحلته الكلامية النهائية واشتراك الدول المقيدة والمطلقة على السواء في توقيع معاهدة الدفاع المشترك التي انبثقت عنه . وخطر وقوع الدول المطلقة لو صح وزوده انما يكون اذا نشبت حرب عامة ؛

وفي هذه الحالة يكون الخطر واقعاً عليها سواء اتحدت مع غيرها أم لم تتحد لأنهما
محاطة بالدول المفيدة ومن الميسر عليها أن تدافع عن حياضها بالقوة كما أن الدول
الكبرى لن تحترم هذا الحياض من نفسها . وقد رأينا أمثلة كثيرة على ذلك في
أوروبا وآسيا وفي بلادنا نفسها أثناء الحرب العالمية الأخيرة .

ولقد قلنا أن خطر الوقوع في الشبكة يرد إذا صح وروده في حالة الحرب
ولست هذه الحالة دائمة وأبدية . ومدة السلم على كل حال أطول . فالمصلحة
القومية تقضي أن لا يتعطل والحالة هذه مشروع اتحاد الدول العربية الذي يهدف
إلى أهداف عظيمة تتصل بصميم حياة العرب ومصالحهم ومستقبلهم من مختلف
التواحي وفي جميع الظروف والحالات . وتعليقه إلى أن تنفصل الدول المرتبطة
بالمعاهدات مؤخر لتحقيق هذه الأهداف ، بل وقد يكون مؤخراً لإنجاز هذه
الدول من حيث كون هذه النجاة أكثر امكاناً حينما ينتظم الاتحاد جميع الدول
العربية ويندو لها جيش متحد واقتصاد متحد وثريع متحد وسياسة متحدة
وبكاسة واحدة جبهة متحدة قوية .

يضاف إلى هذا أن الدول المرتبطة بالمعاهدات معترف باستقلالها وسيادتها
التامتين وممارسة لها ، وفي شعوبها روح تمرد قوية ضد المستعمرين والبرامات
هذه المعاهدات ، وهم متحفزون لتنفلت منها . فالاتحاد والحالة هذه من شأنه أن
يثبت القوة ويشدد العزيمة في سبيل النضال والفكك في شعوب هذه الدول
قبل غيرها .

ونظور روح العالم وما أثاره من روح التمرد والتفوق والتحفز في الأمم
الشرقية يمر يوماً بعد يوم استمرار نظام الاستعمار والمعاهدات التي تقوم على
عدم التكافؤ وأساليب الشبكات والتطويق الراهنة فضلاً عن أنه يجعل امتداد ذلك
إلى ما هو سليم منه أشد عسراً . وقد نجح بقوة هذا التطور بلاد أغنى وأوسع من
البلاد العربية المفيدة بالمعاهدات كاندونيسيا والباكستان والهندو كانت يد المسيطرين
عليها أشد وطأة فيها منها في بلادنا . ولقد نجحت سوريا ولبنان كذلك بقوة هذا
التطور مع ما كان من شدة اليد والمظالم والمزاغم الافرنسية .

ولقد أخذت الدول العربية المرتبطة تسعى جاهدة في سبيل الفكك ولم تعد
تسيع ما كانت تسيعه من قبل ، ولم يسع الدول المسيطرة إلا الملاينة والمسايرة
والتأويل والتفسير بما يريد ما قلناه من امكان النجاة وقوته بالاتحاد من جهة
وعسر الامتداد من جهة اخرى . وهذا الى ان الدول الناجية قوية الشعور
بخطورة ما تتمتع به من عزة وكرامة وانطلاق وفخورة به وشديدة الحرص
عليه . ومن العسير ان تخدع عن امرها وتغفل عن اي شبكة تنصب لها . وليس
من الصعب ان توجد الصيغ والتحفظات التي تضمن لها ما تتمتع به من حرية
وانطلاق فوق ذلك .

وإذا تغذر السير في مرحلة الاتحاد العام مرحلة واحدة فلا مانع من السير
فيها على مراحل أيضاً حيث يقوم الاتحاد في اول الامر بين البلاد المتقاربة في
الحياة العصرية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية اي مصر وسوريا
والعراق والاردن ثم تبذل المساعي لاتعام السلسلة .

- ٦ -

وخير من يتبنى الدعوة الى هذه الخطوة بل وأولى من يشاها من ربي وسط
العالم العربي وقليه بالنسبة لمشارك العرب ومقاربتهم وهي الأكثر عدداً والأكبر
اسماً والاربع حياً . وتبنيها الدعوة يقع حيناً منضمماً من الدول العربية الاخرى
لخلف الأسباب والاعتبارات الوجبة ولا سيما بعد الاحداث التي تمت فيها .

ومجر ليست غريبة عن مثل هذه الحركة تاريخياً حيث كانت تدعى دائماً
لجمع شمل البلاد العربية تحت لوائها وقد نجحت في ذلك مراراً وكان نجاحها تحت
راية صلاح الدين واستمرار ذلك في عهد خلفائه الايوبيين وملوك الدولة التركية كفيلاً
بانقاذ فلسطين وانزال الضربة القاصمة على الافرنج القويين لم يكتب لهم النجاح
في جوتهم الاولى الا لسبب تشتت شمل العرب وانقسام وحدتهم وتفرق كلمته

حاولهم واستغراقهم في السياسة الشخصية وتغليبها على المصلحة العامة حتى طهرن البلاد منهم نهائياً سنة ٦٩٢ هـ جري تحت لواء الملك الأشرف ملك مصر والشام . وقد كادت هذه الخطة تتحقق من جديد في أواسط القرن السابق تحت راية محمد علي الكبير لولا تدخل الإنكليز الذي أدى إلى انكشاف يده عن بلاد الشام بعد أن توحدت مع مصر وبدأت بإشغال مملكة عربية إسلامية كبرى تضم مصر والسودان والحجاز والشام والعراق وكيليكيا .

ويقوم على أمر مصر الآن فئة ثبت حسن نواياها وروحها وسعة افقها ونفاذ بصيرتها واندماجها بالفكرة العربية الحديثة وأهدافها وقدرتها على الاضطلاع بدعوة خطيرة مثل هذه الدعوة ، وهذا ما يجعلها أهلاً للدعوة مستجابة إليها . وما تم في مصر من أحداث قد وجه إليها أنظار العالم العربي وبعث فيه الآمال الجسام وهيأ فرصة ذهبية للدعوة والاستجابة إليها ، ومن حسن الحظ أن قائد الحركة لا يفتأ يصرح عن أمله بقيام ولايات عربية متحدة وبرغبته في تحقيق ذلك في القريب العاجل ، ويردد هذا القول كثير من رجال الحكومات العربية المسؤولين فضلاً عن تردده من قبل جمهرة رجال الأمة العربية البارزين فيجب على الواعين القادرين من أبناء الأمة العربية في مختلف الاقطار أن يقتسموا هذه الفرصة ويتجهوا إلى مصر ويهيئوا لها لتقديم على تبنى هذه الخطة وتوليئها عنايتها العظمى فتجدد بذلك عهد صلاح الدين في جمع شمل العرب في وقت اشتد فيه تكالب الأعداء والكائدين عليهم ونشب في قلب بلادهم جرثومة سرطان خبيثة وهي الجرثومة اليهودية ، وغدت الحاجة إلى جمع الشمل مثلاً في ذلك العهد أو أشد .

- ٧ -

على أن من الواجب على الواعين من صحفيين واساتذة وكتاب وخطباء ووعاظ أن لا يقفوا مكتوفي اليدين ما يجب من علاج سريع إلى أن تنضج دعوة مثل هذه وفي طريقها من العقبات والعثرات بسبب تلك الاعتبارات المجرمة الشديدة الأثر ما لا يمكن تجاهله ؛ فهناك مجال الدعوة إلى وحدة اقتصادية على الأقل تشمل شؤون النقد والمواصلات والجمارك وحرية النقل والإقامة

والعمل فتكون مقدمة نافعة جداً للوحدة السياسية والعسكرية ، وفرجا لسكان البلاد العربية يتسع لهم به المجال في سبيل تحسين اوضاعهم الاقتصادية والمعاشية ويزداد به التوافق بينهم قوة وشدة . وقد كان مثل هذه الوحدة سبيل الوحدة السياسية الألمانية في القرن الماضي كما لا يخفى ؛ واقد كانت ألمانيا منقسمة الى دول وامارات كثيرة جداً ، وكان هناك اعتبارات متنوعة تحول دون وحدتها السياسية فكانت الوحدة الاقتصادية خطوة اولى اليها . وهناك مجال الدعوة الى جعل معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي ودستور جامعة الدول العربية نافذتين نصاً وروحاً . ففي الاولى وسيلة للتضامن والتعاون العسكري والاقتصادي وفي الثاني وسيلة لتوطيد التقارب والتطابق في شؤون كثيرة مما نضت عليه النصوص التي نقلناها قبل قليل . وبهذا او ذاك يمكن ان يسد شي من الفراغ الهائل في دنيا السياسة العربية الى ان تنضج مثل تلك الخطوة والدعوة او يقوي الوعي القومي العام ويغدو كاسحاً ويستطيع ان يملئ ارادته في الوحدة الصحيحة ويحطم كل عقبة تقف في سبيل هذه الارادة او يقبض الله من يوطدها بالاسلوب الذي توطلدت به الوحدة بين الشعوب والبلاد الشقيقة قديماً وحديثاً . فان من الخطر كل الخطر ان يبقى هذا الفراغ الهائل في دنيا السياسة العربية لانه سبب كل ما يحدث بالعرب من ذل وهوان وضعف وخفة وزن واعتبار وطمع واستهتار ، وما يرتكبون فيه من سوء حالة اقتصادية ومعاشية ؛ ومن الجريمة كل الجريمة ان لا يبالي الرؤساء والساسة ومن الواجب كل الواجب على كل واع وقادر ان يعمل كل ما يمكنه في سبيل حلهم على الاذعان وتقوى الله في امتهم وبلادهم .

واقدر يسرت الحركة الانقلاية المصرية سبيل التعاون والانسجام الواسع بين مصر وسورية كما قلنا قبل وهما أكثر الدول العربية تحرراً سياسياً واجتماعياً . فملى الواعين من أبناء البلدين أن تشتد دعوتهم الى أن يخطوا رجال العهد فيها خطوة جريئة في هذا المجال فتكون خطوتهم نواة الاتحاد العربي العام ومرحلته

الأولى إذا كانت هناك عثرات وعقبات شخصية أو اقليمية أو أجنبية تقف في طريق الوحدة أو الاتحاد العام ولا سيما أن مصر والشام كانتا في أغلب ظروف التاريخ القديم والمتوسط متحدين سياسياً وعسكرياً واقتصادياً .

وما عرف عن كميل شمعون رئيس الجمهورية اللبنانية الجديد من قوة العروبة والاندماج في أهدافها والرغبة في توثيق الأواصر بين البلاد العربية ، والنقمة على مشاهد التخاذل والتدابير بينها ، وما بدر منه عقب انتخابه من تصريحات قوية في هذا الباب يبعث في النفس أملاً في تجاوز لبنان مع هذه الدعوة إذا ما اشتدت .

(٣) مشكلات فلسطين

- ١ -

لقد غدت قضية فلسطين من مشاكل العرب السياسية الخطيرة وعقدة من عقدهم النفسية والاجتماعية والقومية معا . وان يقوم لهم اعتبار في نظر أنفسهم وفي نظر غيرهم الا بعد حلها مما قروا بتنفيذ معاهدة الدفاع المشترك أو دستور جامعة الدول العربية نصاً وروحاً أو بالاتحاد .

فقد حطمت كارثة فلسطين ثقتهم في أنفسهم وأذلتهم في نظر أنفسهم وفي نظر العالم العربي ذلاً ليس بعده من ذل ، وانتهت بفرض خنجر مسموم في قلب بلادهم فصل بين شمالها وجنوبها . وغدا شرفهم وكبريتهم ومستقبلهم وكيانهم متوطلاً بحماها الذي يجب ان يكون سريعاً وان يكون باقتلاع الخنجر بالمرة . وكل ما طال الزمن وتأخر هذا الحل توطدت الدولة اليهودية وعمقت جذورها وكثر عدد سكانها وعظمت امكانياتها واستعداداتها وصار اقتلاعها أو تغيير شيء من معالمها الراهنة على الاقل اشد تعذراً وصعوبة ، وغدا ضررها وخطرها العسكري والسياسي والاجتماعي والاقتصادي على جميع العرب وبلادهم أشد واعظم .

والمتتبع للحوادث يرى اليهود ناشطين في سبيل إيقاف هذا الضرر أشد النشاط وهم ينتهزون كل فرصة ومناسبة لما كسبه مصالح العرب ومساعدتهم وتشويهمهم في الاوساط الدولية العامة والخاصة ، وهم دائبون على الاستعداد الحربي بكل قوتهم وعلى بث الطموح في اليهود وارسال التصريحات التي تنطوي على سمة

مطالبهم ونياتهم سواء لما يريدون ان تكون عليه دولتهم من قوة أو بالنسبة لما
يبتغونه من مطالع في البلاد المجاورة لهم . (١)

(١) جاء في خطاب ألقاه أحد زعماء اليهود في برلمانهم في ٧ / ٤ / ١٩٥٠ ان
يكون سلام لشعب اسرائيل ولا لأرض اسرائيل حتى ولا للعرب مادامنا لم نحرق
وطنا باجمه بعد حتى ولو وقفنا معاهدة صلح .

وجاء في خطاب لنائب آخر ألقى بتاريخ ٣٠ / ٣ / ١٩٥٢ أن اسرائيل
العظمى المستترة من العراق حتى السويس هي الدولة القوية التي تستطيع تأمين السمة
والاستقرار في الشرق الاوسط في الداخل والخارج .

وجاء في الكلمة الرسمية للحكومة اليهودية في مؤتمر الكيرن كيمت المنعقد
في القدس التي القاها بالنيابة عن الحكومة الحاخام يهودا ويزر الاديان بتاريخ ١٧ /
٨ / ١٩٥١ - ما يزال أمام الكيرن كيمت - سندوق رأس المال القومي - أعمال
عظيمة . ان دولة اسرائيل كلها أنماها وان حدود هذه الدولة هي من النيل الى
الفرات . وجاء في كتاب « اسرائيل واحترامها لابن غوريون رئيس الحكومة
اليهودية : ان حرب التحرير الواقع لاشكل الفصل الاخير في تاريخ الهاجاناه
وانما هي الفصل الاول في المرحلة الجديدة لتاريخ الوطن والأمة اليهودية .

وجاء في خطاب للدكتور التان في البرلمان في تاريخ ٢٩ / ٧ / ١٩٥١ ان جمع
الشتات معناه حشد خمسة ملايين يهودي على الأقل في دولة اسرائيل خلال
السنوات العشر - القادمة وهذا شيء لا يمكن اتمامه في الحدود الحالية لدولة
اسرائيل ولذلك فان جمع الشتات يتطلب سياسة خارجية ترمي الى تحرير جميع
أرض اسرائيل .

وجاء في خطاب ألقاه يالين قائد الجيش اليهودي في شهر تموز ١٩٥٢ ان جيشنا
قادر على السير في الحرب الى داخل بلاد الاعداء وان حدود اسرائيل ليست
طبيعية ويجب تغييرها .

والتمساريسج والاقوال في هذا الباب لا تقع تحت حصر وهي تتجدد كل آن
بأساليب متنوعة .

واليهود خريطة لمملكة اسرائيل الكبرى منقوشة على مداخل مؤسساتهم ومعلقة في صدور قاعاتهم وأنديتهم ومعاهدهم وفي باب محاسنهم النيابي تشتمل على فلسطين والأردن وسورية ولبنان ومصر والبراق .

ومن شأن ما اكتشفته حكومة العراق في سنة ١٩٥٠ من مخزون السلاح والنناد والمنفجرات في بيوت اليهود ومعايدهم وعليه دفعة اسرائيل واميركا ، وما وضعت عليه يدها من وثائق خطيرة تدل على أن في بلادها وفي بلاد العرب منظمات ارهاقية وجاسوسية وعلى أنهم كانوا يبيتون نصف بغداد بدءاً من مؤسسات الجيش والبوليس ودوائر البرق ومؤسسات الكهرباء والأذاعة ثم تنجها غمليات التدمير في بقية الأحياء على ما جاء في البلاغات والتصريحات الرسمية العراقية أن يكون نذيراً قوياً للعرب بما هم معرضون له من مكائد ووسائل يهودية في عقر دارهم فضلاً عن المظالم والنزاعات التوسعية التي سجلت على جدار البراق اليهودي . من الثمرات الى النيل أضحك الموعودة بالاسرائيل ، والتي تكرر كل يوم في الإنشيد الرسمية اليهودية والتي سوف تشتد كلما كثر عدد اليهود وعظمت امكانياتهم واستعداداتهم والتي سوف ينتهر اليهود كل فرصة لتحقيقها بكل ما في طوقهم . والاختيار التي تشر عن استعدادهم العسكري العظيم ومناوراتهم المتكررة تدل على أنهم سائررون بكل جد في هذا السبيل .

- ٢ -

ومن الغفلة أن تؤخذ بما يذاع عن تدهور اسرائيل الاقتصادي واختلال ميزانها التجاري . فمع ما في ذلك من حقيقة فإن فيه شيئاً غير يسير من المبالغة بقصد دعائي في سبيل الاستقراض ونيل معونة اميركا والجمع واللم من يهود العالم ، هذا فضلاً عن أنه طبيعي لان اسرائيل في دور الانشاء والتكوين ، وهي تبذل مجهوداً في مختلف الميادين للوقوف على قدميها اقتصادياً . والبواذر تدل على أنها سائرة في هذا السبيل قدماً . وحالتها على كل حال أحسن من حالة العرب في أحسن بلادهم دخلاً ومستوى معيشة وميزانية دولة ونشاطاً وحركة وحيوية .

فليس هناك دولة عربية إلا ميزانها التجاري غنل كثيراً أو قليلاً واقتصادياتها في حالة تدهور وانحطاط .

وقد قلنا في مناسبة سابقة أرقام نصيب الفرد في إسرائيل من الدخل القومي وميزانية الدولة . ونصيب الفرد من الدخل القومي أكثر من ضعف نصيب الفرد في أحسن البلاد العربية حيث هو ٢٦٦ / جنياً إسرائيلياً قيمتها الخارجية (٧٥) جنياً صحيحة في حين أن نصيب الفرد في سوريا التي هي أحسن البلاد العربية دخلاً قومياً لا يزيد عن (٣٨) جنياً ، ونصيب الفرد من ميزانية الدولة هو (٧٥) جنياً إسرائيلياً قيمتها الخارجية (١٩) جنياً حقيقية في حين أن نصيب الفرد في مصر التي هي أضخم البلاد العربية ميزانية وأرقها رفقاً من حيث النسبة هو عشرة جنّيات .

والثبوت في أرقام الدخل والميزانية يدل على أن الحالة تسير نحو النمو والتحسن أيضاً . فالميزانية العادية للدولة كانت سنة ١٩٤٩ (١٨٩٣١٠٠٠) لعشرة أشهر فقضت سنة ١٩٥٠ إلى (٤٣٠٦٧٠٠٠) وسنة ١٩٥١ إلى (٦٨٩٦٠٢٠٠٠) وقد قدرت ميزانية الدولة العادية والخارجية لسنة ١٩٥٢ - ١٩٥٣ بمبلغ (١٦٨٩٤٥٠٠٠) جنياً . وقد قدر الدخل القومي لسنة ١٩٤٩ بمبلغ (٢٤٠) مليوناً وقضت سنة ١٩٥٠ إلى (٣٣٧) مليوناً (١)

وقد تلقت إسرائيل وما تزال تتلقى مبالغ ضخمة من هبات وقروض وإعانات من الحكومة الأميركية والبنك الدولي ويهود أميركا والعالم . وبفضل هذه المبالغ استطاعت أن تستقبل نحو ثمانمائة ألف مهاجر خلال السنين الأربعة المنصرمة وأن تهيئ معظمهم المساكن والأعمال ، وأن تكون مستعدة لاستقبال مئتي ألف مهاجر في السنة .

(١) الأرقام مأخوذة عن رسالة « إسرائيل خطر عسكري وسياسي واقتصادي » المنشورة من قبل مكتب اتحاد الفروع الزراعية والصناعية والتجارية العربية ومستندة إلى وثائق رسمية يهودية .

والخطوط الاقتصادية الاسرائيلية تهدف الى تحقيق درجة الاكتفاء الذاتي في عام ١٩٦١ حيث تستطيع حينئذ ان توازن بين الصادرات والواردات دون اي اعانات اجنبية وعلى اساس بلوغ درجة معقولة بالنسبة لمستوى المعيشة .

ولقد خطت اسرائيل خطوات واسعة في سبيل ذلك حتى ان نتائجها سوت لوزير زراعتها ان يقول ان الاكتفاء الذاتي سيتحقق في سنة ١٩٥٨ بدلاً من سنة ١٩٦١ في بيان ذكر فيه اطراد اعمال التنقيب في منطقة النقب بصورة مرضية قائلاً انها ادت الى اكتشاف خامات النحاس والمنغنيز والحديد والكاولين والفوسفات ما قد يسمح لاسرائيل ببلوغ درجة الاكتفاء الذاتي في عام ١٩٥٨ بدلاً من عام ١٩٦١ كما كان مقدراً من قبل . وقد تضمن بيان وزير الزراعة تقديراً بأن قيمة الانتاج في منطقة النقب ستصل خلال السنوات الخمس التالية الى قرابة (٨٠) مليون دولار وان ثلاثة ارباع الانتاج سيخصص لأغراض التصدير على ما جاء في تقرير ثمرته جريدة المصري في عددها ٢٢ حزيران سنة ١٩٥٢ .

وباستفاد مما جاء في هذا التقرير ان اليهود قد وضعوا خلال الثمانية عشر شهراً التي انتهت في سبتمبر (١٩٥١) اسس (٦٠٨) مشاريع صناعية جديدة . وقد تم انشاء (١٩٩) مصنعاً منها برأس مال قدره (٥١) مليون دولار ومازال تحت الانشاء (٢١٣) مصنعاً رأس مالها (٦٢) مليون دولار و (١٩٦) مصنعاً رأس مالها (٥٥) مليون دولار . ومن هذه المصانع (١١٩) لالات الزراعية وأجهزة التبريد والعربات وأجزاء الماكينات و (٩٨) مصنعاً للاقمشة والملابس و (٨٩) مصنعاً للصناعات الغذائية و (٥٩) مصنعاً للوازم البناء و (٥٤) المنتجات الكيماوية كالاسمدة والاحماض والصبغة و (٥١) مصنعاً لالات الكهربائية كالموتورات واجهزة الراديو واللاجات و (١٤) مصنعاً للمطاط

و (١٣٤) مصنعاً لانتاج الورق والجلود والبلاستيك والزجاج . وهذا غير عشرات
المصانع التي انشأها الشركات الاجنبية لمختلف المنتجات الميكانيكية .

وقد صاحب هذا التطور الصناعي بدء استغلال الخامات المعدنية في منطقة
النقب . والمقدر ان يصل متوسط الانتاج من جميع المعادن المكتشفة بكميات
تسمح باستغلالها تجارياً وهي الفوسفات والكاولين والحديد والرمل الزجاجي
والمنغنيز والنحاس والميكا والفلسبار خلال الخمسة والعشرة اعوام القادمة بالنسبة
للفرد الواحد في اسرائيل الى نفس متوسط الانتاج في الدول الصناعية الكبرى
في العالم كما جاء في التقرير المذكور آنفاً .

ومما جاء في تقرير مكتب اتحاد الغرف الصناعية والزراعية والتجارية العبرية
ان الدكتور نيسوروفتش احد كبار موظفي وزارة المالية اليهودية قد وصل في
بحثه الاحصائي الى انه كان في اسرائيل سنة ١٩٥٠ (٧٢٧٤) مشروعاً صناعياً
في حين لم يكن عدد المشاريع الصناعية اليهودية في سنة ١٩٣٠ الا (٦٢٤)
مشروعاً . والمشاريع الصناعية المذكورة موزعة على مختلف الصناعات من
صناعات المؤون والأطعمة والاشربة الى صناعات النسيج القطني والصوفي
والحرير الى صناعة الالبسة الى صناعات المعادن الى صناعات المواد الكهربائية
والبنائية والقرطاسية وغيرها ...

ولم يكن جهدهم في المجال الزراعي يسيراً . فقد كان عدد التراكاتورات مثلاً
سنة ١٩٤٧ (٦٩٣) فاصبح سنة ١٩٥١ (٤٠٠٠) وكانت مساحات اراضي الري
(١١٠٠٠٠) دنماً فندت (٢٢٠٠٠٠) وكانت مساحة الاراضي التي تزرع بالعلف
والخضار (١٠٤٠٠٠) دونماً فندت (٣٤٠٠٠٠) دونماً على ما جاء في التقرير
الآنق الذكر .

وهكذا يبذلون كما قلنا الجهود الجبارة في استغلال امكانياتهم وتحسين حالتهم
الاقتصادية فضلاً عن جهودهم العظيمة في سبيل النجاة والاستعداد الحربي بحيث
يمكن ان يقال ان من المرجح ان يصلوا فعلاً الى الاستكفاء والازدهار الاقتصادي

الذاتي في سنوات معدودات وان يصلوا في مثل هذه السنوات الى درجة كبيرة من القوة لا تكفي فقط للدفاع عن كيانهم ازاء كل حركة عربية هجومية بل تكفي لحركات توسعية هجومية يقومون هم بها في بقية فلسطين وفي ما يستضعفونه من مجاورها ، وقد تعودوا من العالم كما قلنا الرضوخ لما يحدثونه بالقوة من امور واقعة وان يلقوا الحماية والتعصيد من الدول الكبرى وخاصة انكلترا واميركا . ولا شك في انهم يعرفون ان البيان المشترك الذي اعلنت فيه فرنسا وانكلترا واميركا وعرب بالبيان الثلاثي معارضتها لكل تعديل في الحالة الراهنة بالقوة انما هو موجه للعرب وليس لهم كما هو في حقيقته . والمقدر ان يصل عددهم خلال عشر سنين الى اربعة ملايين . فهم الآن مليون ونصف وسيأتيهم سنوياً مثناً ألف ، وسيزيدون نصف مليون زيادة طبيعية لأن وفيات الاطفال عندهم قليلة جداً . واذا ذكرنا ان هولاندا وبريطانيا سيطرتا على اندونيسيا والهند اللتين عدد سكانها عشرة اضعافها واللتين تبعدان عنها الاف الاميال بالقوة واستغلنا خيراتها وثرواتها الهائلة مئتي سنة وزيادة وليس العرب احسن حالا من الهنود والاندونيسيين وليس اليهود اقل قدرة وفناً وقابلية وثقافة وطموحاً من الهولانديين والانكليز ان لم تقل يفوقونهم بدليل ان اليهود يسيطرون في بريطانيا واميركا وفرنسا وكانوا يسيطرون في المانيا وروسيا على مرافق الحياة الاقتصادية والصناعية والفنية والدعائية بل والسياسية سيطرة عظيمة وهم لا يزيدون عن ثلاثة في المئة في اميركا ولا يكادون يبلغون واحداً في المئة في فرنسا وانكلترا والمانيا ظهر لنا ان خطر سيطرة اربعة ملايين منهم على اربعين مليوناً من العرب وليس بينهم وبينهم موانع جغرافية ولا ابعاد شاسعة وغير شاسعة ليس وهما وانه اكيد جداً حينما يبلغون ما يهدفون اليه من الازدهار الاقتصادي والصناعي والزراعي والتجاري ومن القوة الحربية مما هم بادلون جهدهم العظيم في سبيل بلوغه ، ولحدوف يخلقون حينئذ الفرص خلقاً ؛ واذا طرأت ظروف جعلت عددهم المنشود يتحقق قبل السنوات العشر فسيكون هذا الخطر قبل مضي هذه السنوات ايضاً ويجب ان لا ننسى ان معظم المهاجرين هم من الشباب والشابات وان

الشباب يملن في كل مجال كالشباب بما في ذلك مجال الحرب الفعلية كما ثبت هذا في حرب فلسطين والحركات العدوانية التي بدرت من اليهود بعدها ، وانت القوة العاملة في المجموعة اليهودية في فلسطين تعتبر من اجل ذلك ضعف قوة اي مجموعة اخرى في أوروبا واميركا فضلاً عن البلاد العربية من حيث القيمة العددية ؛ وحتى على فرض ان الدول العربية تقوى يوماً فيوماً وانها قد تستطيع الدفاع عن نفسها ضد اي حركة عدوانية وخاصة سورية ومصر فإن بلوغ عدد اليهود ذلك المبلغ واستقرارهم سيجعلان خطر توسعهم حتى تشمل سيطرتهم بنية فلسطين ثم تمتد الى شرق الأردن ولبنان قائماً بل واكيداً ؛ وعلى اقل تقدير سيجعلان احتمال تطهير فلسطين منهم واعادتها الى الحوزة العربية ضريباً من المستحيل .

- ٣ -

ويشبه بعض العرب كارثة فلسطين بكارثة الاندلس وهو تشبيه فيه كثير من الخطأ . ففيها عظمت مصيبة العرب بفقد الاندلس التي دام سلطانهم وازدهرت حضارتهم فيها ثمانية قرون . فانها ليست على كل حال موطناً من مواطن العرب الأصلية ، وإنما هي قمار غير عربي الجنس والدار ، ومثله كمثل أقطار عديدة فتحها العرب ثم قوضوا خيامهم عنها دون أن تتأثر بذلك مواطنهم الأصلية ، وهذا عكس فلسطين التي هي منذ أقدم أزمنة التاريخ موطن من مواطن الجنس العربي وعقدة صلة بين الشمال والجنوب منها ، أي أنها جزء من كيانهم القومي يتأثر بضياعه سائر اجزائهم كل التأثر ومن كل اعتبار . ومنذ أن غدت أقطار الشام والعراق ومصر وشمال أفريقيا مواطن للجنس العربي في دور عنصريته الصريحة الممتدة الى الآن قبل الاسلام وبعده ، ومنذ غدت صلتها لاجمة كل اللحمة بمنبت الجنس العربي الأصلي وهو جزيرة العرب ظلت هذه الأقطار متصلة ببعضها دون أي قاطع جغرافي أو عنصري . فقيام الدولة اليهودية في فلسطين جاء خارقاً لهذه الحقيقة التاريخية وقاطعاً قسري الأثر بين المواطن العربية .

ويشبه بعض العرب والمسلمين حركة استيلاء اليهود على فلسطين كحركة الصليبيين ، ويقولون ان العرب والمسلمين سوف يطهرون فلسطين من اليهود ويميدونها عربية مسلمة مها طال الزمن كما فعلوا بالصليبيين . ومع اننا غير يائسين من رحمة الله في تحقيق هذا الامل فان من الحق ان نقول ان هناك خطأ في التشبيه ايضاً .

فالصليبيون لم يأتوا بفكرة الاستقرار . وقد حركتهم الدعايات الدينية التي كانت تحثي وراءها عوامل ومآرب عديدة لا تتصل بفكرة الاستقرار والتوطن بالنسبة لسواد الصليبيين الاعظم على الاقل . وكان لهم في اورشليم وبيوت وارض ومزارع وعقارات وأهل ظلت الصلات بينهم وبينها ، وكان معظم القادمين الى الشرق العربي والبلاد المقدسة يقدمون بفكرة الجهاد والثواب والاقامة الموقته ثم يعودون من حيث أتوا .

وبين هذه الحال وحال اليهود فرق عظيم من مختلف نواحيها كما هو ظاهر . فاليهود يأتون بفكرة الاستقرار الدائم في وطنهم القومي بقوة العقيدة بقطع النظر عن سخط هذه العقيدة . وهم حينما يأتون يقطعون كل صلة لهم بالبلد الذي يقطنون فيه وينقلع من ذهبنهم كل اثر منه ، وبكلمة ثانية يحرقون كل السفن التي يمكن ان تعيدهم الى مكان آخر فيغدون لا مقام لهم ولا مستقر الا فلسطين ، ويحملهم هذا يدافعون عن كيانهم ووجودهم اشد الدفاع حتى الموت . والجيل الناشئ خلال الاربعين عاماً بنوع خاص متحمس فوق هذا لقضية الوطن القومي التاريخي الكبير الشامل كل الحماس ومؤمن بها كل الايمان ومستعد للتضحية في سبيلها بأعظم التضحيات كما اثبت ذلك بكل قوة في الثورة التي قام بها اثناء الحرب العالمية ضد الانكليز والتي استمرت ثلاث سنين حيث بدا منهم المثير المدهش من الجرأة والاستماتة والتضحية والزهو والاعتداد والتصميم والوطنية والعقيدة . فاذا رُسخت قدمهم مدة طويلة وكثر عددهم حتى بلغ الملايين الكثيرة حار متعذراً جداً ان لم تقل مستحيلاً ان يتعلمهم العرب والمسلمون كما فعلوا بالصليبيين ،

ولاسيا ان اليهود قد اقتنوا المعسكر الغربي ان اسرائيل جزيرة غربية في البحر
 الشرقي العربي في كيانها وحياتها وثقافتها ونفسها واساليبها ، وانها المركز
 الاستراتيجي العالمي المأمون للغرب في هذا البحر وان العرب اعداء طبيعيون له
 لن يزالوا بناوؤونه حتى يتفلقوا من نفوذه وسيطرته ، وان ما يمكن ان يهيئوه
 من قوى حرية تعدل بقيمتها التنظيمية والروحية والحرية ما يمكن ان يقدمه
 جميع الدول العربية من قوى بسبب روحهم العدائية وفوضاهم ، وقد حصلوا
 وما زالوا يحصلون بقوة هذا الاقتناع على كل ما يقوهم من مال وسلاح وحماية
 وتعصيد . وآخر ما حصلوا عليه بضغط رومان وحكومته الديموقراطية خاصة
 التعويضات الضخمة التي تبلغ نحو ثلثة ملىون جنيه من المانيا الغربية . وقد
 اعترف الالمان بالضغط بكل صراحة ووقاحة معاً . وهو شيء بديهي لانهم لا يمكن
 ان ينسحوا حكومة اعدائهم الالاء مثل هذا المبلغ العظيم من تلقاء انفسهم ،
 ولاسيا ان بلادهم ما زال تقاسي آثار الحرب المدمرة . وهم الآن بسبيل حركة
 جديدة هادفة الى الحصول على المزيد من المساعدة والتأييد ؟ فقد توترت العلاقات
 بينهم وبين الدول الشيوعية بسبب طبيعة اليهودي التي تجعله غير مخلص لغيره في
 أي ظرف ومكان وموقف مما فعل هذا الغير معه من خير - وهم جواسيس في
 في اميركة لروسية وجواسيس لروسية في اميركا - ، وقطعت الصلات السياسية
 بينهم وبين الاتحاد السوفياتي ، فجاءت هذه الحادثة فرجاً لهم حتى كأنهم
 خلقوها خلقاً بعد ان فقدوا حاميتهم الاكبر رومان وحزبه ، فآخذوا يقومون
 بدعاية واسعة شديدة في الولايات المتحدة ليقتنوا حكمها الجدد الجمهوريين بانهم
 غدوا ضحية لهم وان ما يواجهه اليهود في بلاد الدول الشيوعية هو في سبيلهم ،
 وان في ذلك تعلقاً للعرب وكسباً لهم ، وان عليهم ان يضاعفوا مساعداتهم
 وتأييدهم لهم ليواجهوا الموقف الذي ترتب على توتر العلاقات بينهم وبين اعدائهم
 وانواء الفارين من البلاد الشيوعية كما ان عليهم ان يحذروا من العرب لانهم
 سيزدادون قرباً الى الدول الشيوعية الخ ...

ولا يكفي ما يدوم من ادراك رجال العرب الرعيين لمطامع اليهود واهدافهم
ويخطرهم العاجل والآجل وتكرارهم ذلك في مختلف المواقف والمناسبات اذا
ظل سلباً وفي نطاق الكلام الذي اتقنا فتونه كل الاتقان .

ولا يكفي كذلك ما بدا الى الآن من الدول العربية من تصميم على عدم
مصالحة اليهود وعلى احكام الحصار الاقتصادي حولهم . فهذا موقف سلبى ايضاً
قصاره انه اضعف الايمان . وليس من شأنه ان يمنع بل ان يحث من نحو اليهود
وقوتهم كيفية وكيفية بحسب واسع . واخشى ما يخشى اذا طال الامر كثيراً ان
يصبح وجود الدولة اليهودية عقيدة راسخة عند رؤساء العرب وساستهم او عند
بعضهم على الاقل ، وان يخرق الاجماع العربي البادي الآن على عدم مصالحتها
وعلى احكام الحصار حولها ، ولا سيما انها تبدي تمالكاً عظيماً على الصلح مع العرب
ورفع حصارهم عنها ، وان تألوا جهداً في بث الدسائس والوساوس والتوسل
بمختلف وسائل الاغراء لخرق ذلك الاجماع واتحاد ثغرة واسعة بين العرب تنفذ
منها الى سائر بلادهم اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً فيتحقق الخطر العظيم الذي
تبدو امثله ويقع العرب جميعهم فريسة سهلة في انيابه ولا يفهمون ندمهم وحسرتهم
على ما فاتهم فتيلاً ، وحماة اليهود القادرون بذل كل جهد في سبيل هذا الغرض
بمختلف اساليب الضغط والاعراء والالاح والتهديد والدس . ومن عجيب امر
اليهود في هذا الباب انهم يريدون نيل الصلح مع العرب بدون ثمن على شدة حاجتهم
اليه وتمالكهم في سبيله مما ينطوي فيه بالغ الاستهتار بهم حيث اعلنوا وظلوا
يعلمون في كل مناسبة انهم لن يتخلوا عن شبر من الارض التي في ايديهم وان
يقبلوا بعودة لاجيء واحد الى فلسطين . والعجب من امر حماة اليهود انهم يعلقون
اهمية عظيمة على مصالحة العرب مع اليهود ويرون ذلك حيوياً شديداً للخطورة في
خطتهم الاستراتيجية التي استغرقوا فيها واستهانوا بكل شيء في سبيلها على اعتبارها
مسألة حياة وموت لهم ، ومع ذلك فانهم لم يحاولوا بحمد ان يمحوا اليهود على تبديل

موقفهم والتراجع عن بغيتهم وتنفيذ قرارات هيئة الامم مع انهم لو حاولوا ذلك
 يجدوا استطاعوا حملهم على ذلك التبديل لان حياتهم في ايديهم وقيامهم قائم بهم ،
 بل انهم يشارون بكل وسيلة على تأييدهم في كل خطوة باغية يخطونها ومدهم بكل
 معونة وقد كان موقفهم الاخير في هيئة الامم في نهاية سنة ١٩٥٢ شديد الصراحة
 والجرأة والاستهتار بالعرب وقصد اهمال تلك القرارات بل ونسفا واعتبار واقع
 اليهود الحاضر واقعا لا معدى عنه ولا سبيل الى تعديله ؛ وقد تبنا حجة اليهود
 في عدم اتساع فلسطين للاجئين بعد سيل المهاجرين اليهود المتدفق في حين ان في
 شرق الاردن وسوريا خاصة متساع لهم وحاجة شديدة الى ايديهم العاملة فضلا عن
 انهم سيكونون اذا عادوا ماثرا مشاكل كبرى لا تساعد على السلم والامن في
 فلسطين والبلاد المجاورة . ويضيف اولئك الحماة المتآمرون - ونعني بهم خاصة
 انكلترا واميركا - الى هذا حجة اخري وهي انه ليس من مصلحة اللاجئين قبل
 غيرهم ان يعودوا ليعيشوا تحت كنف اليهود وعرضة لاضطهادهم وفي ظروف
 اقتصادية ونفسية صعبة جداً عليهم ، وان من مصلحتهم ان يندمجوا في البلاد العربية
 الاخرى مع نيلهم المساعدات والتعويضات النقدية ، دون أن يستشعروا بما في
 هذه الحجة من مجانبة لكل حق وعدل وقيم لا يمكن أن يتسلخ منها المرء وتجاهلها
 بسهولة ومقابل دربهات بخسة ثم بما فيها من مغايرة لكل قانون سماوي وأرضي
 ودولي أيضاً حيث يراد من أهل فلسطين أن يصرفوا النظر عن مواطن آبائهم
 وقصورهم وبيوتهم ومدنهم وقراهم وجرابهم ومعابدهم ومقدساتهم ، وقبورهم
 وأنجادهم وذكرياتهم ليحل فيها محلهم غزاة طارئون من آفاق الدنيا . وليتبنوا
 بدورهم على وجوههم ويستقروا في أرض جديدة مما يتطوي فيه بالغ الاستهتار
 بالعرب ومما لا يتسق الامع منطق الظلم الاستعماري القاسي الذي تجعله مقاصده يعني
 عن الحق ويتصامم عن صرخة العدل ، ويتحجر قلبه عن الاستشعار بأي شيء من
 القيم بالنسبة لغيره وخاصة بالنسبة لضحاياه . ومن أوقع وقاحات اليهود دعواهم أنه
 ليس بينهم وبين الدول العربية خلاف يحتاج الى حل وإعلانهم الاستعداد للصالح
 مع هذه الدول كل على انفراد وبذلهم الجهود في هذا المجال هادفين بذلك الى تقرير

كون بلاد فلسطين التي يحتلونها ليست بلاد أي دولة من الدول العربية وإلى خرق
اجتماع هذه الدول على عدم الصلح معهم ومتجاهلين أن وجودهم في أصله أعظم
مظاهر الخلاف بينهم وبين الدول والشعوب العربية جميعها . وأن قيام دولتهم قد
قطع أو كاد يقطع صلة البلاد العربية ببعضها وأن فلسطين بلد عربي لكل عربي
فيه حق وأن بينهم وبين كل عربي وبين دولتهم وبين كل دولة عربية من أجل
ذلك ثار عميق لن ينتهي إلا باقتلاعهم من الأرض التي نجسوها بأقدامهم دينا
طال الزمن .

على أن ما نخشاه من خطر الصلح العظيم مع اليهود يظل قائماً وشديداً حتى ولو
تراجعوا بعض الشيء - يضغط من الدول العربية المتحالفة على إقراره لأتربيا العسكرية
أو السياسية المتنوعة فإن هذا التراجع لن يكون مجدياً على ما علمتنا إياه التجارب
(١) لأن قصارى ما يمكن أن يتسألوا فيه هو أن يرفعوا أيديهم عن شيء - نافذ لنا
هو مخصص للعرب وأن يقبلوا بعودة عدد محدود من أصحاب الأملاك ويكون
تراجعهم هذا طعماً في رأس السنارة المعدة لأصلياد العرب وإيقاعهم في شبكة الخطر
العظيم الاقتصادي والسياسي والاجتماعي والعسكري الذي يتهددهم في حالة الصلح
الذي يمنحهم الوقت والنفس والوسائل ويخفف جوانب الشد يتهددهم ونطاق
الحصار القوي حولهم ، ولأننا أن بعض السياسيين المتعاقبين الذين يسرون بوحى
الاعتبارات الشخصية والاقليمية والايحاءات والتلقينات الأجنبية المريبة قد
يرحبون بهذا الطعم المسموم وما يدخل في بابه من المقترحات النافذة التي لن
يكون لها إلا الفائدة لليهود حالا ومستقبلاً .

ومن أجل هذا كله فإن الاكتفاء بالمواقف السلبية والصبر على اليهود طويلاً
وفسح أي مجال لهدوؤهم وطمأنيتهم خطر كل الخطر على كيان العرب وبلادهم
ومصالحهم الخاصة والعامة والداخلية والخارجية والسياسة وغير السياسة . ومن
أعظم واجبات العرب والحالفة هذه أن لا يضيعوا لحظة واحدة في التفكير والتدبير

(١) في الجزء الخامس من كتابنا حول الحركة العربية الحديثة شيء كثير من مراوغات
اليهود أثناء نشاط لجنة التوفيق في لوزان سنة ١٩٤٩

لدفع هذا الخطر بالعمل الجدي وفي اسرع وقت ممكن . ومن اعظم الجرائم العظمى التي يقترفها القابضون على ازمة امور العرب ان يتوانوا في هذا الواجب ولا سيما انهم كما قلنا مدركون لدى الخطر الدائم التي يهدد بلاد العرب كل الادراك بسبب وجود اليهود في هذا الجزء الحيوي من بلادهم من حيث المبداء وبما يمكن ان يمكن لهم الصبر عليهم من نمو ورسوخ .

- ٥ -

وليس من شأن غير القوة ان تدفع هذا الخطر فضلا عن انها هي الممول الوحيد لفصل العار الشديد الذي ألحقه اليهود وأنصارهم بالعرب ، واسترداد اعتبارهم في نظر أنفسهم ونظر الدنيا . ويجب أن يتم هذا خلال سنة أو سنتين على الاكثر أي قبل أن يستفحل أمر اليهود لأن الوقت ضد العرب بالنسبة لهذه القضية خاصة من حيث أنه كل مامر رسخت قدم اليهود وتمذر إقتلاعها . وكل أمل واحتمال في حل مشكلة فلسطين على نحو ايجابي ومرض لكرامة العرب وحقيهم ودافع للخطر الذي يهددهم بنيران القوة خائب وعبث . ونعتقد أن جميع ذوي الشأن من العرب الرسميين فضلا عن غيرهم يعتقدون هذا في قرارة أنفسهم وكثير منهم لا يفتأ يصرح به في مختلف المناسبات وهو بديهي جداً . فغير العرب هم ضد العرب صراحة وضمناً وسكوتاً مادام العرب لا يمدون الى القوة . واليهود في المجال السياسي أقوى وسائل وتأثيراً من العرب حتما من حيث قدرتهم على احباط أي مجهود عربي سياسي ، وتحقيق كل ما يرغبون فيه من أمور تساعد على تدعيم مركزهم ورسوخ قدمهم اذا ما تساجلوا مع العرب في هذا المجال . وقد ثبت هذا خلال السنين الأربع بصورة لم يبق معها أي مجال للظن والتعلل . واليهود يدركون هذا إدراكاً جيداً . وبقوة هذا الادراك جروا على الاستهتار بقرارات هيئة الأمم ومجلس الأمن وتحدوها وجعلوها أمام الامر الواقع مرة بعد مرة وكسبوا من جراء جرائمهم مكاسب متنوعة . وبقوة هذا الادراك قتلوا برنادوت ، وثقفوا الهدنة الثانية واستطاعوا أن يفادوا الدول العربية من النقب ويقطعوا الصلة التي

يربط بلاد العرب الشمالية بالجنوبية ويضطرر وهذه الدول الى توقيع معاهدات الهدنة المنفردة التي أملوا فيها ارادتهم وذهبت بما بقي للعرب من كرامة وهيبة وبقوة هذا الادراك سخرروا بالعرب والامم المتحدة المرة بعد المرة فوعدوا بتنفيذ قرارات هيئة الامم واحترامها ووقعوا ميثاق لوزان في ١٢ مايس ١٩٤٩ بسبيل ذلك قبيل قبولهم في هيئة الامم التي جعلت هذا الوعد بمثابة شرط لقبولهم ثم نكسوا بعد يومين من قبولهم على أعقابهم وأخذوا يعلنون في مختلف المناسبات ان تلك القرارات عدت غير ذات موضوع وأنه لا مكان عندهم للاجبي واحد ولن يرفعوا أيديهم عن شبر من أرض ولن يتراجعوا عن جعل القدس عاصمتهم السياسية وامتلاك ما بينها وبين البحر مما هو مخصص للعرب لأنه طريقهم إليها دون أن يلقوا عنتاً أو غضباً ازاء هذا النكث الذي ارتكبوه والفجور الذي أعلنوه . وبقوة هذا الادراك جروا على خرق الهدنة مرة بعد مرة وما زالوا يجرؤون ويكسبون من جرأتهم مكاسب متنوعة . وبقوة هذا الادراك جروا على الهزء والاستهتار بقرار مجلس الوصاية ودستوره في صدد تدويل القدس المستندين إلى قرارات هيئة الامم ، وجعلوا القدس عاصمة لهم ولم يبالوا باحتجاج هذا المجلس وانذاره ، وهام اليوم يتمو خطو تهم فينقلون وزارة خارجيتهم اليها ليحبروا الامم التي قررت تدويلها على دوس قراراتها والاعتراف بالأمر الواقع بنقل مقوضياتهم إلى القدس تبعاً لنقل وزارة الخارجية اليها . وما خبرناه من مطاعهم ومطامعهم وتصريحاتهم وأهدافهم يجعلنا على يقين من أنهم سوف يقفزون بعد هذا اذا صبر العرب عليهم أكثر ما صبروا قفزة جديدة فيسقطون يدهم على المناطق المقدسة التي هي تحت الحكم العربي الأردني في القدس وما جاورها ثم يتمون قفزتهم بالاستيلاء على الحرم الشريف بعد تسريد أهل المنطقة وإقامة هيكل لهم فيه بل وعلى اقتاض مسجديه العظيمين مفخرة الاسلام والمسلمين ويضعوا العالم أمام الأمر الواقع كما اعتادوا مرة بعد مرة . وليس فيما نقول غلو أو توهم فأننا نعرف مطامعهم ومطامعهم وعقائدهم وقد جعلوا شعارهم «الامنى لا سر ائبل بدون القدس والامنى للقدس بدون الهيكل» . وقد أعلنوا نياتهم بصراحة منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى نحو الحرم حيث قدم

نائب رئيس الجمعية الصهيونية ورفاقه طلباً مؤيداً من رئيس الحاخاميين ومجاس
الربانيين في سنة ١٩٢٠ بوضع اليهود يدهم على جميع مكان الهيكل الذي هو الحرم
القائم في وسط مسجد الصخرة والاقي (١) وحيث نشر الفرد موند اللورد
اليهودي الانكليزي مقالاً قال فيه ان اليوم الذي سيعاد فيه الهيكل اضحى قريباً
واتي ساكرس بقية حياتي لبناء هيكل عظيم مكان المسجد الاقي . وكان هذا من
اثر ما بهته وعد بلفور في اليهود من نشوة وأمل ولم يكن عددهم يزيد حينئذ عن
ستين الفا وكانت حركتهم خيالية اكثر منها حقيقية . وهم يعرفون أن قصاري
ما يكون مادام الأمر في المجال السياسي هو الاحتجاج ثم التوجع والسكوت .

- ٦ -

وواجب العرب في هذا الباب متنوع الجبهات . فمن جهة يجب على منظماتهم
وصحافتهم ووعاظهم وخطبائهم وأساتذتهم وكتابهم أن يشتدوا في الدعوة وتوجيه
الشعور العام وتقويته في هذا الاتجاه . ومن جهة يجب أن يشتد اهتمام الحكومات
العربية للتسلح والاستعداد والتدريب بأوسع مقياس وأسرع وقت ممكن . ومن
جهة يجب السير في تحقيق نصوص معاهدة الدفاع المشترك بكل جد وإخلاص
وسرعة ، والامران الثاني والثالث مما يجب على من ذكرنا أن يشتدوا في الدعوة
اليها ومطالبة الحكومات بها . وأفضل ذريعة الى حركة عربية في مجال هذا
الواجب كمرحلة أولى هو ما يبدو من اليهود من اصرار على عدم تنفيذ قرارات
هيئة الأمم في قضايا الحدود وعودة اللاجئين وتعويضهم وتدويل القدس ، فتتقدم
الحكومات العربية الى الحركة على اعتبار أنها صاحبة الحق والشأن في برنامجهم
على تنفيذ تلك القرارات .

ومن الجدير بالذكر أن تنفيذ القرارات يحمل آياً ٧٥ ٪ من مشكلة اللاجئين .
لأن اليهود يحتلون تسع مدن ليست مخصصة لهم وهي القدس الجديدة والرملة واللد

(١) من تقرير ارسله الحاكم الانكليزي العسكري بوز في ٧ حزيران ١٩٢٠ الى القائد
العام اللورد البني .

ويثر السبع والمجدل وبلفا والناصره وعكا وشفا عمرو وترشيحه ويحتلون أكثر من مئتي قرية عربية تابعة لها ، فإذا رفعت أيديهم عنها عاد معظم اللاجئين الى بيوتهم ، بل وأمكنها استيعاب عدد آخر من لاجئي الجهات الأخرى ، وامكن للمائدين بما خصص للتوطين من المبالغ أن يستأنفوا حياتهم التي دمرتها الأحداث السابقة .

وقد بحثت قضية فلسطين مرة ثانية في هيئة الأمم سنة ١٩٥١ التي انعقدت في باريس فقررت تمديد مهلة لجنة التوفيق وأوجبت على الدول المعنية - العرب واليهود - حل هذه القضية وفقاً لقراراتها السابقة ، مما فيه انعاش جديد لتلك القرارات التي مر عليها خمس سنين وكان يحسبها الناس ميتة . وقد تكون الدول الكبرى المتآمرة ضد العرب في قضية اليهود وافقت على هذا القرار بناء على إلحاح مندوبي العرب وأنصارهم لتتال موافقتهم على مشروع قرار التوطين الذي يرمي الى ادماج اللاجئين في حياة واقتصاد الأماكن التي هم فيها كخديعة للعرب على اعتبار أنهم اذا وافقوا على قرار التوطين ونفذ أصبحت تلك القرارات غير ذات موضوع .

فمن الواجب على الحكومات العربية رد هذا الكيد الى أهله والانتفاع بقرار توكيد القرارات السابقة الذي جعلها مسئولية تنفيذ هذه القرارات والاستناد اليه في الاقدام على هذه الحركة الواجبة . ولا نعتقد أن هذا عسير ومشكل فالحكومات العربية أعضاء في هيئة الأمم التي قررت تلك القرارات والتي كلما طولبت بتنفيذها قالت إنها لا تملك وسائل التنفيذ والحكومات العربية تنظم كذلك في منظمة اقليمية من واجبها تأمين السلامة والسلام في منطقتها . واستمرار اليهود في بقيهم وعدم تنفيذ قرارات هيئة الأمم مما يحل بذلك . ولا سيما ان هناك مئليون لاجيء جردهم اليهود من كل مقومات الحياة وهم الآن يتصرفون بأموالهم وبيوتهم وحقوقهم وقراهم وبساتينهم ومزارعهم بغياً وعدواناً وأصحابها في أشد حالات البؤس والحرمان . وبقاؤهم على هذه الحال مما يؤدي إلى الاضطراب . ونعتقد أن

اليهود يهوشون بقوتهم العسكرية كثيراً وأن هناك أنظماً عربية تساعدهم على هذا التهويش من حيث تدري ولا تدري ، ونعتقد أن قوى الجيوش العربية في حالتها الحاضرة قوى الكفاية للهمة إذا قامت بإجهاجها بوحى الاعتبارات العسكرية فقط فكانت لها قيادة واحدة نافذة وخطة واحدة مدروسة بما يتكفل به تنفيذ مساهدة الدفاع المشترك ، ولا سيما أنه برصد منذ سنتين وينفق أموال طائلة في سبيل تحسين حالة الجيوش العربية وإتمام تجهيزها وخاصة في مصر وسوريا . ونعتقد أن الجيوش العربية ضباطاً وجنوداً شديداً التوق والتحرق الى منازل اليهود واقتلاع جثثهم وغسل العار عن الأمة العربية بدمائهم وبطولانهم وتكذيب اليهود في تبجحهم بالكاذب بأنهم قد انتصروا على الدول العربية السبع عسكرياً ، مفرين بذلك على الحقيقة المروعة من حيث أنه لم يقع حرب فعلية بينهم وبين الجيوش العربية ، ومن حيث أن خسران العرب المعركة قد كان لأسباب داخلية وخارجية (١) ومن حيث أن الجيوش العربية ومجاهدي العرب كانوا يتحرقون على القتال والاشتباك معهم وتقديم أعظم التضحيات في سبيل تطهير البلاد منهم ، كما نعتقد أن الأمة العربية في جميع الاقطار وعلى اختلاف الطبقات والفئات مستعدة للتجاوب مع أي حركة ودعوة في سبيل ثأر فلسطين وغسل عارها ، ومستعدة لتقديم كل تضحية تتطلب منها ، وقبول كل أمر يفرض عليها بكل حماس وتحمل إذا ما وجد ورأت من حكوماتها عزمًا وتصدية . وفي كل مناسبة يقوم البرهان على ذلك ، وقد كانت كارثة فلسطين وعارها من أقوى حوافز الحركات الانقلابية والاحداث الدموية التي حدثت في بعض البلاد العربية ، والتي كانت يتلقاها الجمهور بالارتياح والابتهاج والتأييد .

واليهود في كل يوم يتحرقون الهدنة باعتمادهم وبغيرهم . وفي احصاء رسمي أذاعته لجنة الهدنة الأردنية عن عدوان اليهود على الحدود الأردنية وحدها أنه خلال ٢٦ شهراً أي من أول كانون الأول عام ١٩٤٩ حتى ٣١ كانون الثاني عام

(١) في الاجزاء الثالث والرابع والخامس من كتابنا حول الحركة العربية تفصيل واف عن سير وتطورات القضية الفلسطينية وحربها .

١٩٥٢ اعتدوا (٦٢٤) مرة من هذه الحدود وإن عدد ضحايا هذه الاعتداءات من العرب يبلغ أكثر من مئة قتيل و ٨٥ جريحاً و ٨٣ مفقوداً ومن بين هذا العدد (٣٠) امرأة و (٣٥) طفلاً بين قتيل وجريح وخمس نساء وعشرة أطفال مفقودين . وجميع هذه الأعمال وقعت في داخل الحدود الأردنية (١) ، وأن اليهود قد طردوا ومنذ وقت الهدنة من المناطق التي يحتلونها ما يزيد عن خمسة عشر ألف عربي بينهم عدد كبير من النساء والأطفال واستولوا على أملاكهم وأموالهم عنوة ، وأنهم في إحدى المرات طردوا ألف عربي دفعة واحدة ، وأنه حدث مرة أن طردوا مئات من البدو فأرادوا أن يحملوا معهم خيامهم فأبوا عليهم ثم كدسوا هذه الخيام وما فيها من أمتعة وأشعلوا فيها النيران . وليست حدود الأردن وحدها المعرضة لهذا الخرق والعدوان . بل تكاد حوادثها تكون يومية في حدود الدول العربية في الشمال والجنوب ، ومنذ أربع سنين والتفارير تسجل أحداثها والصحف تردد أخبارها واللجان تعقد لها . مما ينطوي على بالغ استهتار اليهود بالعرب ونواياهم القريية والبعيدة .

فالحكومات العربية تستطيع بل ويجب أن تتسلح بهذه الاعتداءات لتقف موقفاً قوياً وتقدم على خطوة إيجابية حاسمة وعاجلة تكون غايتها كمرحلة أولى إرغام اليهود على التراجع عما في أيديهم مما ليس مخصصاً لهم من مناطق ومدن وقرى أولاً ، وتصحيح الحدود بحيث تتصل المناطق العربية ببعضها من جهة وتتصل مصر بالأردن من طريق النقب من جهة ثانياً ، واحتلال ما يمكن احتلاله من الأقسام المخصصة لليهود ليكون رهينة على تعويضات أملاك العرب وأموالهم التي نهبوا ثانياً ، وحشر اليهود في البقعة الأخرى الضيقة الساحلية التي يتكاثفون فيها رابعاً إلى أن تحين فرصة أخرى لاقتلاع جذورهم من الأرض المقدسة ، بل وقد تتطور الأمور خلال هذه الحركة نفسها إلى تحقيق هذا الأمل المنشود .

(١) لقد أذيع في مدة قريبة أن عدوانهم على الحدود الأردنية في بقية سنة ١٩٥٢ بلغ نحو ثلاثة مرة ، وما يزال يتكرر في سنة ١٩٥٣ حتى كان في بعض المرات سورة مصفرة لرحل حربي يجر بالمدافع والألغام والاستعدادات المتنوعة الأخرى . . .

ونحن اذا رسم خطة هذه الخطوة العاجلة الحاسمة لاننتهي ان الانكليز وفرنسة والولايات المتحدة أعلنت في بيان مشترك سنة ١٩٥٠ عزمها على منع أي تعديل في الحدود بالقوة . غير اننا نعتقد ان في هذا الاعلان تهويشاً على العرب وانها اذا تيقنت من تصميم العرب ستجد نفسها أمام موقفين إما تكرار مثل كوريا في البلاد العربية وإما الضغط على اليهود وإرغامهم على تنفيذ قرارات هيئة الأمم . وقد رأينا كيف كان أمر كوريا وما تخلله من غصص وندم وحسرة وفواجع وخسائر عظيمة ، ولا يرد أن اصبح الروس كانت في كوريا فان احتمال المضاعفات الداخلية والخارجية في الشرق العربي مخزن النفط الأعظم واكبر أهداف الصراع بين المعسكرين العالميين لا يمكن أن يغيب عن بال الدول الثلاث الى درجة تجعلها تقدم على عمل عتيق جماعي ضد العرب لانهم ليسوا مفتاتين على اليهود ولا باغين وانما هم يحملون أنفسهم أداة لتحقيق قرارات هيئة الأمم وصيانة كرامتها كما فعلت أميركا والدول التي انجرت معها في كوريا .

كذلك ونحن اذا رسم خطة هذه الخطوة العاجلة الحاسمة لانرى أننا نذهب في الخيال من حيث قدرة العرب على الاضطلاع بها والنجاح فيها لاننا نعتقد أن هذا في مقدورهم الآن على ما ذكرناه قبل ؛ بل هو في مقدور سوريا ومصر اللتين متحدتان بإسرائيل من الجنوب والشمال ولا سيما بعد انقلابيهما الجريئين الذي يسرا لهما إصلاح جيشها وتدعيمها اذا لم يتضامن الجيش الاردني فيها بسبب كون مقاليد في يد الانكليز ، والمهم في الأمر هو جدالنا بضيق على زمام أمور العرب وانما نهم بقضاياهم وحقوقهم . ولقد آن لهم أن يجحدوا ويخلصوا ويؤمنوا بهذه القضايا كما آن لهم أن يتحرروا من تهيب الدول الباغية وملايتها وهي التي لا تفتأ تصفعهم صفعات بعد صفعات في مختلف المواقف والمناسبات بعد صفعتها العظيمة لهم في اقامة الكيان اليهودي في عقر دارهم وعلى دماء وأشلاء أهل فلسطين وبذل كل جهد في توطيده . ولا نعتقد أن هذه الدول تستطيع أن تفعل بهم أكثر مما تفعله اذا ما

اشدد السخط والحقد عليها . وهو مايجب على شباب العرب ومنظماتهم وخطاباتهم
وكتابهم ووعظهم وأساتذتهم وصحافتهم أن يدعوا اليه اذا ما تشددت الحكومات
العربية في خطتها معها ، بل أن من أقوى الاحتمالات أن تعدل هذه الدول عن
خطة الغدر والبغى والاستهتار التي تسير عليها معهم . ولقد مشى العرب في ركابها
طويلا وساروها أعظم مسيرة وضجوا بدمائهم وبلاذهم في سبيلها فلم يكن لهم
إلا تلك المواقف .

- ٨ -

ويستطيع الفلسطينيون أن يقوموا بدور عظيم في المرحلة الاولى أي في مرحلة
تنفيذ قرارات هيئة الأمم ، وهم على أتم استعداد للقيام به فضلا عن استعدادهم
للمساهمة في أي دور أو حركة انقاذية بكل قواهم وتقديم أعظم التضحيات التي
يمكن أن تطلب منهم . فهم أصحاب الدار العارفين بخارجها ومداخلها وطرقها
وأحراشها ووعرها وسبلها وجبالها ، وهم الذين وقع عليهم بلاء كارثتها على أشد
الحالات وأوجعها ، وهم الذين يقاسون ما يقاسون من ذلك وهوان وحرمان وبؤس
وريقون الدماء بدل الدموع على وطنهم المسلوب وعرضهم المنهوك وثرواتهم
المعصوبة ومقدساتهم المداسة ويتحرقون أشد التحرق إلى أخذ ثأرهم وغسل عارهم
بكل قلب وحرارة وإيمان .

وانته لمن الممكن اعداد عشرة آلاف منهم على الاقل وتدريبهم وتجهيزهم
وتنظيمهم في وحدات صغيرة ذات قيادات خاصة ثم توزيعهم على الحدود من الآن
حتى اذا جاء وقت ارغام اليهود بالقوة كانوا هم الطلائع ، بل ان لمن الممكن ان
يباشروا نضالهم حال ما يتم تجهيزهم وتدريبهم وتنظيمهم . ونكاد نقول اننا على
يقين بأنهم اذا سمح لهم يستطيعون ان يقوموا بفارات قوية مستمرة تزعج اليهود
اي ما ازعاج وتحملهم على قبول المطالب منهم الذي ليس الان الا تنفيذ قرارات
هيئة الأمم دون اشتراك الجيوش . و ان تزيد اكلافهم في الشهر عن ربع مليون
جنيه . وهو مبلغ زهيد جداً اذا ما قيس بأثار العمل ونتائجه ومجمل جهداً اذا

ما وزع على مزارعات الحكومات العربية التي لا يقل مجموعها عن ثلثائة مئليون جنيه ، بل وإن واحداً من ملوك النفط العربي ليستطيع ان يقوم به وحده فيكون له في صفحة اعماله كفارة ونوراً بين يدي الله . وقضارى ما يكون على الجيوش العربية ان تحمي حدودها اذا ما حدثت اليهود انفسهم بالعدوان على هذه الحدود بحجة مطاردة المناضلين وخرق مواد الهدنة وان تحيط غارات اليهود الجوية اذا ما ارادوا التهويش بها على البلاد العربية واثارة اعصابها .

وللقارىء ان يتصور ما تستطيع ان تفعله خمسة عصابة كل واحدة مؤلفة من عشرين مناضلاً على رأسهم ضابط او قائد منهم منشورة على طول حدود ما يحتله اليهود من فلسطين من الشرق والكمال والجنوب انتشاراً منظماً وفق خطة مرسومة حيث تكون كل عصابة على بعد كيلو متر من اختها بحيث تستطيع كل واحدة ان تقوم بحركة واحدة في كل يوم من تدمير وخطف وقتل ونهب وتعطيل ونسف وتخريب الخ ... ولا يداخلنا اي شك في ان شهرين او ثلاثة اشهر تواصل هذه الوحدات اعمالها فيها يومياً على هذا النمط كافية لجعل اليهود يحنون قلقاً واضطراباً وخوفاً ، ولن يستطيعوا ان يقابلوا هذه الوحدات مقابلة حربية لان خطتها ستكون كراً وفرأ على اسلوب العصابات التي اعتادتها والتي ازعجت بريطانيا في فلسطين اشد الازعاج . وقضارى ما يمكنهم ان يفعلوه هو عدوانهم كما قلنا على الحدود او قيامهم بغارات جوية على المدن العربية وتكون الجيوش العربية مستعدة لهم فتفشل حركاتهم . ولندعم هذه المرة هم الذين يشتكون على العرب لجلس الامن بعد ان فعلوا فينا الافاعيل وخرقوا حدود الهدنة وشروطها مراراً وتكراراً وحققوا كل ما قصدوه وضربوا باوامر هذا المجلس عرض الحائط ، وكان كل قصارانا ان نكون نحن الشاكرين المستجدين للرحمة والعدل ممن هم حرب علينا هذه المرة بعد ان خالفوا هم مراراً وتكراراً . هذا اذا لم تر الحكومات العربية ان تبدأ هي بمحوشها او لم تر ان تقابل حركات اليهود التي يمكن ان تحدهم انفسهم بها ضد الحدود العربية ورأت ان تكنفي بالدفاع . اما اذا بدأت هي بمحوشها او قابلت حركات اليهود الهجومية بمثلاً وكانت مستعدة كما قلنا فان من الممكن

ان يكون فيما تفعل تحقيق الامل القريب والبعيد معا يسروا في مدة وجيزة - وانما
لنرى بعين الخيال ونحن نكتب هذه الآثار العظيمة التي يمكن ان يحدثها
مثل هذه الحركة العظيمة والنجاح فيها فستولي علينا هزة شديدة من النهضة
والعزة لأنه سيكون ايذاناً بولادة الامة العربية من جديد ولادة قوية رائدة ،
وبسكاكها من برائن المستعمرين الباغين في المشرق والمغرب العربيين وسيرها قدماً
الى الاهداف العظيمة التي تستهدفها الحركة العربية الحديثة .

ومن الواجب ان تبدأ حركة تهيئة الفلسطينيين بأسرع ما يمكن ؛ بحيث
تؤلف في امانة الجامعة لجنة خاصة فيها مستشار عسكري مهتم باختيار الصالحين
من الفلسطينيين واسكانهم في مناطق الحدود المختلفة وتجهيزهم وتدريبهم وتشكيل
وحداتهم حتى يكونوا على اهبة المل حينما يدعون اليه . وقد لا يزيد اكلاف
هذه العملية التهيئية عن ربع مليون آخر في الشهر ؛ فيكون مجموع ما ينفق على
اعداد وتدريب وتجهيز وتنظيم وتحريك الكتائب الفلسطينية نصف مليون جنيه في
الشهر وهو ٤٪ من ايراد النفط الذي تهيئه الحكومات السعودية والعراقية
والكويتية !

اما اذا تلكأت الحكومات العربية في السير خطوة عملية حاسمة وعاجلة مثل
هذه الخطوة او ما في مداها على الأقل وماعت وتهيئت على عاداتها وطال الامر فقد
يصبح الامل سراباً وتكون قد سجلت مرة اخرى على نفسها وتاريخ حقبتها
عار الأبد وذلك ، وصمحت برسوخ جرثومة السرطان الرهيب وانتشارها في جسم
البلاد العربية جميعها ، فضلاً عما تكون قد اضاعته من فرصة تجارية سهلة لمعاهدة
الدفاع المشترك ومداهوا والآثار العظيمة التي يمكن ان يحدثها النجاح فيها وما تكون
قد جلبته عليها من اشتداد احتقار الأمم للامة العربية ودولها العديدة
وسخريتها منها .

ويجب على شباب العرب والمنظمات القومية والخطباء والوعاظ والكتاب
والاساتذة والصحفيين ان يشتدوا في الدعوة الى ذلك بحيث تصبح استجابتها عملاً

لا مناص منه ، كما يجب على الذين يقبضون على أزمة الحكم في البلاد العربية ان يستوحوا ضمائرهم وان يستثيروا عزائمهم وان يتقوا الله في امنهم وبلادهم ومستقبلها ، وان يدركوا ان الامر لا يعنينهم وحدهم وانما يعني الامة العربية الى اجيال عديدة وبمعي حياتها وكيانها وشرفها وكرامتها وتاريخها ومقدساتها ، وان مدى الفرصة امامهم لا يعدوا سنتين او ثلاثاً على الاكثر ثم تفلت من الامة العربية الى مدى اجيال عديدة ، وانهم في اضاعتهم الفرصة يكونون قد سجاؤوا على انفسهم فضلاً عن امنهم عاراً لا عسى ؛ وان من الواجب ان يكون للعرب هتاف دائم التكرار كل لسان كل فرد عربي وفي اعمدة الصحف وافواه الخطباء والوعاظ والمعلمين واقلام الكتاب وهو ان فلسطين للعرب فيجب ان تعود ، وان قيام دولة يهودية فيها عار وخطر على العرب فيجب ان تزول ؛ وان على كل من يتهاون او يحامر في تحقيق هذين الواجبين بقلبه ولسانه ويده وماله وقوته لعنة الله والملائكة والناس اجمعين .

- ٩ -

ولمشكلة فلسطين ناحية اخرى جديدة بالاهتمام العاجل الى ان يمكن تنفيذ الخطة التي رسمناها ، وهي ناحية اللاجئين ، هؤلاء المنكودون الذين يلقون نحو المليون يحبون حياة شديدة البؤس من كل ناحية ؛ بل ان البهائم لتفضل معقلهم في حياتها ؛ وهم مضطهدون صراحة وضمناً في كل مكان وجدوا فيه محرومون من العناية الصادقة ، وقد حُظر عليهم التنقل من مكان الى مكان ، وكادت تنحل فيهم كل مقومات الحياة الانسانية والخلقية والبنوية او هي انحلت فيهم ، وقد انعدم فيهم كل أمل في حياة عزيزة او انسانية ، وفي كل مناسبة من اجتماعات الجامعة ولجانها تبحث شؤونهم ويكرر القول عن ما يجب ان يعمل لتحسين حالتهم وتيسير انتقالهم وعملهم . ولكن الامر يظل في نطاق القول . فمن الواجب ان تشتد الدعوة الى العناية بهم عناية صادقة تتجاوز حدود الكلام الى نطاق العمل والتنفيذ ؛ حتى يظنوا مستمسكين الى ان يتحقق الأمل المنشود .

ومن السبل المجدية الي ذلك توفير سبل العيش لهم ومعاملتهم معاملة كريمة انسانية ، وتيسير حرية التنقل والعمل لهم في انحاء البلاد العربية ، ورفع مستوى معيشتهم البائس المحزن في المسكن والملبس والحياة والاجتماعية ووسائل التعليم والعلاج بواسطة مؤسسة غوث عربية خاصة تموّلها الدول العربية بنسبة معينة من ميزانياتها ، فتعتي بكل ما يتعلق بشؤونهم من حل وترحال وعمل ومعاش وعلاج وتعليم وقروض واعانات ومشاريع وتعاونيات ، وتوطين صالحهم في الحدود وتجهيزهم وتهيتهم للعمل المجدي المأمول الذي يكونون طلائعه .

وليس هذا بالذي يزيد عن طاقة الدول العربية كما قلنا آنفاً . ولقد ذهبت فلسطين واهلها ضحية لتقصير الدول العربية وعدم جدها في المجالين السياسي والحربي . ان لم نقل شيئاً آخر . ، ولقد آن لهذه الدول ان تنكفر عن هذا التقصير بعمل جدي للاجئين يخفف عنهم البؤس الهائل الذي هم مرتكسون فيه ، ويذهب عنهم اليأس القاتل الذي استولى عليهم ، ويعدم بما ينمش الأمل فيهم ، ويرفع مستواهم ، ويهيئهم لدورهم العظيم في حركة التحرير .

كذلك هنالك مسألة اخرى تتصل بمشكلة فلسطين بصورة عاجلة ، وهي مسألة املاك واموال اللاجئين المتخلفة في فلسطين والتي وضمت الحكومة اليهودية يدها عليها ، واقامت حارساً اطلقت يده فيها ، وقد وزعها بالبخس الاجارات على المهاجرين اليهود والشركات اليهودية ، ولا يكاد يبقى من حاصلها شيء ذوال بعد استيفاء ما وضع عليها من ضرائب ورسوم باهظة ، وهاهي هذه الحكومة المجرمة تقرر اليوم بيعها وتصفيتها لتقطع كل امل امام عودة اللاجئين من جهة ولتتم جريمتها بسرقة هذه الاموال والاملاك التي يقدرها المقدرون بـملياري جنيه مقابل اسعار منخفضة او اسمية بـليرات يهودية تباع في الاسواق المالية بخمس قيمتها او أقل .. ونحن نعرف ان الحكومات العربية اخذت تقوم بمساع سياسية وتقدم الشكاوى بسبيل الحيلولة دون ارتكاب هذه الجريمة ، غير ان هذا لن يجدي مع اليهود وحماهم شيئاً كما ثبت ذلك من السوابق العديدة . والعلاج المجدي هو مقابلة العمل بالمثل ؛ فاليهود في مصر والعراق وسورية ولبنان املاك واموال

غير يسيرة ولو أنها أقل من نصف قيمة اموال واملاك العرب . ولقد اعتبر اليهود العرب اعداء وعاملوهم معاملة الاعداء ، وليس هناك احد يستطيع ان يناري في ان كل يهودي في بلاد العرب عدو للعرب متضامن مع الحكومة اليهودية قلباً وقالباً ، وفي كل يوم يقوم دليل جديد على هذه الحقيقة . فمن حق الحكومات العربية ومن واجبها معاً ان تقدم على اعتبار اليهود في بلادها اعداء وان تعتقلهم وتضع يدها على اموالهم واملاكهم وتقيم عليها حراساً . واقد فعلت هذا اثناء الحرب الفلسطينية وكان حقاً لم يجادلها فيه احد . ولقد كان من الخطأ كل الخطأ ان تعود عنه لانها ما تزال في حالة حرب مع اليهود ، فعليها ان تعود الى ما فعلت بدون توان ، ومن الممكن ان تكون هذه العملية مفرجة للاجئين الذين يقاسون اشد حالات البؤس والحرمان ولهم في فلسطين الاموال والاملاك حيث يمكن تسليمهم بمض المبالغ من غلات هذه الاموال والاملاك ، وحينئذ تقدم الحكومة اليهودية على تصفية الممتلكات العربية يقابل عملهم بثلة تقتضي الممتلكات اليهودية كذلك . والدول العربية ذات سيادة من حقها ان تضع التشريعات الاقتصادية وأن تنفذها في بلادها والشر بالشر والبادي اظلم . وقد يعدد اليهود الى طرد العرب الموجودين الآن في فلسطين او اعتقالهم ووضع اليد على اموالهم واملاكهم . وان يكون في هذا مفاجأة للعرب ، لأن الحكومة اليهودية سوف تفعله عاجلاً أو آجلاً

ونحن نعرف ان هناك متعاقبين يقولون ان هذا العمل مخالف للمبادئ والقوانين الدولية والدستورية وينسبون ان اليهود قد داسوا وما زالوا يدوسون على تلك المبادئ والقوانين ، فلا ينبغي ان يكون هذا حائلاً دون هذه الخطوة ، ولا سيما ان الحكومات العربية كما قلنا في حالة حرب مع اليهود وقد فعلت ما قلناه في ظل الاحكام العرفية المعلنة بمناسبة تلك الحالة والتي ما تزال قائمة ... ولقد اعتبرت الحكومة اليهودية نفسها ممثلة لليهود الدنيا ومرجعاً لهم ، وبهذا الاعتبار تقدمت الى المانيا وغيرها تطلب بالتعويض عن دماء اليهود واموالهم ، وقد اقترحت الدول الغربية على ذلك وساعدتهم وما تزال تساعد على نيل التعويض .

فلا لحكومات العربية كل الحق في الأخذ بهذا الاعتبار والقياس بهذا المقياس .
وقد تعرض الدول العربية التي خلقت الحكومة اليهودية وعارضتها على مثل هذا
التدبير ولكننا نعتقد ان الحكومات العربية اذا عازمت وصممت وحزمت تستطيع
ان تصمد امام الاعتراض ، وان تلك الدول لن تفعل غير التهويش ، ولا سيما إن
الحكومات العربية لا تفعل شيئاً مبتدعاً وإنما تقابل عملاً بمثله ، ولقد جرت
تجربة من هذا النوع في العراق مع شيء من الفرق ، وقام اليهود وقعدوا ،
وحركوا حماهم الذين ضججوا وصخبوا ثم وقف الامر عند هذا الحد ... وكل
ما يطلب من الحكومات العربية ان تعزم وتصمم وتحزم ، وعلى الواقعين من أبناء
الامة وصحافيتها وكتابها وخطبائها ووعاظها ان يشتدوا في الدعوة الى وقوفها
الموقف المطلوب ...

(٤) مشاكل القضايا العربية

السياسة الاخرى

والعرب مشاكل وقضايا سياسية عديدة اخرى غير قضية فلسطين متصلة بصميم كيانهم القومي ولها تأثير كبير في تعثرهم وعدم تقدمهم نحو التكامل السياسي والاجتماعي والاقتصادي وعدم تبؤم المركز اللائق بهم ، وهي قضايا مصر والعراق والاردن وسواحل جزيرة العرب الشرقية والجنوبية مع الانكلز وقضايا المغرب العربي تونس والجزائر ومراكش مع الافرنسيين والاسبان، والتي هي في الحقيقة مظهر من مظاهر القدر والحياة والجشع والتكالب وروح التحكم التي اتصف بها هؤلاء المستعمرون منذ مئات السنين والتي لم يجد فيها ما طرأ على البشرية من تطور ودب في العالم من روح جديدة ونسر ووقع من مبادئ ومواثيق ...

ولقد كان في سياق حل هذه القضايا حلولاً نفسية اضطر فيها الدول العربية الى الارتباط بالانكلز بمعاهدات والتزامات ، وغداً لهؤلاء في بعضها كلمة نافذة ، ومجال الالقاء والتوجيه ، فكان ذلك من الاسباب المهمة لكثير مما يبدو من تعثر في سير الامة العربية نحو اهدافها القومية ثم في امور جامعة الدول العربية ومعاهدة الضمان الجماعي والتعاون الاقتصادي المعقودة بين هذه الدول ، وفي اي حركة نحو الوحدة او الاتحاد العربي ، وسيظل هذا التعثر مستمراً يعيق الامة العربية عن تكاملها القومي مادامت هذه الالتزامات قائمة . والمقام يحتمل شيئاً من البيان عن سير هذه القضايا ولحلها الراعية .

ان هذه القضية اشد قضايا العرب نكايه وكيداً وخطورة وتأثيراً ، لأن مصر اعظم البلاد العربية كثافة سكان ونشاط عمران ودوي اسم ، وهي منها في منزلة الشقيق الأكبر وصاحبة الزعامة الطبيعية ، وما يقوم في طريق تكامل سيادتها واستقلالها من عثرات هي اشد العثرات في طريق الامة العربية بطبيعة الحال

ومن عجب امر الانكليز ومظهر وروحهم الاستعمارية والتسلطية أنهم منذ سبعين سنة وهم يعدون مصر بالخلاء ثم يخلقون اسباباً محلية وعالمية لاختلاف هذه الوعود دون خجل . ولقد كان حرصهم على السيطرة على مصر وقضاء السويس منبعاً عن حرصهم على حفظ طريق الامبراطورية الهندية ، ومع أنهم قروضوا خيامهم عنها وجلوا عن الهند وسقطت بذلك الحجة التقليدية الزائفة التي ظلوا يتذرعون بها فانهم ما يزالون يشبثون بموقفهم الباغى الوقح ويتفنون في خلق الذرائع والحجج الواهية من اجله .

ولقد تفننوا منذ تسلطوا على مصر في المفساد والافساد واثارة الفتن وتخوين الاقباط من المسلمين والافتياء من الفقراء والفلاحين من هؤلاء وأولئك ، وتعطيل قوى الامة ومواهبها وتجييلها وشل يدها وروحها والتسلط على كل شيء من مرافق البلاد ودوائر الحكم ومناهج التعليم والتشريع بسبيل ابقاء يدهم قوية نافذة . ولما بدا من المصريين ما بدا من التحقير والتوقير عقب الحرب العالمية الاولى في سبيل الفكك او التنفيس على الاقل لم يتورعوا عن ارتكاب كل قسوة لقمع الحركة واجباطها . وظلوا نحو خمس عشرة سنة وهم يتفنون في المداورة والمراوغة ابتعاداً عن التسليم بحق مصر في الحرية والاستقلال الكامل واقتطاعاً في سلك الدول المستقلة رغم ما قدمته مصر من دماء وجهود لهم في تلك الحرب

ورغم ما كانوا يطمنون به من المبادئ والدعوى الطويلة العريضة بقصدتهم في حصول الامم الضعيفة على حريتها واستقلالها وحق تقريرها مصيرها . ولم يخفوا بحمل قضيتهم الا بضغط الظروف السياسية العالمية من جهة وبعيدان سلم المصريون من جهة اخرى بثي . غير قليل مما كانوا يريدون وخاصة بقاء قناة السويس ومنطقها تحت احتلالهم وتعهدهم مرافق مصر العسكرية والاقتصادية تحت تصرفهم اذا ما اشتبكوا في حرب حيث امكن بذلك عقد معاهدة عام ١٩٣٦ . ودخلت مصر الحرب الى جانبهم في الحرب العالمية الثانية واستجابت الى كل مطالبهم ومقترحاتهم من تسريع وتكوين وتجهيز واعتقال من متوعد باعدائهم معرضة نفسها من اجلها لتارات المحور وغزوة وتهديده . وقد نالها من ذلك شي غير قليل من الضرر والخسارة ومن عجب امرهم في المظالم والارامي والمسداورات انهم لم يكتفوا بما التزمته مصر في هذه المعاهدة من التزامات ثقيلة في وقت الحرب وخطرها لمدة عشرين سنة مما كان من جرائه من انقلاب مصر لساحة حرب وتسخير مرافقها وتثريتها لمطالبهم وحركات جيوشهم وحاجاتها بل جعلوا تعديلاتها منوطاً بمعاهدة جديدة يكون التحالف بينهم وبينها شرطاً محتوماً كما جعلوا مصر مثزمة بعقد معاهدة جديدة على هذا الاساس حينما تنتهي مدة المعاهدة وقد نصت المعاهدة على ان الجلاء الانكليزي عن قاعدة القناة منوط بقدر الجيش المصري قادر على الاضطلاع بمعب الدفاع عن هذه القاعدة ، على ان يكون . هذا رهناً بقناعتهم بهذه القدرة . ومعنى هذا وذلك بتعبير آخر انهم فرضوا في هذه المعاهدة وجودهم وحلفهم واحتلالهم بشكل ما على مصر الى اجل غير مسمى .

ولقد اهلوا اعداد الجيش المصري وتنظيمه وتسليحه وتقويته عن قصد واستمروا في هذا بعد عقد المعاهدة برغم ما في نصوصها من التزامات عليهم ، وما زالوا يضمنون العقوبات بتختلف الاساليب ليحولوا دون تحقيق ما بدا من مصر من رغبة صادقة وبذل سخي في سبيل تقوية الجيش وتسليحه حتى يقدروا قادراً على الاضطلاع بالمعب ، وهذا بالرغم عن ايجاب المعاهدة عليهم مساعدة مصر على تنظيم وتقوية وتسليح الجيش ، ولا يكتفون بالامتناع عن القيام بالالتزامات من

بلادهم بل يبذلون كل جهودهم ليحولوا دون مصر وحاجاتها من السلاح في غير بلادهم أيضاً ما أمكنهم ذلك ... وكل هذا بقصد تبرير دوام احتلالهم وسيطارتهم العسكرية ، بينما هم يتدعون بتلك المعاهدة في بقاء احتلالهم الى ان ترضى مصر بعقد معاهدة جديدة تحتوي ما يريدونه . وبكلمة اخرى انهم يرون انفسهم احراراً في نقض ما عاهدوا عليه ويوجبون على مصر ان تلزمه اشد الالتزام ، ومن هذا القليل نقضهم لاحكام المعاهدة فيما حشدوه في قناة السويس من القوة التي تزيد ثمانية اضعاف ما خولته لهم هذه المعاهدة :

ومن أسخف ما يضحك من تناقضهم ظهورهم بمظهر المشفق على مصر من وقوعها في براثن روسيه بينما تنشب فيها برائتهم بكل شدة . ثم هم الى هذا يتجهمون كل التجهم اسكل مظهر من مظاهر الود قد يبدو بين مصر وروسيه ولكل دعوة الى عقد ميثاق عدم اعتداء بينها لتزول هذه المخاوف وتسقط الحاجة التي يتحاجون بها .

وفي المعاهدة نص محظر وقوف أحد المتعاقدين موقفاً يضر بمصالح الطرف الثاني وبما كسبها ولكن الانكليز لم يبالوا بهذا النص على عادتهم باعتبار انفسهم احراراً في نقض ما عاهدوا عليه وخيانة مبعاهديهم حيث يفتقون المواثيق الفارة بمصر ومصالحها وكرامتها منفردين حيناً ومع شركائهم في الآثم والجرائم حيناً آخر بينما يرددون بانهم سيرغمونها على تنفيذ هذه المعاهدة واستيفاء الحقوق والالتزامات التي توجبها عليها بالقوة .

- ٢ -

وينطوي في قضية مصر قضية السودان المصري العربي الذي هو جزء غير منفصل عن مصر في سكانه ولغته وتاريخه وروحه ومصالحه المتنوعة ، وقد تجاهل الانكليز هذه الحقيقة التي يشعر بها المصريون والسودانيون على السواء وتغتموا في خلق المقبات والذرائع لفصل السودان عن مصر والاستبداد في السيطرة عليه

ومن جملة ذلك تشجيع بعض الطامعين في المناصب من أبنائه وتآليهم ضد مصر
وتصورهم اياهم أصحاب الشأن والمصالح الحقيقية الذين يجب أن يكون رأيهم
الاعتبار الأول لما اعتادوا أن يفعلوه في كل نكبة بهم . ولقد اشتركوا في الحملة
التي ذهبت لاختفاء الثورة المهدوية باسم مصر ثم أرغموا الحكومة المصرية على
التوقيع على معاهدة تسجل لهم حق المشاركة في حكم السودان ، ولم يكتفوا بهذا
فقد ظلوا ينتصرون نصوص هذه المعاهدة في كل فرصة ومناسبة حتى انقلب الامر
رأساً على عقب حيث قضاه حق مصر وسلطانها وأصبحا خيراً على ورق في حين
غداوا هم المستبدون في حكمه المتسلطون على مرافقه .

ومن أسخف ما يضحك من ذرائعهم تكرارهم لنعمة رغبته في أن يكون
للسودانيين الحق التام في الاستقلال وتقرير المصير وواجبهم بوفاء وعودهم لهم
بذلك وعدم موافقتهم على بسط مصر لسيطرتها على السودان لتستعمره . . . وقد
تفننوا في اذاعة هذا المعنى في العالم وتلقينه للسودانيين والظهور بمظهر المدافع عن
حرية السودان واستقلاله وابعاده عن الاستعمار المصري مع ما هو واقع حالهم من
التحكم والتصرف فيه وتسلطهم على جميع مرافقه . ومع هذا التظاهر بالحرص على
حق السودانين في تقرير مصيرهم فقد رفضوا تحدي مصر والسودان معاً بأجراء
الاستفتاء وتواروا وراء نضج السودانين ومساس الحاجة الى عشرين سنة أو
عشر أخرى على الأقل ليتسكن هؤلاء من التعبير عن رغبتهم غير خجولين من عار
احمال السودانين خلال الستين عاماً الفائتة . وهكذا ظل المنطق مسوخاً مشوهاً في
أفواه الانكليز الذين لا يباون بأي تناقض يدمغهم وخزي يخزيهم واغراق في السخف
والغارقة في سبيل تبرير خطيئتهم وأهدافهم .

— ٣ —

ولقد بادرت مصر بعد أن وضعت الحرب الثانية أوزارها ووضعت موائيق
هيئة الأمم التي تنص على ضمان السلام العالمي الجماعي وتهدف اليه ، وتقرر عدم
جواز وجود جنود عضو في الهيئة في أرض عضو آخر بدون رضائه الى مطالبة

الانكاز ببديل المعاهدة بما يتفق مع ذلك وأخذت تلح على وجوب جلائهم عن أرضها ورفع أيديهم عن السودان لثم الوحدة الطبيعية لوادي النيل ، وتذكر بما كان من موافقها وتضحياتها وتنوء بأن مصر الصدقة خير من الهتلة المهدوة . ولكن الانكليز عمدوا الى المراوغة والمداورة وأخذوا يملنون تمسكهم باحكام المعاهدة التي زعموا أنها عقدت ووقعت بحرية تامة والتي ما انتثوا ينقضونها من جانبهم في حين يعلمون قبل غيرهم أنها معاهدة قهرية عقدت ومصر تحت احتلالهم وسيطرتهم ولم يكن لها مناص منها ولا اختيار فيها .

وقد جرت مفاوضات طويلة ومضنية بين مصر والانكليز في هذا الصدد حتى بدا في وقت ما ان هؤلاء اعترزوا مسايرة مصر بعض الشيء حيث أعلنوا سنة ١٩٤٦ استعدادهم للجلاء عن مصر دون قيد او شرط في مدة تنتهي عام ١٩٤٩ وموافقتهم على وحدة مصر والسودان تحت التاج المصري ، ولكنهم لم يلبثوا أن نكصوا على أعقابهم كعادتهم . وشكت مصر أمرها الى مجلس الأمن وأدلت بالحجج القوية المدعمة بالأسناد ورفعت صوتها قوياً داوياً بطلب خروج الانكليز التراصن من أراضيها وحققا التام في ذلك وسقوط المعاهدة وبطلانها بعد ما قامت هيئة الأمم ونقضت من قبلهم بمختلف الأساليب فلم يكن لشكواها أثر إيجابي لأن المجلس وهيئة الأمم قد أصبح أداة انكليزية اميركية تتحرك بإشارة اميركا وانكثرا ولا تقف موقفاً مناقضاً لما تريدانه او تريان فيه مصلحة لهما من قريب أو بعيد . وكل ما كان منه أراء صرخة الحق الداوية أنه نصبح باستئناف المفاوضات واستنفاذ الجهود في سبيلها .

ولقد استؤنفت المفاوضات ثانية وظلت مستمرة نحو سنة ونصف فظل الانكليز يفتنون بالمطالب والمقترحات التي ترمي الى ابقاء احتلالهم وسيطرتهم العسكرية بالناوب من الاساليب .

ولما ظل موقف مصر قوياً في حدود طلبها الجوهرين ووصلت المفاوضات الى المرحلة التي لم يكن معدي فيها من الرفض الصريح أو القبول الصريح ورأى

الانكليز ان مانفتنوا فيه من المزاوغات والمقترحات استبقاء لجبل المفاوضات محدوداً
واباب الخداع مفتوحاً لم يعد مجدداً ، القى وزير خارجيتهم في البرلمان بياناً مطولاً
في شهر تموز ١٩٥١ أعلن فيه أنه لن يسع حكومته لإجاية مطلب مصر لأن من
حق السودانيين عليهم ضمان استقلالهم وحقوقهم في تقرير المصير ولأن واجب
نيابتهم عن الدومنيونات من جهة والدول الغربية من جهة أخرى لا يسمح لهم
بالتخلي عن مركزهم العسكري في الأراضي المصرية ، وانهم سيظلون متمسكين
باحكام معاهدة سنة ١٩٣٦ ومتعتين بما منحه من حقوق غير معترفين لمصر بحقوقها
في إقامتها من جانبها وغير عابئين بهذا الإلغاء ان هي أقدمت عليه وبأن بريطانيا لا
تستطيع أن تتخلى عن الوفاء بالتزاماتها الدولية اذا رفضت مصر بناء علاقتها معها
على اسس جديدة ، وأن مصر لتخضع نفسها اذا هي ظلت ان في استطاعتها أن
تقف موقف المتفرج المحايد اذا ما اشتبكت الحرب بين العسكريين المتناحرين وقد
خص قضية فلسطين وحضار مصر لاسرائيل بحيز كبير من بياضه اكد ما هو
معروف من المقاصد والنيات والسياسة المركزة التي كان الانكليز وظلوا يترسسونها
منذ البدء في قيام الكيان اليهودي في قلب بلاد العرب وتقويته وحمايته رغم أنوف
العرب وعواطفهم ومقدساتهم ودمائهم ليكون لهم نقطة ارتكاز ووسيلة تهديد
وتخويف في الشرق العربي عامة وحائلاً من الحوائل دون تحقيق أهداف
الحركة العربية .

ولم يكن بد لمصر من أن تقف الموقف الواجب فالقلى وزير خارجيتها في
البرلمان في شهر اغسطس ١٩٥١ بياناً مطولاً راثماً فند فيه حجج الانكليز وفضح
نواياهم ومقاصدهم ومراوغاتهم كما نوه بمكانتهم في قضية فلسطين ودمغهم بانهم
أساس الشر ومربوه وحاضنوه من أول عهده الى آخر ما وصل اليه من نتيجة
مشؤومة عن علم ونية ، واعتبر بيان الوزير الانكليزي إغلاقاً لباب المفاوضات فاعلن
عزم حكومته على الناء المعاهدة وإبطال مفعولها بما يترتب عليه عدم التعاون
البات بين مصر والانجليز واعتبار وجود الانجليز في مصر والسودان عملاً عدوانياً
من حق مصر مقابله بالمثل بما تستطيع .

وبيع الانكليز من هذا الموقف الجاد الذي وقفته مصر والعزيمة التي اعلنت
 اعتزامها فعمدوا أولاً الى الدس وأخذوا يقولون إن بيان وزير الخارجية المصرية
 لا يمثل رأي مجلس الوزراء وأن بين الوزراء معتدين لا بقرونه فكذبهم الوزراء
 ورئيس مجلس الوزراء وأكدوا أن البيان مجمع عليه ومعبر عن وجهة نظرهم
 ووجهة نظرة الشعب المصري كافة ، فعمدوا ثانية الى المراوغه في القول أن وزير
 خارجيتهم لم يقفل باب المفاوضات وأن تفسير مصر لبيان خطا ، وأرسل هذا الوزير
 الي رئيس وزراء مصر ووزير خارجيتها كتاباً خاصة يؤكد فيها هذا المعنى ويلح
 عليها بالامتثال في الخطوة التي أعلنوا عزمهم عليها . غير أن مصر التي تعرف أساليبهم
 الخداعية لم تتخدع هذه المرة فاقدمت على تنفيذ خطوتها حيث أعلن مصطفى النحاس
 رئيس الوزارة في البرلمان في ٨ تشرين الاول ١٩٥٦ الفناء المعاهدة والاتفاقات
 السودانية ، ووحدة مصر والسودان في الحاج وقدم مشاريع القوانين والتعديلات
 الدستورية المقترضة ، وحيث وافق البرلمان ثم الملك على هذه المشاريع باجماع
 رائع وحاسة قومية بالغة . وأخذ المصريون يتدافعون الى الجهاد ويؤلفون الكتابات
 التي كان يندمج فيها كثير من الشباب المثقف ، وأخذ عمال المعسكرات البريطانية
 المصريون الذين يبلغون نحو خمسين ألفاً ينسحبون من هذه المعسكرات ويشلون
 حركتها وحضنتهم الحكومة فدفعت لهم اجورهم وعينتهم في مختلف الاعمال
 الرسمية العالية ، وأثار الموقف توتراً شديداً أفقد الانجليز أعصابهم وجعلهم
 يرتاعون ويرسلون النجذات ويستعدون لحالة حرب مع المصريين ؛ وبدأ الاحتكاك
 بين المجاهدين المصريين والانكليز يقع في منطقة القناة ثم أخذ يتسع ويشدد حتى صار
 خطيراً في حوادثه وصفته ، واندججت الحكومة فيه بشكل ما حيث أخذ الاشتباك
 يتسع بين قوات بوليسها والقوات الانجليزية بسبب ما كان يبدو من هذه القوات
 من تصرفات باغية ضد السكان وحريلتهم وأموالهم وبضائعهم ، ولم يتورع الانكليز
 من اقتلاع الجازر البشعة في منطقة القناة وتوجروا هذه الجازر بتجزرة الاسماعيلية
 في ٢٥ كانون الثاني ١٩٥٢ التي استشهد فيها أكثر من مئة من البوليس وجرح
 أكثر من مئتين وأسروا نحو الف ودمر بالمداغ مبنى المحافظة وغيرها من المباني

الحكومية وغير الحكومية وكان رد فعلها شديداً جارفاً حيث قامت مظاهرات هائلة في القاهرة دمر وحرق في أنشائها كثير من الأماكن الانكليزية وغير الانكليزية وقتل فيها أكثر من عشرة أشخاص من الانكليز .

— ٤ —

ولقد كان من شأن هذه الغضبية المضربة المصرية أن يضطر الانكليز الى التراجع غير أنهم أثاروا دعايات خبيثة حول ما وقع في القاهرة من حوادث جعلت الناس يستظلمونها ويتسبون جرائم الانكليز في منطقة القناة وخاصة في بحيرة الاسماعيلية التي كانت ضحاياها وتدميراتها وحدها أضاعف أضاعف ما كان في القاهرة والتي كانت مظاهرات القاهرة رد فعلها الطبيعي السريع الذي لو لم يكن ووقفت مصر جامدة أزاء تلك الحيرة لسجل عليها العار والهوان ، واندمجت أقلام وأوساط مصرية في هذه الدعايات من حيث تدري ولا تدري انسياقا وراء الأحقاد الحزبية والشخصية مع أنه ظهر أنه كان لجواسيس الانكليز ومأجورهم ضلع في حوادث التدمير والتخريب استهدافا لما وقع فعلاً من البليلة والتشويش والدعايات الخبيثة .

وقلب كل هذا الموقف وبدلاً من أن يتراجع الانكليز عن موقفهم الباغي تراجعت مصر عن موقفها النضالي الرائع الذي كان هو وحده الكفيل بإرغام أنوف الانكليز .

ولقد كان المتظاهرون في مظاهرات القاهرة يهتفون ضد الملك وطغيانه واستمرار الفساد في الحكم وطاقوت الاقطاعية المالية والاسرورية فارتاع الملك من هذه المبادرة واتبع نصائح حاشيته وبطانته فوقف موقفاً كان من أسباب هذا التراجع حيث أقال وزارة الوفد التي تبنت الحركة النضالية معتبراً إياها مسئولة عما كان ضده في هذه المظاهرات ، واعتزم تحطيم الوفد . وقد قلبت في الدست بعدها أربع وزارات بسبب محاولة الملك تكليف الأمور وفق أهوائه ، فادى هذا الى ضعف مصر أمام الانكليز .

ولقد تغير هذا الموقف حقاً نتيجة الانقلاب العظيم الناجح الذي قام به الجيش المصري والذي اثرنا اليه في مناسبة سابقة ؛ حيث وقف قائد الانقلاب ومساعدوه البواسل موقفاً قوياً وبارعاً انكشف الانكليز فيه وسقط في أيديهم من جرائه ؛ لأن الجانب المصري اتصل برعماء السودان واحزابه وتقاخم معهم ووجد جبهتهم وأعلن موافقته التامة على حق السودانين في الحكم الذاتي وتقرير المصير ؛ وعهد الانكليز الى الضرب على وتر آخر هو حماية السودان الجنوبي من السودان الشمالي بعد أن ظفروا بضربون على وتر حماية السودان من مصر ، وأخذوا يدأورون ويراوغون في مراجعات بائسة ؛ وظل الجانب المصري يقف موقفه القوي البارع ويضيق الخناق ويسد المنافذ عليهم ، واتصل بالسودان الجنوبي وحصل على موافقة زعمائه على المنهج الذي اتبعه واعلانهم أنهم لا يخافون إلا الانكليز وان هؤلاء لم يفعلوا شيئاً لهم غير التجهيل والافكار والبؤس والحرمان إلى ان لم يجد الانكليز بداً من مسابقة الموقف فوقعوا مع الجانب المصري بعد مراوعات استمرت ثلاثة أشهر اتفاقية تتترف بوحدة السودان وحقه بالحكم الذاتي وتقرر مصيره بالاستقلال التام أو الارتباط مع مصر في شباط ١٩٥٣ على أن يتم هذا خلال فترة ثلاث سنين ينسحب فيها جيش ومصر وانكثرت وموظفوها وراقب عملية الانتخاب وتوسيد وظائف الحكومة للسودانيين وتنظيم قوة جيش وبوليس تتولى الدفاع عن السودان وحفظ أمنه لجان دولية .

وقد فر المراقبون الذين يعرفون أساليب الانكليز ومراوغاتهم واعتمادهم على الزمن من جهة ومطامعهم الواسعة في السودان وخاصة جنوبه ومشرعاتهم الاستثنائية والتمييزية والاستراتيجية فيه وجهودهم خلال السنين الطويلة في فصله عن مصر من جهة ثانية موافقة الانكليز بأنهم ساءروا الموقف الذي انكشفوا فيه ورأوا في موافقة مصر على استقلال السودان التام تخلياً عن دعوها ومطالبها في وحدته مع مصر قد يقدم في الفترة المضروبة . ومن الجدير بالذكر انه لم

يكذب بحف عداد الاتفاقية حتى أخذت تدبر من الانكليز وادار المراوغة والمداورة
 الباعثة للريبة والمؤيدة لرأي المراقبين حيث ألع وزير خارجيتهم وهو يعلن لمجلس
 العموم نياً توقيع الاتفاقية الى امكان انضمام السودان الى الكومونويلث الانكليزي
 اذا شاء بعد استقلاله مما فيه معنى الايجاء والتبذير بالرغم من ان هذا الامكان قد
 قد بحث في أثناء المفاوضات واستبعد رسمياً كما سجلته المحاضر ؛ وحيث أذيع خبر
 بميثاق بريطانية تقوم في السودان الجنوبي بشيئة مشروعات عظمى زراعية ومعديّة
 واستراتيجية ؛ وحيث أخذ الموظفون الانكليز في السودان وخاصة في السودان
 الجنوبي يضطهدون الذين أظهروا عواطفهم نحو مصر ووحدة السودان ورحبوا
 بالوفد المصري واعطوا توقعاتهم المؤيدة ؛ كما أخذوا يدسون أصابعهم المنيعة
 الريبة في مختلف المناسبات والمواقف للتوهين والتفرقة والافساد . وما زال
 المراقبون يتوقعون من الانكليز ما خبروه من أساليب اللبس واتهاز الفرض أو
 خلقها لمرقلة تنفيذ الاتفاقية أو تحويلها لاهدافهم الاستعمارية . وآخر ما فعلوه
 تأسيسهم منظمة جديدة في الخرطوم - عاصمة السودان - أطلقوا عليها اسم المكتب
 التجاري ، وحشدوا فيها موظفين بارزين من وزارة الخارجية ودائرة الاستخبارات
 الانكليزية المشهورة . وقد أخذ هذا المكتب ينشئ فروعاً له في مختلف أقاليم
 ومديريات السودان الشمالي والجنوبي ؛ ويجهز مكاتبه بالأجهزة الاسلكية المرسلّة
 والمستقبلة ؛ بحيث بدأ بصورة سافرة ملموسة أنه منظمة جاسوسية استعمارية قامت
 لتلعب أدوراً خبيثة في سبيل تلك الاهداف . . .

- ٦ -

وقد دعا الجانب المصري الانكليز بعد توقيع اتفاقية السودان الى تصفية
 مسألة قناة السويس والاملاء عنها وهي المسألة الجوهرية الثانية في القضية المصرية
 وتظاهر الانكليز بالنية الحسنة ودخلوا في المفاوضات مع الجانب المصري ؛ ومع
 تسليمهم بمبدأ الجلاء فانهم لم يلبثوا أن أخذوا يدأرون ويراوغون في موضوع صيانة
 قاعدة القناة ووجوب بقاء آلاف عديدة من الجيش الانكليزي باسم فنيين على أن
 يكونوا تابعين لحكومتهم لا إلى مصر ؛ مغلفين أن هذا أمر لا مندوحة عنه لامكان
 استخدام القاعدة للدفاع عن العالم الحر . . . ورفض الجانب المصري هذا لأنه

غنائف للغاية التي أعلنها بقوة وصراحة وهي الجلاء التام في أقرب وقت وبدون قيد وشرط ، والسيادة المصرية المطلقة والاشراف المصري الفعلي على القاعدة ؛ ولأن معناه استبعاد مصر في سبيل هذا العالم الحر . . . ؛ وقد لمس الجانب المصري في موقف الانكليز الاسلوب الاستعماري الماكر الذي صار طابعا لهم والذي يهدف الى ابقاء احتلاله للقناة أبدياً والذي يتفنن في خلق الاعذار والحجج في كل ظرف في سبيل ذلك ؛ وأخذ يستعد لكل احتمال وطارىء ، ويعلم عزمه على تحقيق تلك الغاية المقدسة بكل وسيلة مما تحمل في سبيلها من تضحيات ، وأخذ المصريون على اختلاف طبقاتهم وميولهم يرددون صدى هذا العزم ويعلمون استعدادهم لكل تضحية في سبيل تنفيذه . والحالة الآن والكتاب تحت الطابع شديدة التوتر بسبب الموقف الذي وقفه الانكليز ، وإن كان موقف مصر القوي الباسل يبعث في النفس الطمأنينة بأن الماكر الانكليزي لن يجدهذه المرة اثمرات التي كان يجدها من قبل .

ولقد عمد الانكليز الى دس الدسائس في الاوساط السياسية العربية لتوهين تأييد الحكومات العربية لمصر في موقفها القوي ازاءهم بتختلف أساليب الماكر التي اتقنوها . ولقد بدت بوادر هذه الدسائس فيما أخذ يقال من أن مصر تريد ان تجعل قضايا العرب الاخرى رهناً بقضيتها وأنها تريد أن تجر العرب الى موقف العداء والتضال مع الانكليز والمسيكر الغربي بتصلبها وتطرفها وسلبيتها ؛ ثم فيما أخذ يلحس في اوساط السياسة العربية من تردد وتهرب وتقد وتثرب ونشاط مريب . ولقد أدركت الحكومات العربية لحسن الحظ نتائج الماكر الانكليزي الخبيث فعقد وزراء خارجيتهم اجتماعاً في نطاق الجامعة العربية تروا فيه تأييد مصر في الجلاء التام غير المشد بأي قيد واعتبار قضية مصر من أهم قضايا العرب التي يجب أن تحمل حلاً كريماً وعاجلاً ، وكون الدفاع عن الشرق العربي يجب أن يناط بأهله المستعدين له والقادرين عليه ، وعدم جعله وسيلة من وسائل عدم الجلاء عن مصر أو تأخيرها . . .

ولقد كان عملهم هذا غاية الصواب ، وجاء في احسن الاوقات . غير انه يحتاج الى تأييد فعلي ولا يجوز ان يبقى في حدود القرارات التقليدية والكلامية . ومن واجب رجال الحكومات العربية ان يتفاهموا مع الحكومة المصرية بكل حد واخلاص على وسائل وتفصيل التأييد الفعلي وان يقدموا على تنفيذها بكل قوة وحرارة . ويجب ان لا يتخذه احد لتلويحات الانكليز والممسكر الغربي بحل قضايا العرب في غير نطاق حل قضية مصر او بدونها . فهذه التلويحات ليست الا وسائل كيدية تهدف الى توهين التضامن الواجب مع مصر وتفكيك عراة ، وليس فيها جد صادق ، ولن ينجح الممسكر الغربي الى التماسك في حل قضايا العرب الاخرى ويترك قضية العرب الكبرى اي قضية مصر بدون حل ، ويجب ان يتقن العرب ان حل قضية مصر هو المفتاح الصحيح لحل بقية قضايا العرب ، فان مصر اذا ما تحررت وقويت ستحمل لواء معركة حل القضايا الاخرى يدافع هذه القوة ومصالحها القومية التي تلي عليها قيادة الحركة العربية وزعامة الشرق العربي فضلاً عن العاطفة القومية التي لا يصح الشك فيها ؛ فعلى العرب حكومات وشعوباً ان يقفوا الى جانب مصر موقف التعاضد والتأييد الفعلي الصادق وان يحبطوا كل دسيسة او دعاية مريبة ، وبهذا فقط يمكن حل هذه القضية الكبرى ، ويحل هذه القضية تنبؤاً مصر مركزها اللائق كزعيمة للشرق العربي ، ويرتفع اعتبار العرب ووزنهم في اعينهم واعين العالم لما تتمتع به مصر من مزاي عظيمة بالنسبة للعالم العربي والعالم الاسلامي والعالم الاجنبي معاً ، ويندو حل القضايا العربية امس مثلاً . وعلى الواعين من العرب وخطبائهم وكتابهم وصحافيتهم ان يشتدوا في الدعوة الى ذلك .

ثانياً : القضية العراقية

- ١ -

وموقف الانكليز من العراق نفس موقفهم في مصر . فقد آرموا السيطرة عليه بحجة حفظ مواصلاتهم الامبراطورية الهندية ثم ظلوا متشبذين بها بعد

تفويض خيامهم وجلائهم عن هذه الامبراطورية ورغم عهودهم التي قطعوها
الملك حسين وقد حاولوا ان يجعلوا سيطرتهم عليه سيطرة استعمارية منذ ان
تمكنوا من احتلاله في اثناء الحرب العالمية الاولى. ومع انهم اضطروا الى التخفيف
من غلوائهم حينما ثار العراقي ثورته الالهية في سني ١٩١٩ و ١٩٢٠ ولاينوا
بعض الشيء ورضوا بقيام دولة عراقية ملكية ليصل بن الحسين فانهم ظلوا
يعيدون عن تلك الروح وكانت المعاهدة الاولى التي عقدوها لتحل محل الانتداب
انتداباً مقنعاً يخولهم ان يكونوا اصحاب الشأن في السياسة والجيش ودوائر
الحكومة ومشاريعها واقتصاديات البلاد وسياستها وأن يكون لهم قواعد وقوات
عسكرية فيها . ومع ان هذه المعاهدة عدلت بمعاهدة اخرى سنة ١٩٣٠ خففت
بعض القيود الا أن الانكليز ظلوا اصحاب الشأن في كثير من شؤون العراق
وخاصة في جيشه وسياسته ومشاريعه بنص وبدون نص ، كما منحتهم المعاهدة
قواعد في اكثر من مكان من العراق وحق تسخير مرافقه في اثناء الحرب وخطر
الحرب ، وجعله ممراً لجيوشهم في أي وقت وبقاء اساس التحالف العراقي
الانكليزي قائماً في اي تعديل يدخل عليها قبل انتهاء مدتها وهي خمس وعشرون
سنة وايجاب عقد معاهدة جديدة على هذا الاساس حينما تنتهي مدتها . وبعبارة
ثانية نصت على ضمان سيطرتهم بأي اسلوب كان الى اجل غير مسمى . ولم
يقصروا في نقض شروط المعاهدة كما اقتضت مصالحهم وخططهم ذلك على جري
مأكوف في اعتبار انفسهم احراراً في نقض عهودهم مع العرب في حين يتشددون
كل التشدد في التمسك بها حرفاً وروحاً بالنسبة للالتزامات التي رقت فيها
على العراق .

وقد دسوا اصابهم في ظروف وحوادث كثيرة بين طوائف العراقي واجناسه
وأقلياته حيث شجعوا بعضها على التمرد وخوفوا بعضها من بعض لتظل حالة
العراق الداخلية مرتبكة وشؤونه متعثرة بسبيل توطيد سيطرتهم وخططهم
الاستعمارية ، وكما طالب العراق بتعديل المعاهدة ابتغاء التفكك من برائتهم
واحتلالهم تفننوا في خلق العراقي وبث الوسوس والذسائس للحيولة دون

تحقيق ذلك ، وقد أوجدوا في اذهان القاطنين على رأس العراق قناعة بان كياناتهم
قائم بهم . وبأن جميع الشيوعيين فاعز فاه ليلتهم اذا هم نقضوا بدهم منهم
فاشتمدوا بالتمسك بهم والتوافق معهم والاندماج في سياستهم .

- ٢ -

واذا كان العراق يبدو اليوم جامداً بعض الشيء ، ازاء هذا الواقع المرير
فليس معنى هذا انه مطمئن الانكليز هو الآخر ومندمج معهم او غافل عن مدي
معاملتهم ونياتهم الاستعمارية المريبة . فجمهور الشعب العراقي وفي مقدمته معظم
الزعماء والاحزاب والطبقات النيرة والشباب ناظم اشد النقمة على الانكليز توان
اشد التوقان الى تحرير بلاده من ربقتهم ، وفي كل مناسبة يسمع العالم من رجالات
العراق على اختلاف ميولهم تصريحات قوية معربة عن هذه النقمة وعمما يخلج في
الصدور من عواطف ومطامح قومية آية ، وللعراق الى هذا مواقف فضائية
رائعة ضد الانكليز ، وقد كانت ثورته الكبرى سنة ١٩١٩ في التي انقلبت من
مصدر رهيب واثاثه شخصيته الاستقلالية وقسطاً كبيراً من حقوقه وحرياته .
وقد حاول سنة ١٩٤٠ ان يفتنم فرصة الحرب الثانية وارتيك الانكليز الشديد
في ظروفها فكانت ثورته الكبرى الثانية برعامة رشيد عالي الكيلاني ونخبة من
ضباط الجيش سجل بها حركة قومية خطيرة تشبه في كثير من ظروفها واهدافها
حركة الملك حسين ابان الحرب العالمية الاولى بقطع النظر عن سيرها ونتائجها .
ومما كان شأن الانكليز قبل الحرب العالمية الثانية فان هذا الشأن قد ضعف
كثيراً بعدها وما زال يشتد ضعفه ، وضار الفكك منهم اكثر امكاناً . فمن الواجب
والحالة هذه ان تشد الدعوة الى نبذ الجرد البادي اليوم في العراق والذي
يتناقض مع ما عرف عنه من اباء ، والتحرك من جديد حركة قومية في سبيل
الفكك من اغلال المعاهدة والتحالف الايدي الاجباري والتظاهر من احتلال
الانكليز ومطاراتهم ومدخلاتهم السافرة وغير السافرة التي كانت وما زال سبباً
لتعثره في سبيل الحياة القوية الكريمة الثلاثة بياقه ومكانته في الكيان العربي
العام وما سجله من ضعف غراء في مواقف فضاله معهم وبما يشوقه العرب منه

في صدد نمو قوتهم وتكاملهم وتحقيق اهدافهم العليا ، وان لا يظل جامداً تجاه ما هو فيه من مظاهر الضعف والاغلال .

وعليه ان يعتبر بجارته ايران التي هي اكثر جواراً وبالتالي اكثر تعرضاً لبيع الشيوعيين ثم التي كانت في رتبة الانكلز الاستثمارية الشديدة ، حيث وقفت منهم موقفاً راثماً استردت به اعتبارها وكرامتها وخلصت به بلادها من استثمار المظليع فضربت اقوى الامثال على ما يجب ان يفقه الشعوب الالية من المستعمرين المستغنيين . ولقد تخلصت سورية ولبنان من برائن الافرنسيين القوية وتمتعا باستقلالهما التام الذي اشعرهما بالكرامة وفتح امامهما طريق الانطلاق الى الحياة العزيزة دون ما عائق ولا شائبة ، ويساعما أقل تعرضاً لذلك البعيع الذي يخرف به العراق ، وليس العراق اضعف منها ولا اقل جذارة للحياة الاستقلالية الكاملة ، وفيما حصلا عليه حافظ يجب ان يحفز العراق ايضاً بكل قوة وشدة .

وعلى العراق ان يذكر الى هذا انه سيظل موضع غمز وموطن ضعف في المحسوسة العربية مادام راسخاً في اغلال المهادنة وما تليه من توجهات وإمحاءات وتهويلات كانت وما تزال سبباً لتعثر سيره وتكامله السياسي والاقتصادي والقومي ، ولكثير من الاحداث الالية التي مرت بالامة العربية . ثم سبباً لتعسير الاتحاد العربي وعلى الاقل اتحاد الهلال الخصب الذي من شأنه ان يكون منه دولة متحدة قوية يبلغ تعدادها عشرة ملايين ويتسع فيها الافق السياسي والاجتماعي والاقتصادي لسكان هذا الهلال الذين يقاسون ما يقاسون من ضيق وعناء وخوف بسبب عدم تحقيقه ، وسبباً كذلك لتعسير تشكيل جبهة عربية قوية صارمة متضامنة قلباً وقالباً تقف للعدو العادر الذي انشب اظافره في الزاوية الجنوبية من هذا الهلال الموقوف الواجب الذي يقبل به العار ويسترد الجزء الشهيد الذي كان للانكلز اليد الطولى فيما حل فيه وفي العرب بسببه من دمار وهلاك والذي ينسب الى العراقي ورجاله حاجة نصيب كبير من مسؤوليته المادية والأدبية ، وعلى العرب ان يتضامنوا مع العراقي في الموقف الذي يجب ان يفقه حتى يخلص من اغلال هذه

المعاهدة المشؤومة وتعهد له سبيل الانطلاق الحر الكريم . ولا ترتب في ان العراق اذا تحرك حركة قوية سينال التأييد القوي الشامل من العرب ، وسيحقق ما تصبو اليه النفوس من آمال ومطامع .

وثالثاً : القضية الاردنية

- ٩ -

ومركز الانكليز في الاردن فلم منذ امله على العذر والحيانة . فالمنطقة كانت متصرفية تابعة لولاية سورية وفلت كذلك طيلة عهد الحكومة الفيصلية في الشام ١٩١٨ - ١٩٢٠ ولكن الانكليز كانوا يترسمون السيطرة عليها وعلى فلسطين معاً ، فهي متصلة بحدود الحجاز ونجد والعراق معاً وفي حدها الثاني ميناء العقبة وخليجها على البحر الاحمر وهي طريق خطوط النفط ، وكل ذلك متصل بمصالح الانكليز الاستعمارية والاقتصادية والسياسية والعسكرية كما هو واضح . وقد ساءموا الافرنسيين وضغطوا عليهم بتشجيع العرب ضدكم مؤقتاً لما اضطرهم الى الموافقة على التجلي لهم عنها وحينئذ غدروا بالعرب واطلقوا يد الافرنسيين في سوريا فسارع هؤلاء الى نصب استقلالها ... وهكذا دخلت هذه المنطقة في نطاق انتدابهم حينما وزعت الانتدابات التي كانت مظهر غدرهم بالعرب ومؤامرتهم عليهم . وقد قاموا في البدء بمحاولات محمية في سبيل تركيز شؤون المنطقة الحاية ثم انتهوا الى الاتفاق مع عبد الله بن الحسين على ان يكون على رأسها . وقد حرصوا على ان يكونوا المنصرفين الحقيقيين القابضين على شؤون الدولة السياسية والمالية والعسكرية في هذه المنطقة وان يكون الستار الذي يسترهم عن المسرح رقيقاً ، بل لم يكن في الحقيقة ستار حيث كانوا بارزين على هذا المسرح في اكثر الظروف والمشاهد . وقد عدلت المعاهدة المفقودة بينهم وبين شرق الاردن وخففت فيها بعض القيود وغدا مظهر الدولة الاردنية اكثر بروزاً غير انهم ظلوا أصحاب الشأن الكلي ظاهراً ومن وراء الستار في مختلف الشؤون

السياسية والمالية والاقتصادية والعسكرية . وقد اقنعوا القائمين بالأمر فيها بأن
كيانهم قائم بهم فاشتدوا في التحسك بهم والتواثق معهم والاندماج في سياستهم
اندماجاً تاماً كما ضمنوا بقاء احتلالهم وسيطرتهم الى اجل غير مسمى .

- ٢ -

ومن المؤسف ان قضية الاردن تنطوي على عناصر تجعلها أعسر حلا من
من قضية العراق ، فهذا الجزء من بلاد الشام هو في حد ذاته أفقر من أن يكفي
بنفسه ويقوم فيه كيان دولة متأسكة ؛ واستيلاء اليهود على الجزء الأكبر من
فلسطين جعل هذا الفقر أشد وأبلغ . وقد كانت الرغبة في قيام كيان دولة فيه
مهما يكن هذا الكيان من الاسباب التي كانت تجعل عاهله الراحل يشتد في الاندماج
في سياسة الانكليز ومشروعاتهم التي كان من ضروراتها اتخاذ شرق الأردن
قاعدة لحامية لهم . وبدلاً من أن تكون هذه الحامية انكليزية تكلفهم عشرين
مليون جنيه في السنة جعلت عربية مع استبقاء زمامها من كل ناحية في أيدي انكليزية
بحيث تكون عربية اللون فقط ، فتوفر بذلك على الخزينة الانكليزية أكثر من
ثاني ذلك المبلغ الباهظ ، وخدع الناس بالقول إن للدولة الاردنية جيشاً قوياً ،
واندمج القائمون بأمر هذه الدولة في هذا الخداع ، وظلوا مندمجين فيه برغم ما
ظهر في ظروف حرب فلسطين من الحقيقة المرة الأليمة التي لها جميع الناس
وما يزالون مندمجين فيه مع بقيتهم وهم غير أغنياء بأن هذا الجيش لن يحرلنا كئناً
ولن يملق رخصة في أي وقت وفي أي موقف إلا بأمر الانكليز ووفقاً لا نغليه
سياستهم العليا التي هي ضد كل قضية عربية قومية وبميدة على طول الخط وضد
قضية العرب الكبرى خاصة وهي قضية فلسطين والتي تملي عليهم بقيا كيان
يهودي قومي وبفائه قوياً ليكون سرطاناً فتاكاً في جسم العرب ؛ وفي كل يوم
يقوم الشاهد على صحة ذلك وذلك بقطع النظر عما يمكن ان يكون في هذا
الجيش من ضباط وجنود يحسرون بالحس العربي ويؤمنون لآمتهم القوة والمجد .

ومع كل هذا الواقع الصادق الذي يلحسه ويتيقنه الناس جميعهم فإن الانكليز والذين اندمجوا معهم وقاموا على أمر هذه الدولة صوروا قيمة وجود الانكليز وما يدفعونه من مخصصات لهذا الجيش نعمة وأرادوا أن يوقروا في أذهان الناس أن هذا وذلك دعاية لكيان هذه الدولة دفاعياً واقتصادياً من حيث حمايتهم من المدوان اليهودي ومن حيث كون المال المدفوع يشكل أكثر من نصف أرقام موازنة الدولة، ويفيد أهلها في صورة رواتب الضباط والجنود العرب والنفقات المحلية الأخرى؛ مع التنبيه على أن نصف ما يمن به الانكليز من مال يعطونه باليمن وبأخذونه بالثمال مقابل لوازم الجيش المتنوعة التي تجلب من بلادهم. وهذا فضلاً عما يتناوله عشرات ضباطهم الذين يحسبون بزمام هذا الجيش من مرتبات ضخمة يقدرها المعارفون بربع مرتبات الجيش. ومما ذكر في البرلمان الأردني أخيراً دليلاً على ذلك أن راتب قائمقام انكليزي في الشرطة هو ٢٦٥٤ ديناراً وأن هذا المبلغ يوازي رواتب خمسة قائمقامين أو ٤ جندياً من العرب؛ ومع هذا فالانكليز يستعبدون البلاد بهذا المال الذي ينفقون أكثر من نصفه على ضباطهم وسلمهم، والذين يتولون أمر البلاد يرون أن هذا المال ثمين معقول لذلك الاستعباد وببرونه ويحاولون أن يظروه كنعمة من نعم الله على هذه البلاد؛

ومن المفارقات أن المملكة الأردنية وقعت معاهدة الضمان الجماعي وقائد جيشها والقابضون على زمامه من الانكليز وبقيّة ضباطه خاضعون لهم بطبيعة الحال؛ وحينما يراد تنفيذ هذه المعاهدة أو الحركة في صددها تنفيذها سيكونون هم أو الخاضعون لهم البائسين عن هذه المملكة في المجلس العسكري الأعلى والأجانب العسكريّة الأخرى؛ ولعل هذه المفارقة هي عقدة هذه المعاهدة وسبب بقائها حياً على ورق إلى اليوم أو من أهم العقدة والأسباب؛

— ٣ —

وعلى كل حال فالانكليز مطمئنون كل الاطمئنان في شرق الأردن، ويعتبرونه من أقوى مراكز استقرارهم في الشرق العربي؛ ويعدونه ليكون عوضاً أو جزءاً

من عوض عن قاعدة قناة السويس في الوقت نفسه ؟ ولا سيما إنه ذو مركز ممتاز لأن حدوده متصلة بسورية والحجاز والعراق والبحر الأحمر ، وهم لا يألون جهداً في الحيلولة دون أي شيء يساعد الأردن على تحسين أحواله السياسية والاقتصادية تحسيناً أساسياً ليطولوا قابضين على خناته وجاعليه غير مستطيع أن يستغني عنهم في حال . ولقد بدا لاهله الراحل في أخريات أيامه أن يقيم بينهم وبين العراق نوعاً من الاتحاد فتدخلوا بإساليبهم المأكورة وعرفلوا المسمى لأنهم حسبوا كما يبدو أن مثل هذا الاتحاد سيكون سبباً لاتساع مجال التضامن والتوافق بين أهل البلدين الذين يضمرون لهم أشد العداوة والنقمة ويتوقون إلى التخلص من ربقتهن ، ثم لاحظوا أن مدة معاهدة الأردن الباقية طويلة تخوّلهم الاستمتاع الحر في المنطقة بينا مدة معاهدة العراق على وشك الانتهاء ، وقد ينشب بينهم وبين العراق نضال في سبيل تمديدتها أو تجديداتها من الأفضل لهم أن يكون الأردن بعيداً عنه . . .

وانت قامت حركة قوية في العراق والأردن معاً بعد ارنحال العاهل في سبيل تحقيق الفكرة الاتحادية فيما بينهما ، ومع أن أهل الأردن يفضلون الاتحاد مع سورية وهو الطبيعي أكثر فانهم يحمسوا لحركة الاتحاد مع العراق ظناً منهم أنها الأسرع حصولاً بسبب تشابه الحالة بين البلدين من جهة سياسية وأسروية ، ورأوها الوسيلة الممكنة الوحيدة لانقاذ بلادهم من حالتها الاقتصادية التي هي في أشد حالات السوء والانهدام فتدخل الانكليز وعرفلوا المسمى كذلك بعد أن كان يظن أنه وشيك النجاح . واندماج القاطن على أمر هذه الدولة في العرفلة بل جعلوا زمامها في أيديهم ظاهراً بحجة الدفاع عن العرش والكيان وبحجة أن العراق لن يستطيع حماية الأردن كالانكليز ولن يعرض على ميزانية الدولة الاجزاء من مدفوعات الانكليز لتفقات الجيش وحينئذ ينهار هذا الجيش وتهاجر قوة الدفاع عن الأردن ويكون لقمة سائغة لليهود برغم ما في هذه الحجة من مفارقات ومغالطات ؛ لأن العراق كالأردن مرتبط بمعاهدة مع الانكليز ،

ولأن معاهدة الانكليز مع الاردن التي بموجبها يدفع الانكليز نفقات كتبتهم والتي يترتب على الانكليز بموجبها الدفاع عن الاردن باقية ، ولأن الكميات العزيم ايضاً باق وكل ما كان يراد هو قيام اتحاد بين دولتين في الشؤون الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدفاعية مع احتفاظ كل منها بكيانه وسلطانه الذاتي، مما فيه دليل حاسم على ان الانكليز هم العقبة الحقيقية التي تقوم في سبيل هذه الحركة الضرورية . ومن المؤسف ان بعض الجهات العربية اندجحت في هذه العرقلة مندفة وراء الاعتبارات الشخصية والاقليمية فقويت وأدى ذلك الى جحوظ الفكرة . ومن العجيب ما قيل في سبيل احباط المشروع انه مشروع انكليزي في حين ان القائلين يدركون حتماً انه لو كان كذلك لما وقف اي عائق دونه لأن الانكليز الكلمة النافذة في الاردن والعراق ، ولأن هذا الاتحاد مما يتعناه اهل الاردن والعراق ! ولو كان كذلك لما جراً على معاكسته الذين عاكسوه من اولياء الامور في الاردن ، بل ولكانوا أقوى الناس اندفاعاً فيه ، ولم يقفوا الموقف الذي وقفوه إلا تنفيذ الوحي الانكليزي ...

ولقد بدت امارات تدل على احتمال نقل بعض قوات الانكليز من قناة السويس الى الاردن كجزء من تدبير مسألة الجلاء . ومع ان اليهود منذ اربع سنين وهم يمتدون على حدود الاردن على ما ذكرناه قبل فقد رأينا القائلين على امر الاردن يسارعون بمناسبة عدوان جديد وقع في هذه الظروف الى مطالبة الانكليز بتنفيذ معاهدة الدفاع وحماية الحدود الاردنية من العدوان اليهودي ، وسارع هؤلاء الى القيام ببعض المساعي السياسية المزيلة ثم اعقب هذا زيارة قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط الى الاردن واذاعة عن ضرورة جلب قوات ومعدات انكليزية جديدة الى الاردن لتقوية وسائل الدفاع والاستعداد لرد العدوان اليهودي مما جعل المراقبين يربطون اطراف هذا الحادث ببعضها ويرون فيها اثرًا من الايماء الانكليزي لتبرير اتخاذ الاردن قاعدة أو جزءاً من قاعدة عوضاً عن قناة السويس ، ولاظهار حاجة الاردن الماسة الى حماية الانكليز

ووجودهم في ظرف اشتدت فيه مطالبة مصر بحلهم عن أرضها !
ومن المضحك المبكي ان الحكومة الانكليزية اتخذت شكوى الحكومة
الاردنية ومطالبتها بتنفيذ المعاهدة وسيلة الى اسداد النصح لها بمقد مؤثر عال
بينها وبين اليهود الهذلة الموقف وتسوية الخلاف ، لان الانحاء لم يكن بسبيل
عمل مجد وانما كان بسبيل هدف استعماري وسياسة انكليزية عليا .

— ٤ —

وما قلنا بالسمية للعراق نقولها هنا المضأ ، فان الفئات الواعية في الاردن غير
راضية عن هذا الواقع المرير ، وثاققة اشد النقمة على الانكليز وراغبة اشد الرغبة
في الخلاص منهم . وقد أثبت هذا في مواقف عديدة قبل الحرب العالمية الثانية
وبعدها ، وبما لا ريب فيه ان هذه الرغبة وتلك النقمة اشد الآن منها قبل نكبة
فلسطين لان القسم العربي الذي ضم من فلسطين الى الاردن اشد حقداً ونقمة
بسبب تاريخ الانكليز مع أهله ثم بسبب النكبة الكبرى التي حلت بفلسطين والتي
كان للؤم الانكليز وغدرهم وكيدهم اكبر الاثر فيها . وكل ما في الامر انهم
عاجزون عن الاضطلاع بعبد نضال قوي مجد ضدهم خلافاً للعراق ومصر لقلة
عددهم وضعف وسائلهم ولشدة قبضة الانكليز على اعتاقهم ثم تلويهم من نكبة
جديدة ينكبونهم بها .

ومما يمكن من امر هذه الخصوصيات انني تيسر حل القضية الاردنية وتخليصه
من ربكة الانكليز فان الواجب القومي يقضي على العرب أن لا يرضوا بهذا
الواقع المرير . فان وجود الانكليز في الاردن واعتباره نعمة وضرورة هما فضلاً
عن ما فيها من وصمة وعار في جبين العرب فطة ضعف شديدة جداً في كيانهم
السياسي حاضراً ومستقبلاً ، وعثرة كأداء في سبيل تقدمهم نحو التكامل والقوة
والوحدة وبالتالي في سبيل أهدافهم العليا ، ولا سيما إن مركز الاردن ذو صفة
استراتيجية عربية خطيرة لاتصاله كما قلنا بسورية والعراق والحجاز ومصر .
وان من الواجب عليهم ان لا ينوا في مناوئته وازالة ومديد العون المادي للاردن لجملة

قادراً على الاستغناء عن مساعدة الانكليز المسمومة بها كأن في ذلك من التضحية؛ ونحن على يقين تام بأن معظم الشعب وفي مقدمته الفئات الواعية مستعدون للتجاوب مع كل حركة تحريرية . وقد يجعل نجاح مصر المأمول في قضيتها هذا العسر يسراً ، وقد ينسر هذا العسر فكك العراق الذي هو اقرب مثلاً حيث يفتح الباب لاتحاد سوري عراقي يسعى لتخليص الاردن وضمه اليه . وقد تكون سورية اولى من يضطلع بذلك الواجب ؛ لأن الاردن سوري في جغرافيته وطبيعته وتاريخه القديم والحديث ولأن سوريا اكثر من يتأثر من قيام هذا الواقع الذي هو اشد نقاط الضعف في سورية الطبيعية او سورية الكبرى التي يجب على الدولة السورية الحرة المستقلة تحقيق وحدتها . وسورية بإمكاناتها الحاضرة وعندها الجديد القوي وما بدا فيها من حيوية وطموح قومي تستطيع فيما تعتقد ان تضمن للاردن الحماية والدفاع وتحمله في غنى عن معاهدة الانكليز وكسيتهم العربية اللون وما يمنون به من مال هو في الحقيقة غل غليظ في عنق الاردن وسورية بل وسائر البلاد العربية ؛ بل وانها لا قدر على هذا من الانكليز الذين عودونا على ان لا امان ليهودهم وموائيقهم وانهم غادرونها حينما تولى عليهم سياستهم العليا القدر دون حياء ومبالاة ؛ وان الاركان عليهم في حماية الاردن من اليهود عيث كل العيث ؛ وانا لأأمل ان يدخل رجال العهد في سورية هذا في مناهيجهم المستعجلة وان يعملوا ما وسعهم العمل حتى يحققوه فيحطموا بذلك غلا غليظاً في عنق جزء عزيز من بلادهم مهدداً دائماً بغدر العدو المشترك وليس هو بحياً في حقيقة الامر .

ولقد جاء خطاب تشرشل رئيس الحكومة البريطانية التي بينها وبين الحكومة الاردنية معاهدة دفاعية والذي القاه في مجلس العموم في شهر مايس - والكتاب تحت الطبع - والذي تننى فيه تحقيق غاية الصهيونية العنصرية - وهي كما يعلم هو قبل غيره دولة اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات - مؤيداً خطيراً وواجلاً لما نقول ، ونذيراً قارماً للاردن خاصة وللعرب عامة بسوء نية هذه الحليفة

الماكرة الفادرة وعدائها السافر الوقح للعرب ، وهو ما يقوم عليه الدليل كل يوم وفي كل مناسبة .

رابعا قضايا العرب الاخرى مع الانكليز

- ٩ -

ولا تنتهي مشاكل العرب مع الانكليز في مصر والعراق والاردن ، فانهم اصحاب مركز ممتاز ويد طولى في الامارات المنتشرة على سواحل جزيرة العرب كالكويت والبحرين وقطر وعمان ومسقط وحضرموت ولحج وعدن الخ ولقد ترسموا السيطرة على هذه السواحل العربية منذ أوائل القرن السابق بحجة مواصلاتهم الامبراطورية ايضا ، ثم غدت الوسيلة غاية في ذاتها هنا كذلك ، وخاصة بعد ظهور ما ظهر من بنايع النفط الغنية فيها . وهم الآن اصحاب السيطرة التامة في هذه الامارات مباشرة ومدورة . وقد أفنعوا القاتلين على رأسها بان كيانهم قائم بهم فاشتدوا بالتمسك بهم والتواثق معهم بل والاستسلام لهم استسلاماً تاماً .

وما لاريب فيه أن بقاء هذه السواحل في ربة الانكليز واستقلالهم عقبه كأداء في سبيل استكمال كيان العرب واستقلالهم وأهدافهم وتوثيق التضامن الاقتصادي والاجتماعي والسياسي والدفاعي بين مختلف بلادهم . وأن من واجب رجال العرب ان لا يظفروا مغفلين هذا الامر وتاركين حبله على غاربه ، وتطور الانهال واتساع أفق الوعي العربي العام مما سوف يساعد على نجاح أي خطوة تخلفي الى معالجته .

وإذا كانت الظروف الحاضرة لا تيسر مجال الجهد القوي لتخليص هذه البلاد من الانكليز فان من الممكن والمفيد معاً أن تسعى الحكومات العربية لأدخال هذه الامارات كخطوة أولى وعاجلة في نطاق الجامعة العربية الذي اتسع لاجتماع دول مترابطة مع الانكليز مع دول حرة من الروابط . ومما يكن هذا النطاق

فانه رمز لاجتماع شمل العرب ووحدة مصالحهم ومشاكلهم ؛ وفي ادخال هذه الامارات فيه إدخال لها في نطاق المجموعة العربية العامة التي هي الآن مع الاسف بمثابة المنزلة عنه ؛ فاذا ما دخلت فيه اندمجت بطبيعة الحال في الحركة العربية الحديثة العامة سياسياً واجتماعياً وثقافياً وروحاً ؛ وحينما يتم هذا يفتح المجال لخطوات جديدة أخرى ؛ ولا سيما اذا حلت عقدت القضية المصرية ثم القضايا العراقية والاردنية والفلسطينية وقويت حركة الدعوة الى الاتحاد العربي بين الدول العربية وفق ماشرحتاه في البحوث السابقة .

ولا يكتفي الانكليز بما تنشب مخالبهم فيه من الاقطار العربية . فهم الآن يبذلون جهودهم ، ويتفننون بالسياسات مكرهم وإغرائهم وضمطهم وترهيبهم وترغيبهم في سبيل انتاجها في ليبيا المملكة العربية الجديدة ليكون لهم في شؤونها السياسية والعسكرية والمالية المركز الممتاز ولتكون لهم فيها قواعد عسكرية أيضاً على غرار ما لهم في المملكة الاردنية من هذا وذلك مستغلين حداثة نشؤها وعسرها المالي وحاجتها إلى العون ، ونجاحهم في جهودهم يجعل مصر خاصة بين فكي الكاشة من الغرب والشرق كما يزيد من عقد القضايا العربية وعراقيل تكامل الأمة العربية . فمن الواجب ان يتنبه العرب وخاصة مصر الى هذا الخطر الانكليزي الجديد ويحولوا دونه وذلك بمساعدة ليبيا وجعلها في غنى عن مساعدة الانكليز المسمومة .

وخامساً قضايا المغرب العربي

— ٩ —

إن المغرب العربي هو الجناح العربي العظيم للوطن العربي الكبير ؛ وسوف يظل هذا الوطن ناقصاً غير مستوف لقوته وكيانه وعزته مادام هذا الجناح مهيناً ولذلك فإن قضاياها على جانب عظيم من الخطورة وتستحق من العرب أكبر عناية واهتمام .

وهذه القضايا تنطوي على أشد ما يؤلم ويمض . فقد احتلت فرنسا بأساليب
البنغي والعدوان الجزائر ثم تونس ثم مراکش واختطت فيها خطة رهيبة غايتها
إلغاء المغرب العربي الإسلامي من الوجود الفاء واستبداله بمغرب أفرنسي نصراني ،
وسلبها الأقطار والتجويد والقضاء على المقومات الدينية والقومية والاجتماعية وإثارة
النصرة الجنسية والتقاليد الجاهلية في البربر الذين اندمجوا في العروبة والإسلام منذ
الأماد الطويلة وأصبحوا والعرب يؤلفون الشعب العربي الإسلامي المغربي لأجل
التفريق والتوحيد ، وعمدتها الإرهاب والتنكيل والتبشير والقذف بمئات ألوف
الأفريسيين العاطلين المتبطلين الذين ضاقت بهم بلادهم ، واختصاصهم بمخيرات
المغربي العربي وركانه وثرواته من أرض وزراعة وصناعة وتجارة ومعادن على
حساب أهلها ، وأعدادهم ليكونوا اليد المعاونة على تلك الخطة الرهيبة مما لا يكاد
يصدق وقوعه في أشد أدوار الظلم والفسوة والمهجة التي يمكن أن تكون
انعدمت فيها معاني الرحمة والإنسانية والعدل والمنطق ، ومما يشير إلى الشقاق والرافة
في أشد الفلج قسوة ويثبت أشد العجب من موت الضمير العالمي والسكوت على
هذه المآسي والجرائم التي تمتلئ منذ عشرات السنين على مسرح هذه البلاد الشهيدة
التي هي في سرة أوروبا وتكاد تكون في صميم نطاقها ، ومما يعد وصمة عار
لا تمحى في جبين الحضارة الغربية ومثلها ، ومما يجعل المرء يزداد يقيناً بخرافة
تلازم مبادئ الحرية وحقوق الإنسان لفرنسة وثورتها الكبرى تجاه أي بلد أو
شعب آخر ، كما يزداد تقية على أوثانك العرب والمسلمين الجغرافيين خاصة الذين
لا يفتأون دون ما نخجل يقررون ذلك التلازم ، ويشيدون بأنسانية فرنسة وعدلها
وحريتها ، ضالاً وقضلاً بينما يكون وجهها الاستعماري الكالح الكريه بارزاً
كل البروز وباشع مناظره في جزء كبير من وطنهم العربي منذ عشرات السنين .
ويزداد في غصة قصة المغرب العربي مع فرنسة وبشاعتها أن الاقطار المغربية كانت
مستعمرة باستقلالها آخذة بالسير في طريق الأمم التي سبقها في مضار الحضارة
فخصدت لها فرنسة بغيراً وعدواناً بدافع الطمع والجشع والسلب دون أي استفزاز .
ولقد كان لاسبانيا يد ناشبة في بعض أنحاء المغرب الأقصى (مراكش)

الشمالية فسارت هي الاخرى على غرار فرنسه في الروح والمنهج ومحاولة هدم الكيان
والتنكيل والقمع والارهاب والاستعمار .

- ٢ -

واقدر ناضل المغرب تضالاً قويا وتحمل في سبيل تضالته تضحيات عظيمة جداً
وما زال يناضل وي بذل التضحيات ضد هذا المصير الرهيب المبيت له في وطنه ودينه
ولسانه ومقوماته . ولقد كان ناضل قبل الحرب العالمية الأولى وبمعداه لوحده
تقريباً لأن فرنسه حرصت أشد الحرص على أن تقرب ستاراً حديدياً بينه وبين
المشرق العربي لمنع اتصالهما ببعضهما ؛ وشمل هذا الستار مظاهر الحركة الفكرية
أيضاً من صحف وكتب ونشرات وحظر ارتياد معاهد العلم الدينية والمدنية بل
لقد شمل الحجب حيث لم يكن يسمح للمغاربة أحياناً بأبائهم وحيثما كان يسمح لبعضهم
كان محتاط ليكنون المسعوج لهم من الانتصار والموانين وتحت اشراف موظفين
مخلصين للسلطات الافرنسية فضلاً عن تقييد السباح بقيود مالية وغير مالية تجملها
ضيق النطاق جداً .

ولقد خفت الغزلة بين المشرق والمغرب العربيين بعض الشيء أثناء الحرب
العالمية الثانية وبمعداه حقاً ؛ حيث استطاع بعض أحرار المغرب اختراق ذلك
الستار والقدوم الى المشرق ؛ فكان هذا عاملاً من عوامل انتباه المشرق لقضايا
المغرب ثم اندماج فيها شيئاً فشيئاً تعرفاً وتأييداً ورعاية الى أن بلغ ذروته في
في اندماج دول المشرق في القضايا المغربية واثارة هذه القضايا وتعضيدها في
الاعواسط الدولية ومطالبتها بحق الشعوب العربية في المغرب بالحرية والاستقلال
والكرامة وبذلك في سبيل ذلك شيئاً غير يسير من الجهود .

وتشجع مجاهدو المغرب و احراره في داخل البلاد وخارجها فضاعفوا جهودهم
وتضحياتهم بل واندمج معهم ملسكامرا اكش وتونس ففدت قضاياها بارزة على المسرح
الدولي وفي ميدان القتال الدموي في ان واحد .

ومن موجبات الأسف الشديد ان الاعتبار الاستعمارية والدولية قد حالت دون الوصول الى نتيجة مرضية للجهود التي قامت بها الدول العربية في هيئة الأمم ؛ ففرنسه أنكرت حق العرب في الشكوى من تصرفاتها الفاشحة وخططها الرهيبة ؛ والدول الكبرى الأوروبية والأميركية ومن بدور في فلكتها سارت فرنسه مساندة كبيرة ضاربة بميثاق هيئة الأمم ومبادئ الحق والعدل والانسانية عرض الحائط . وكل ما كان من أمر أنها كانت فاتحة الأبواب فيها لرفع الصوت واسماع الشكوى وتقبلها . وقد ظفرت بتأييد الكتلة الشرقية والدول الآسيوية والافريقية وكانت سبباً في بروز هذه الدول في المجال الدولي في الوقت ذاته كوحدة كما يفسح المجال للوصول الى نتائج حسنى في المستقبل .

ولقد أخذت فرنسه برعوتها وصلفها ومطامعها تهيء هذا المجال . فقد أمرتها هيئة الأمم بالسير في السبيل الذي بضمن للشعوب العربية حقها في الحكم الذاتي فلم ترفع راسها فاشتدت في القمع والتشكيل ، وأخذ الصراع يشتد بينها وبين مجاهدي المغرب . ولقد صار من واجب عرب المشرق حكومات وشعوبا أن يشتد عونهم المادي - الذي قصروا فيه الى الآن - فتصبراً شائناً - لهؤلاء المجاهدين الذين أثبتوا أنهم مستعدون لحمل العبء وحسم التصحيحات في سبيل تحرير بلادهم من اليد الباغية ، حتى تقوى حركة النضال وتتسع وتصبح شاملة لأقاليم المغرب الثلاثة ، وتستطيع أن تصعد أمام التشكيل والقمع الوحشيين . وهذا هو السبيل الوحيد الحق لأرغام فرنسه وغدو قضايا المغرب ملء السمع والأذنان ، وجعل الدول الاخرى لاتجهد مناصاً من الوقوف موقفاً مؤدباً الى نيل المغرب العربي حقه في الحرية والاستقلال والانطلاق . وعلى الواعين في المشرق العربي من كتبات وخطباء وسحافيين وأساتذة أن يشتدوا في الدعوة الى ذلك ، وأن يثيروا الى هذا حرباً متنوعة الجهات ضد كل ما هو أفرنسي من مصالح وبضائع وشركات ومعاهد وامتيازات في المشرق ؛ والعرب في هذا المشرق مستعدون للتجاوب مع هذه الدعوة إذا ما كانت قوية ومؤثرة ؛ ولا سيما أنهم خبروا جبروت فرنسا وظلماتها وسوء نواياها نحو العرب كافة ؛ والفرصة الآن مواتية لأن النضال قائم وقابل

الاتساع ؛ وأي احوال أو ضعف في العون سيؤدي الى انطفاء جذوته أو نحو ذلك
وسيكون هذا عاراً وأي عار على العرب اجمعين .

- ٣ -

وبعد فان قضايا العرب في المشرق والمغرب لن تحظى بالحلول المرضية الشريفة
التي يستكمل بها العرب استقلالهم وحريةهم وتجعلهم يسرون قدماً نحو أهدافهم
العليا من قوة ومجد وسؤدد واتحاد ومركز لائق بالمجاهد وخصائصهم الا اذا اقروا
وتضامنوا ؛ وان من الحقائق الاثنية أن استمرار تغليب الرؤساء والناسا السياسة
الاقليمية والاعتبارات الشخصية ، وبقاء الصلات بين دول العرب على ما هي عليه
من تخالذ وتنابد ومكايده ؛ وبقاء دستور جامعة الدول العربية كالجبر على ورق ،
وعدم خطوة جادة نحو شكل من اشكال الوحدة أو الاتحاد ، والتكاسل في
تنفيذ معاهدة الدفاع المشترك والتعاون الاقتصادي أو التباطؤ فيه من أقوى اسباب
ضعف العرب وموقفهم المتبلبل الحسير من قضاياهم القومية ؛ وان تشديد الدعوة
الى تبديل الحال بما هو الاصلح والاقوم في كل هذه الشؤون على لسان كل حزب
وهيئة وصحيفة ومنبر وأستاذ وكاتب وواعظ هو الآن اشد وجوباً من أي وقت
حتى لا يضيع وقت آخر على العرب فيما يجب عليهم عمله من اعداد وتنظيم قوى
وتجهز وتسليح وتوحيد قيادة ونظم وتوافق وتعاون تام في مختلف الشؤون
السياسية والاقتصادية والاجتماعية . وهذا وحده يستطيع العرب أن يصلوا الى
حلول مرضية لقضاياهم ، وأن يجعلوا وزنهم في الحال الدولي ثقيلاً ومتناسباً مع
عدهم ومركزهم وأن يواجهوا أي موقف غدر ومكر قد يفاجأون به ،
وأن يتغلبوا على العقبات التي تقف دون تقدمهم نحو الحياة الكريمة العزيزة
الكاملة .

وإن الشعوب العربية مستعدة للاستجابة بكل قوة الى كل تضحية تدعى اليها
وقادرة عليها ومرحبة بها ؛ فان الجراح التي احدثتها فيها الدول الباغية ناعرة وهي
تنتظر اليوم الذي تصدق فيه عزائم رجالها وساستهم ورؤسائهم ويحسن فيه

النوعية. ويجد الجدد. ولمسوف تستطيع أن تشن على الدول الباغية حرباً متعددة الجبهات ضد كل ماهو افرنسي وانكليزي واسباني من مصالح وبضائع وشركات وامتيازات ومعاهد ومنشآت كما تستطيع أن تقف منهم مواقف نضالية دموية قوية ، ولقد اثبتت هذه الشعوب انها مستعدة حيناً لتذهب عاطفتها وبثور حماسها للاقدام على اعظم الاخطار ، وتحمل أشد العناء والتضحيات بقلب ثابت وعزيمة صادقة حتى تضطر القوى الاستعمارية التي لاسند لها الا الباطل والقدر والبغى والتهويل الى الانعان في أحيان كثيرة . وهي مستعدة لتكرار الدور كلما دعت اليه كما أن في وسعها ان تتول افساح الاضرار بمصالح المستعمرين العظيمة في بلادها اذا مارست لها الخطط وقام على تنفيذها جماعات قوية في ايمانها وإخلاصها وهدفها القومي .

وإذا كان هناك من يقف عثرة في هذا السبيل من سياسة العرب ورؤسائهم متأثراً بالاعتبارات الشخصية والاقليمية رغم كل القوارع والنذر ؛ وإذا كانت هناك عقبات بسبب واقع بعض البلاد السياسي والعهدي والعائلي فإن على من يؤمن بما نقول وعلى من هو متحرر من مثل هذه العقبات ان يضطلع بالعبء ويتضامن مع امثاله وان لا يقف مكتوف اليد مستسلماً .

والحركات الانقلاية التي تمت في سورية ومصر والتي دلت على تشارك في الحافز والهدف والاسلوب والتي يقوم على شؤون البلدين نتيجة لها رجال أقوياء مخلصون مدركون للواقع العربي المرير وثائقون لأزماته جذرة بان تحفز هؤلاء الرجال للاضطلاع بهذا العبء فيكونوا رائدي الأمة العربية في هذا المجال .

(٥) مسئلة الدفاع المشترك

- ١ -

لقد غدت هذه المسئلة من مشاكل العرب السياسية التي تعرضهم لضغط وامتحان شديدين ؛ ما يجعلنا ان نفردها بحثاً خاصاً .

فالعسكر الغربي يزعم ويكرر أن هناك فراغاً دفاعياً في الشرق الادنى والاوسط ؛ وأن هذا الفراغ ثغرة ستفيد منها الروس في حرب عامة فيسيطر على هذا الشرق ، وأن من الواجب سد هذا الفراغ بتنظيم الدفاع عنه حتى يصمد أمام الغزو المحتمل ؛ ويريد هذا العسكر أن يشارك دول الشرق بقواته في سد هذا الفراغ . وبعبارة أخرى يريد أن يعتبر العرب أنفسهم أعداء لاروس وأن تربطوا بعجلته ويندججوا في جبهته لمحاربهم .

وأول خطوة خطاها هذا العسكر كان بتقديم مشروع من قبل بريطانيا وفرنسه وتركيه والولايات المتحدة الى مصر ليكون مقر قيادة الدفاع عن الشرق الاوسط قناة السويس ويكون في الوقت نفسه حلاً لمشكلة القناة القائمة بين مصر وبريطانية بحيث تشارك هذه الدول ومن سوف ينضم اليهم من دول الشرق الاوسط والكومونويلث في الشاء هذا المقروقات الدفاع التي توضع تحت أمره وتصبح التسهيلات والارتفاقات الخولة لانكليز في القطار المصري واجبة لهذا المثر وقواته . ولقد قدم المشروع في أثناء اشتداد حركة مطالبة مصر بجلاء الانكليز عن مصر على اعتبار ان هذا الجلاء سينشأ عنه الفراغ المزعوم أو يتسع به وأن من

الواجب ان يقوم نظام دفاعي آخر مقامه .
وقد كان واضحاً ان المشروع في بدء امره او هدفه من المداورات الانكليزية
التي تنوعت صورها خلال السنين الخمس الماضية مع مصر باسم الدفاع المشترك ،
حيث يبقى الانكليز في مصر وتشترك معهم في احتلالها قوات اميركية وافرنسية
وتركية واسترالية وزيلاندية وافرنسية وربما يونانية وبلجيانية الخ ... وقد قدم
وزراء الدول الاربع المفوضون صورة عن المشروع للدول العربية الاخرى في
نفس اليوم الذي قدم فيه لمصر واخذ هؤلاء الوزراء يتصلون بالحكومات العربية
ويدورون ويلفون حولها في صدد هذا الموضوع مما فيه دلالة حاسمة على نية تشميل
المشروع بقية بلاد العرب حينما تقبله مصر فتقوم فيها قيادات مماثلة تابعة للقيادة
العامة ومدعومة بطبيعة الحال بقوات مشتركة . وقد زوق المشروع بان مصر
ستكون مثله في قيادته على قدم المساواة مع الدول التي تشمل فيها في حين ان
مصر لن تكون اكثر من صاحبة صوت واحد ازاء اربعة اصوات او اكثر
بطبيعة الحال .

كذلك كان واضحاً ان كل هذا انما هو بقصد ربط الدول العربية جميعها
بعجلة المعسكر الغربي ربطاً محكماً وأبدياً لا فكلاً . فنفذوا البلاد العربية به
تحت سيطرة وتحريف واحتلال هذا المعسكر باسم الدفاع عن الشرق الاوسط
في الظاهر والاستخدام مواردها ومراقبها ودماء ابنائها لضأن مصالح هذا
المعسكر الاستعمارية والاستتارية فيه في الحقيقة ، لأن الخطر الروسي الذي
يخوف العرب به افتراضي بينما شر هذا المعسكر وخطره واقعان راعنان على
العرب على اوسع مداها احتلالاً واستتاراً ومطامع وشركات وامتيازات ومكائد
وخيانة وغدر ونيات مريبة ثم ناراً وحديداً وارهاباً وتدميراً وسلباً كما تفعل
فرنسة الآن في المغرب شأيد وتعضيد بقية زميلاتها وكما فعلت قبل فرنسة وبريطانية
في مصر وسورية ولبنان وفلسطين والعراق بالإضافة الى الشر اليهودي الاكبر
الذي خلقوه وأهانوا به العرب اعظم اهانة وجرحهم ابلغ جرح وجعلهم منه
في هم مقمق مهدد بخطره بلادم على اوسع صور التهديد ، فضلاً عن انفلواء

المشروع على حماية هذا الشر بالقوة من أي محاولة عربية للقضاء عليه أو إزعاجه بحيث يقال بحق وحزم أن العرب واقفون من أذى المعسكر الغربي وتصرفاته الراهنة ونياته المكشوفة في خوف وشر وخطر لا مزيد عليه ولا يمكن أن يبلغ الخطر المفروض مبلغه وخاصة في بلاد سوادها الأعظم فقراء معدومون... وهذا عدا كون هذا المعسكر يمثل هذا المشروع يريد أن يجعل العرب أعداء من الآن لروسية والدول الشيوعية الأخرى بلا موجب ولا استفزاز ورغم ما في هذا من جعل بلادهم عرضة للخطر في حين أن الخطر عليها منها خطر افتراضي فقط وقد لا يكون إذا لم يقف العرب منها موقف العدو السافر . وتقول هذا ونحن نعرف أن خطر روسيا عظيم في حد ذاته وأن موقف روسيا من قضية فلسطين سبباً ١٩٤٧ - ١٩٤٨ كان من أسباب كارثة فلسطين وقيام الدولة اليهودية وتمكينها وذل العرب ، وأن سلاح وطائرات وخبراء وقواد الشيوعيين الروس وغير الروس كانوا عوامل حاسمة في ذلك . غير أن موقف المعسكر الغربي وخاصة زعيمته بريطانيا والولايات المتحدة في هذه الكارثة كان موقفاً أصيل الهدف بينما كان موقف روسية غير أصيل بمعنى أنه أريد به التشويش والتعكير وخلق أسباب الاضطراب في الشرق العربي بصورة خاصة . وهذا فضلاً عن أنه من الصعب أن ينصرف خوف الناس إلى خطر غير واقع عن خطر واقع فعلاً كما هو المتبادر .

- ٢ -

ومن أعجب العجب وأوقع الوقاحة ومما يدل على بالغ الاستهتار أن المعسكر الغربي يريد من العرب كل هذا بدون ثمن تقريباً ؛ وبدون أن ينجل وهو يطالبهم به من أن يندق على اليهود المساعدات والقروض ويعمل بكل وسعه كل ما فيه تمكينهم وتقويتهم مادياً وحربياً وسياسياً ، ويسكت عن كل ما يقترفونه من آثام ، ويحاول تصفية قضية فلسطين على أساس الأمر الراهن والناء قرارات هيئة الأئمة المتحدة القاضية بتحويل القدس وعودة اللاجئين وتعويض من لا يرغب

العردة منهم ورفع يد اليهود عما هو مخصص للعرب من أراض ومدن وقرى ، ثم يتضامن أشد التضامن ضد حركات المغرب العربي التحريرية وضد قضاياء في المجالس الدولية فيسفر بذلك عن وجه الاستعماري الطامح الكامح ، ويدوس كل مبادئ الحق والتصرف الديموقراطية ومواثيق هيئة الأمم الأصلية والفرعية ومما يبعث على الدهشة والأسف أن الولايات المتحدة الأميركية التي تدعي أنها رائدة العالم الحر المزعوم تندمج في هذا الموقف الباغي أشد الاندماج . .

ولقد رفضت مصر المشروع بآباء وشعب لتعارضه مع آمالها وأمنها وأعلنت بلاد العرب استنكارها وتضامنها مع مصر في الرفض لأنها لم يفتها مافي المشروع من نيات الكيد والمكر . غير أن المعسكر الغربي لم يئأس ؟ وأخذ يسعى وما يزال في سبيل تحقيق مآربه بالتهوئش حيناً والضغط حيناً والأغراء حيناً ؛ حتى لقد استغل السياسة الشخصية والاقليمية التي تسيطر على رؤساء وسياسة الدول العربية واستطاع أن يحدث ما يمكن ان يسمى أزمة تضامن بين الدول العربية وأن يزيد في شلل حركة الجامعة العربية .

ومع ان الحكومات العربية تبدي ضمناً وصراحة استعدادها للاندماج في المعسكر الغربي ومشاريعه الدفاعية رغم مافي ذلك من تعريض بلادها لتدمير الحرب وويلاتها مقابل تساهل هذا المعسكر في حل قضايا العرب حلاً مرضية تظلمن به نفوسهم وتقر به مضاجعهم ويستردون به كرامتهم واعتبارهم ويسبرون به نحو التكامل القومي والاجتماعي والعناني فان هذا المعسكر لا ينجح الى شيء التساهل ويصر على تحقيق مآربه من العرب بدون ثمن تقريباً ومع الاستهتار البالغ .

على أن خطر الحرب العامة وخطر الغزو الشيوعي بالتالي الذي يخوف المعسكر الغربي به العرب ما يزال كما قلنا افتراضياً . وكثير من زعماء السياسة في العالم يقولون انه غير قريب وغير أكيد أو انه اليوم أبعد منه بالأمس ؛ ويشتركون في هذا القول زعماء بريطانيا والولايات المتحدة المسؤولون ايضاً . فالخارج المعسكر

الغربي الحاحاً عجبياً في كل فرصة ومناسبة وصورة والتهويل فيه واغراق العرب بالذاعات المختلفة في صدره لا يمكن تفسيره الا كما قلنا بان هذا المعسكر انما يتخذ هذا الخطر الافتراضي وسيلة تخويف وتهديد وضغط ليبقى قدمه ناشبة في الارض التي هي فيه ، وليدخل في شبكته ما هو فالت منها من الاراضي العربية حتى يضمن دوام ونجاح مصالحه الاستعمارية والاستعمارية في بلاد العرب مشرقها ومغربها ، وحتى لا يشتد لهيب الجذوة القومية المشتعلة فيها التي أخذت تقض مضاجع دول هذا المعسكر . ولقد أخذت ترتفع أصوات الحياذ وقيام قوة ثالثة تقف حاجزاً بين المعسكرين وتسجوا على الأقل من أهوال الحرب وتخربياتها . وترغم هذه الحركة دولة الهند العظمى التي هي عضو في الكومنويلث الانكليزي ويردها كثير من أقطاب العرب وعقلائهم ويرون فيها علاجاً ناجحاً لنجاة بلاد العرب من أهوال الحرب ، ولتفادي وقوف العرب من الآن موقف العداء السافر من الدول الشيوعية بدون موجب ولا استفزاز ، ومنهم من يدعو الى عقد موافيق عدم اعتداء بين دول العرب وهذه الدول بسبيل ذلك فيعمد المعسكر الغربي وماجوروه ومخدوعوه وصنائعه وأبواقه وصحفه وإذاعاته الى التعمير على هذه الاصوات وخنقها بما فيه دلالة على صحة ذلك التفسير .

ولعل من الأدلة القاطعة على ذلك موقف بريطانيا خاصة والمعسكر الغربي عامة من قضية تقوية الجيوش العربية وتسليحها . فهذا المعسكر يتظاهر بالجزع الشديد لما زعمه من فراغ دفاعي في الشرق العربي بينما يعمل بكل قوته لاحتياط كل محاولة تحاولها دول هذا الشرق في سبيل التسليح والتجهيز والاستعداد لصد ذلك الفراغ الذي هي قادرة عليه وأولى من يقوم به ؟ وهذا بالرغم مما توجيه المعاهدات الموقعة بين بريطانيا ومصر والعراق من التزامات على بريطانيا في صد تسليح جيوش هذه الدول وتجهيزها وتقويتها . ولقد نصت المعاهدة المصرية الانكليزية لسنة ١٩٣٦ المعلقة أن بريطانيا تحل عن قناة السويس وتسلمها للجيش المصري حينما يصبح قادراً على الاضطلاع بالهمة ، وتعمدت بريطانيا بتقوية هذا الجيش ومدته بالسلاح والاجهزة ليصبح قادراً . ومع ذلك فانها أغفلت القيام بما

تعهدت به ؛ ومنعت السلاح والجهزة عن مصر من معاملها ، ولم نال جهداً في احباط مساعي مصر في سبيل تدبير ما يحتاج اليه من ذلك من غيرها ولقد عقدت الدول العربية فيما بينها معاهدة للدفاع المشترك فيها كل الكفاية لسد الفراغ ولا ينقصها إلا التنفيذ ؛ غير أن بريطانيا خاصة تقف في طريق هذا التنفيذ بأساليبها الماكرة وما لها من كفة نافذة في بعض الدول العربية ؛ ثم باحباطها محاولات الدول العربية لتسليح جيوشها وتقويتها ؛ ففي هذا دلائل قاطعة على سوء نية بريطانيا والمسكر العربي وعلى أن هدفهم الصحيح هو ابقاء الدول العربية ضعيفة وابقاء هيمنتهم قائمة على بلادها لمصالحهم الاستعمارية اكثر من أي شيء آخر .

لذلك فإن من الواجب على سياسة العرب ان يحذروا الوقوع في الشبكة المنصوبة لبلادهم كل الحذر ؛ وان يقفوا فضلاء عن ذلك من المسكر العربي الموقف المناسب مع موقفه المستهتر من قضاياهم الى أن يبدل هذا الموقف تبديلاً حادداً . ومن الواجب على الواعين من الامة العربية أن تكون دعوتهم الى ذلك قوية شديدة حتى لا يبقى امكان لاي من الدول العربية أن تضعف وأن تخامر فيه وحتى لا يجرأ أي متعاقل من العرب الى الدعوة اليه وحتى لا يتخذع الناس بهويش هذا المسكر وتهويش مأجوريه ومخدوعييه بعد ان قامت البراهين الحاسمة على أن العرب ان يجنوا منه الا الشر سواء أ كانوا معه أم ضده أم وقفوا على الحياد من صراعه مع المسكر الشرقي ، وليوقن العرب جميعهم أنه ان يفعل بهم أكثر مما فعل حتى لو نشبت الحرب الثالثة التي يخوفهم بها لا أجل غل أيديهم ورقابهم والتي مازالت غير محققة الوقوع واحتلت قواته بلادهم عنوة ، وتلير للعرب ان يحتل هذا المسكر بلادهم وهو عدو صريح من أن يحتلها وهو عدو منافق لان الحالة الاولى سوف تكلفه من الجهد والمال والدم مالا تكلفه الحالة الثانية في حين أن الحالة الثانية ان تفيدنا شيئاً جوهرياً . وليس كما يمكن أن يقطع لهم من وعد أو عهد أي قيمة وضمان على فكك بلادهم منه ونيلها حقوقها عن يده ورضائه . وقد سار العرب في ركابه في الحريين السابقين وقدموا بلادهم وابنائهم ومرافقهم له وقطع لهم العهود والوعود فعاملهم أشد مما عامل به أعداءه ، وغدر بهم أشنع غدو ؛ وكانت مكافأتهم

منه في الحزب الاولى تجزأة واستعماراً وذلّاً واستثماراً ووعد بلفور المشؤوم ، وكانت مكافأتهم منه في الحرب الثانية الدولة اليهودية التي ما يزال يشتد في تأييدها وتمتعها وتقويتها وتشجيعها وحمايتها مادياً وسياسياً ويسكت عنها افتقاره من آثام منكرة وما قابلت به قرارات هيئة الأمم من استهتار واحتقار ، لتكون الكابوس الاعظم على العرب وبلادهم بعد أن شردت أهل فلسطين أشنع تشريد وجردتهم أفضع تجريد ، وما يزال باسلاً يده الشديدة الباغية على المغرب العربي وسواحل جزيرة العرب الشرقية والغربية والجنوبية ينهب خيراتها وثرواتها ويسوم أهلها الخسف ويخمد انفسهم بالحديد والنار ، وما يزال يتمسك بالذهنية الاستعمارية البالية في موقفه من مصر والعراق والأردن ؛ وليعتصموا بحبل الله جميعاً ولا يفرقوا ؛ وليذكروا أن الله ناصر من نصره ، وإنه وعد المؤمنين الصادقين بالنصر مها قلوباً على الظالمين مها كثروا اذا آمنوا واتقوا وصبروا وعزموا وجاهدوا واتحدوا قلباً وقالباً ، ولن يضيع على العرب شيء اذا نشبت حرب عامة ولم يكونوا داخلين في عجلة المعسكر الغربي واحتل هذا المعسكر بلادهم عنوة بما هو المفروض الذي تتحجج به المتعاقلون من العرب أو صنائع المعسكر الغربي وابواقه ؛ لان هذا المعسكر سوف يرى نفسه مضطراً للتفاهم مع حكومات بلادهم ولن يتحمل أن تظل صلاته مع البلاد صلات عداة سافر لما يكلفه ذلك من تكاليف عظيمة .

— ٣ —

ولقد خيل لمض العرب أن طارئاً جديداً قد طرأ على المعسكر الغربي يتبدل الحزب الحاكم في الولايات المتحدة الاميركية التي هي زعيمة هذا المعسكر وأقوى دوله وصاحبة الشأن الاعظم فيه ، وخروج الحكم من رومان والحزب الدعوقراطي الذي يتحمل أعظم أصيب من اثم جريمة فلسطين ؛ ولا سيما ان الحزب الجمهوري غير مدبر لليهود وغير مقتديهم بل على العكس انهم بذلوا كل جهد لخلذه ونصر الحزب الدعوقراطي الذي كان لهم عليه وعلى رئيس الجمهورية الذي هو منه الكلمة

النافذة ، وأن أرباب المصالح وشركات البترول هم عماد الحزب الجمهوري وهم خصوم
طليعيون لليهود .

ومن الحق أن بعض بوادر بدرت من أمريكا قد تدفع صواب ما خيل لبعض
العرب من احتمال تبدل سياسة الولايات المتحدة نحو العرب واستعداد رجال الحكم
الجديدين انقهم القضايا العربية وتعديل موقفهم منها تعديلاً ملائماً وخاصة بالنسبة
لل يهود . ففي شباط هذه السنة اجتمع الامير فيصل آل سعود بالرئيس ايزنهاور
ثم صدر بيان رسمي من البيت الابيض أشير فيه الى اهتمام الرئيس لتدهور العلاقات
بين العرب والولايات المتحدة من جراء السياسة السابقة ورغبته الشديدة في العمل
على إعادة الثقة بينهما . ثم أذيع رسمياً عزم وزير الخارجية الاميركية على زيارة
بلاد الشرق العربي للاتصال برجالها وفهم القضايا العربية وتوطيد الثقة والصداقة
بين البلاد العربية والولايات المتحدة ؛ كما أذيع أن الحكم الجديد ان يسير على
خطة الحكم السابق في اعتبار دولة اسرائيل مساوية لجميع دول العرب في
المساعدات والتسلح ، وكل ما يمكن ان يكون اعتبارها دولة من دول الشرق
الأدنى ومعاملتها على قدم المساواة مع كل دولة من دوله ؛ وأذيع كذلك أن
مجلس الشيوخ الاميركي قرر اجراء تحقيق في مشاكل عرب فلسطين .

ولقد أخذت منذ شهور عديدة ترتفع اصوات كثيرة وقوية من كثير من
رجال السياسة والعلم والصحافة والعمل الاميركيين لتنبيه بلادهم ورجال
حكوماتهم الى ما لحق العرب من بغي وظلم واذلال من ترومان وسياسته وما كان
لهذا من جرح عميق في قلوب العرب بعث فيهم الحقد الشديد ضد الولايات المتحدة
بعد ان كانوا يعتبرونها ممثلة العدالة والحرية ، وما سوف يكون لهذا من اضرار
متنوعة بمصالح اميركا وسقوط كرامتها وهيبتها وكثمتها في حين ان مركز البلاد
العربية هو المركز الممتاز في موقعه وثروته وان صداقة العرب هو خير مما
لا يقاس عليه من صداقة اليهود الذين لم يكن كل ما قدم اليهم ليجمع لهم مخاضين
في ولائهم ، وفي حين ان قضية اليهود في فلسطين قضية خاسرة اولاً واخيراً لما

تطوئ عليه من عناصر مثابثة في الجنس واللغة والمبادئ والأفكار والأمزجة
تأيناً شديداً يجعل تماسكها شبه المستحيل ، ولأنه ليس في فلسطين من الأسباب
المادية ما يضمن قيام دولة يهودية فيها شاملة بالأعداء من كل جانب ؛ وطلبوا
بالخارج وتكرار إعادة النظر في سياسة أميركا من جديد بل وقلبها رأساً على
عقب لوضع الأمور في نطاق الحق على اعتبار أن العرب هم أصحاب الشرق الأدنى
جميعه وهم أصحاب النفوذ الأدبي الواسع في الشرق الأوسط جميعه ، لما كانت
تلك البوادر رد فعل قوي له .

وقد زار وزير خارجية أميركا دول الشرق العربي واجتمع الى اقباطها
الذين اسمعوه كلاماً صريحاً قوياً ومتحدداً في قضايا العرب وعلاقاتهم بالمعسكر
العربي وبأميركا خاصة وعدم امكان استقرار الشرق العربي وتعاونته مع المعسكر
العربي بدون حل قضايا العرب خلافاً كبيراً ؛ ومسئولية أميركا عن ما عليه الشرق
العربي من قلق بسبب تأييدها ومساعدتها لليهود بأوسع مقياس ثم تأييدها الروح
الاستعمارية الافرنسية والانكليزية . وكان هذا نتيجة لاجتماع وزراء خارجية
الحكومات العربية قبيل وصول الوزير حيث قرروا توحيد موقفهم امامه ؛ وكان
من مقرراتهم تأييد مطالب مصر في جلاء الانكليز عن القناة دون قيد وشرط ،
ووجوب الزام اليهود بتنفيذ قرارات هيئة الأمم المتحدة في عودة اللاجئين
والتنويض على الذين لا يرغبون في العودة وتسويل القدس ورفع اليد عن المناطق
المنحصصة للعرب في قرار التقسيم ، واناطة الدفاع عن الشرق العربي بأمله بواسطة
معاهدة الدفاع المشترك وتمكين الدول العربية من التسليح والتجهيز وتقوية
جيوشها حتى تسد الفراغ الذي في مكانها سده بذلك ، وتأيد قضايا المغرب
العربي والسير في خطوات تنفيذ معاهدة الدفاع المشترك الخ... وقد اذاع الوزير
في اثناء زيارته بيانات تشير الى أنه تفهم قضايا العرب ووقف على اشياء لم يكن
واقفاً عليها ، وإن كل هذا سوف يساعد على رسم سياسة الولايات المتحدة مع
البلاد العربية .

غير ان من واجبنا التحذير من التفاؤل الكثير من هذه البوادر . ففي
الحزب الجمهوري زعماء اقوياء مناصرون لليهود بكل حرارة . وفي مقدمتهم ثافت
الذي كان منافساً لازمانهاور وديوي الذي كان مرشح الحزب ضد روزفلت .
واقدر تدخل ثافت في حركة التحقيق في مشاكل عرب فلسطين فقلها من فكرة
تحقيق قضائي تتولاه لجنة قضائية الى فكرة تحقيق سياسي تتولاه لجنة شؤون
الشرق الادنى التي يرأسها بما جعل المراقبين يرون في هذا اصبح اليهود بارزة
لاحباط هذه الحركة او تسيرها في طريق متفق مع اعوانهم . وفي كل مناسبة
تهدر من ديوي بوادر التعصيد والتأييد لليهود وجبايتهم وهذا فضلا عن ما لهم
من انصار اقوياء آخرين في الحزب الجمهوري بالاضافة الى انصارهم الاقوياء
الكثيرين في الحزب الديموقراطي الذي له قوة عظيمة في مجالس النواب والشيوخ .
وكلا الحزبين مرتبط في ظروف ومواقف عديدة بالنهج الصهيوني ارتباطاً وثيقاً .
والصهيونيون في اميركا الشمالية الى هذا كله متغلغلون في مختلف اجزة الدولة
البرلمانية والادارية والسياسية والاقتصادية وهم اصحاب التأثير الاقوى بل
الكاسح على وسائل البث والنشر ولهم تنظيم محكم قوي الجاهز والنشاط . فليس
من السهل ان تتبدل سياسة الولايات المتحدة نحو العرب تبديلاً كبيراً . وكل
ما يمكن ان يكون هو تعديل وتخفيف لموقف اميركا الذي ينطوي على عداوة
شديدة صارخة لليهود على العرب وان يكون في هذا ما يرجوه العرب من امكان
لحل قضايهم حلاً أساسياً كريماً .

واقدر انتبه الصهيونيون الى البوادر البادية فنشطوا اعظم نشاط للوقوف في
وجهها واحباطها . وقد استغلوا ما كان من تجهيم الدول الشيوعية نحو اليهود بسبب
ما بدا من خياناتهم ، فاحذوا بقومون بدعائيات واسعة في الولايات المتحدة في صدد
كون ما حل ويحل باليهود هو نتيجة لولايتهم للعسكر الغربي ، وان واجب
الولايات المتحدة زعيمة هذا المعسكر ان تبذل لاسرائيل المزيد من المساعدة
والتأييد تستطيع الصمود امام هذا الموقف . واحذوا يهودون في اخبار ما يقع على
اليهود ويبلغون في عدد الفارين منهم على نحو ما فعلوه في ابان الحركة الهتلرية

التي كانت سبباً لأغراق فلسطين بمهاجرينهم وحارت العامل الحاسم فيها صار اليه اليهود من عدد وقوة وتمكن ، حتى أمكنهم خلقوا هذه الفرصة خلقاً ليتخذوها وسيلة تمويض ما فقدوه من ترومان وحزبه وكسب عطف الحزب الحاكم الجديد ، ولم ينسوا ان يشركوا العرب في حملتهم ليتسنى لهم احباط الاتجاه الاميركي الجديد فأخذوا يقولون ان الدول الشيوعية تقرب بعملها للعرب وان العرب مستعدون للتجاوب معها ضد المعسكر العربي ، وانهم هم وحدهم الاهل ثقة هذا المعسكر واطمئنانه وتأيدته دون العرب ، وانه يجب ان يمنع السلاح والمال عن العرب لئلا يقولوا وتفوي بهم الشيوعية الخ الخ ... ولقد ظهرت آثار مساعيهم ودعائهم هذه بما كان من تصريحات لا يراها وبعض كبار رجال حزبه وحكومته منطوية على تأييد الدولة اليهودية وتشجيعها ، ومتضمنة الاشادة بها ووعوداً باستمرار مساعدتها حتى ترسخ قدمها وتفوي اقتصادياتها وازدهارها ، وتقدر على ايواء المهاجرين اليها ...

ففي كل هذا ما يجعل العرب على الفصد في التفاؤل ، وعلى الاستمرار على الموقف القوي المتناسب مع الموقف الذي يقفه المعسكر العربي منهم على ما شرحناه قبل الى ان يتبدل هذا الموقف تبديلاً فعلياً صحيحاً وذلك بحل قضايا العرب حلاً كريماً لا ميوعة فيه (١)

على ان هذا لا يمنع العرب بطبيعة الحال من استغلال هذه البوادر لقضاياهم في الولايات المتحدة عن طريق البث والدعاية ؛ بل ان الموقف ليوجب هذا الآن أشد من أي وقت سابق . فالولايات المتحدة هي كما قلنا صاحبة الشأن الاعظم في المعسكر العربي وتستطيع ان تفعل كثيراً في فرض حلول ملائمة لقضايا العرب وخاصة لقضية فلسطين ، وان يكون لليهود مناص من الادعاء لها اذا ما وقفت

(١) جاءت البيانات التي صدرت من وزير خارجية امريكا الشمالية بعد عودته الى واشنطن - والكتاب تحت الطبع - مصداقاً عاجلاً لذلك حيث جاءت بحية الامل وعاطفة وضيقة النطاق وليس من شأنها ان توحي بالامل بان الولايات المتحدة ستبدل موقفها من العرب وقضاياهم وخاصة قضية فلسطين تبديلاً مهماً .

موقفاً قوياً لان حياتها وراثتها في يدها تقريباً . وامكانيات التأثير متوفرة الآن بسبب تلك البوادر وخاصة على اثر زيارة وزير خارجية اميركا ووقوف حكومات العرب امامه موقفاً قوياً موحداً . ومن المؤسف الحزن ان الدعاية العربية ضعيفة جداً في الولايات المتحدة مع تفاهة تكاليفها اذا ما قيست بما يمكن ان يكون لها من ثمرات . ولقد اذيع اكثر من مرة خبر عزم الحكومات العربية على تأسيس مكتب عربي قوي للدعاية في الولايات المتحدة في تطلق جهاز الجامعة العربية اكثر من مرة خلال السنوات الخمس القادمة واتخذ في صدد ذلك قرارات رسمية دون ان يسار في سبيل التنفيذ خطوة حاسمة جادة مع توفر الاعتمادات في خزينة امانة الجامعة . ولعل الاعتبارات الشخصية كانت المعوقة . فعلى الواعين ان يشهدوا في الدعوة الي الجد والمبادرة حتى لا تفوت الفرصة ويتم الانتفاع بها بأوسع وابرج واوسع ما يمكن ...

وزيد ان ننبه على امر مهم جداً متناسبة ما اذيع في صدد بوادر التبدل الاميركي وهو ان الولايات المتحدة قد تعمد الى حمل اليهود على تنفيذ مقررات هيئة الامم كلياً او جزئياً لحل قضية فلسطين على شرط رضا العرب بمصالحة دولة اليهود وانشاء صلات سياسية واقتصادية معها واتدماجها في مجال الشرق العربي . وقد اخذ الكلام في مصالحة العرب مع اليهود زداد في هذه الاثناء كوسيلة او مقدمة لا بد منها لضمان سد الفراغ الدفاعي في الشرق الادنى . ولقد نهينا على الخطر العظيم السياسي والاقتصادي والاجتماعي بل والعسكري الذي يهدد بلاد العرب جميعها من الصلح مع اليهود في مناسبة سابقة ، ونعيد القول بان عدم الصلح مع اليهود ليس هو واجباً عليه العزة القومية فقط بل هو عمل وقائي اصيل بالنسبة للعرب جميعهم حاضراً ومستقبلاً ، وان في الصلح معهم تمكيناً للسرطان الحديث ونموه وانتشاره الواسع في جميع بلاد العرب ، وان من الواجب القومي الحتم الاصرار الشديد المستمر على رفضه وتفاديه . ومقررات هيئة الامم المتحدة بشأن فلسطين لا صلة لها بعلائق الدول العربية بدولة اليهود وانما هي لازمة بذاتها . وليس هناك احد يستطيع ان يماري في حرية اي دولة بانشاء صلات سياسية

واقتصادية مع دولة اخرى وعدم انشائها. وهدف العرب القومي الدائم هو زوال دولة اليهود، والصلح معهم هو خيانة لهذا الهدف.

كذلك نريد ان ننبه على امر مهم آخر وهو ان الخير لكل الخير للعرب والخطة المثلى للحكومات العربية حتى في حالة جنوح المعسكر الغربي الى حل قضايا العرب حلاً كريماً ان يصروا على ان يكون سد الفراغ الدفاعي في بلادهم منوطاً بهم وخدعهم في نطاق معاهدة الدفاع المشترك المعقودة فيما بينهم، وان لا تعدوا مساعدة المعسكر الغربي لهم التسلح والتجهيز، وان تكون الغاية هي دفع العدوان من اي ناحية جاء، وان لا يتظاهروا بعداء مسبق قولاً وفعلًا او تنظيماً ضد المعسكر الشرقي بدون مبرر ولا استفزاز، ولا مانع من توسيع النطاق ليشمل دول الشرق الاوسط على هذا الاساس فتكون الحركة حركة حياد مسلح، مع استثناء تركية التي اختارت الاندماج في جميع خطط المعسكر الغربي بما في ذلك التظاهر بالعداء المسبق قولاً وفعلًا ضد المعسكر الشرقي. ولعل الاقتراح الذي أخذ يتردد في هذه الايام - والكتاب تحت الطبع - بانشاء جيش عربي مشترك كبير العدد من خير الاقتراحات العملية والعاجلة في هذا الصدد على شرط ان تكون قيادته فعالة نافذة وفي يد حرة من كل قيد.

- ٥ -

هذا؛ ونرى المقام يتحمل كلمة عن تركية بمناسبة اندماجها في تقديم مشروع الدفاع المشترك للعرب وفي خطط المعسكر الغربي نحو الشرق الاوسط خاصة والسياسة الدولية عامة. ونحن نعرف ان مرد اندماج تركية هو خوفاً من الخطار الروسي واستهدافها الدفاع عن نفسها وكيانها في الدرجة الاولى ونيل مساعدات المعسكر الغربي المتنوعة. وقد يكون لها العذر لان السياسة لا تعرف عاطفة ولا يجوز ان نسير بالعاطفة بطبيعة الحال.

غير ان هذا العذر لا يوضح ابراده عن موقف تركية من العرب وقضاياهم. فقد وقفت من قضية فلسطين في مختلف ادوارها وما زال تقف موقفاً سلبياً غامضاً

بل وأحياناً موقفاً متناقضاً صريحاً دون سائر الدول الآسيوية والأفريقية الإسلامية وغير الإسلامية وبينها من هو متوافق مع المعسكر الغربي أشد التوافق بل بينها من هو عضو في الكومنويلث الأنكليزي ؛ وفي حين أن المعسكر الغربي لا يمكن أن يجد في موقف إيجاني ثقته تركيه مع العرب مأخذاً لأنها دولة إسلامية شرقية ؛ بل أنها تستطيع تركيه أن تجعل هذا المعسكر راضياً عن موقف مثل هذا بحجة أن من شأنه كسب ثقة العرب واستطاعتها بسبب هذه الثقة القيام بدور هام في الشرق الأوسط يكون فيه التقاء وتقارب بين الدول العربية والمعسكر الغربي ؛ بل نقول أكثر من هذا وهو أن تركيه بما صار لها من مكانة قوية في المعسكر الغربي وحيز واسع في خططه تستطيع أن تساهم في حل قضايا العرب حلاً ملائماً وأن تمنع هذا المعسكر بفائدة ما قد تتقدم به من مقترحات في هذا الصدد .

والتفسير المنطقي لموقف تركية الراهن والحالة هذه هو أنها ترى في بقاء قضايا العرب من غير حل مرض ، وفي بقاء شؤون العرب مرتبكة متعثرة ، وفي رسوخ قدم اليهود في قلب بلاد العرب وقوتهم وازدهارهم وغدورهم همماً مقبلاً للعرب مصلحة ذاتية أصيلة لها ، وأنها إنما تترسم ذلك في خطواتها وخطتها عن قصد وبينة . ولعل ما تقدمه لليهود من تسهيلات متنوعة في بلادها وما تشيد به من أن لا آخر بصلاتها الودية مع دولتهم في كل مناسبة من دعائم هذا التفسير ؛ وهذا فضلاً عن الجرح الدامي الذي جرحته تركية لسورية وللعرب باستغلالها فرصة ضعف سورية وغدر ولوم فرنسه وانكساره قبيل الحرب العالمية الأخيرة واقتطاعها لواء إسكندرونه العربي منذ مئات السنين .

ومن الجدير بالذكر أن حكومة حزب الشعب السابقة وحكومة الحزب الديمقراطي الحالية قد اتفقتا في هذا الموقف ؛ لأن كل ماسارت عليه الحكومة السابقة سارت عليه الثانية برغم ما يزيد أن يراء البعض من تبدل في الاتجاه الإسلامي والشرقي في حكومة الحزب الديمقراطي دون حزب الشعب . وإذا

كان هناك شيء جديد فهو أن حكومة الحزب الديمقراطي الآن تصدر تصريحات
خلافية في حين أن أعمالها تنقض أقوالها .

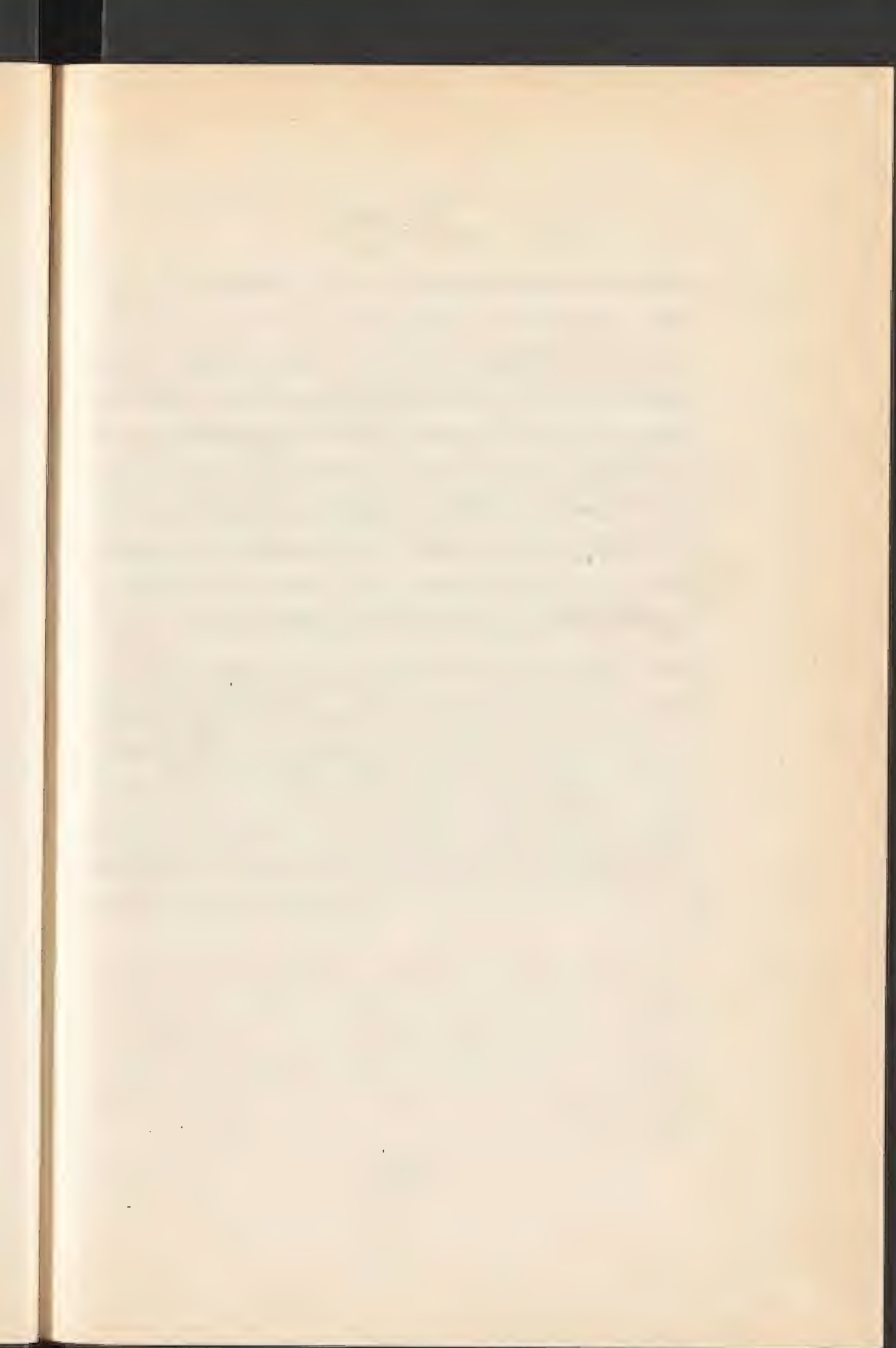
واسنأ نريد ان نلقي درساً على تركية . ولكننا ان تمنع أنفسنا من القول إنها
إذا كانت ترى في بقاء قضايا العرب من غير حل مرض وبقاء شؤون العرب مرتبطة
متعة وفي رسوخ قديم اليهود في قلب بلاد العرب مصلحة لها فتحن تراها متوحمة
ومغلظة خطأ كبيراً . وإذا كان سياسة الترك يريدون أن يروا في الحركة العربية
الحديثة معنى من معاني كراهية العرب للترك ، أو يظنون أن نمو قوة العرب
وصلاح أمورهم يخالف لمصلحة دولتهم فهم في اعتقادنا بعيدون عن الصواب بعداً
كبيراً أيضاً . فالعرب يحبون الأتراك كشعب شقيق مسلم عاشوا معه ألف سنة أو
ثريد وكانوا مخلصين لبعضهم كل الإخلاص ؛ ويريدون لهم الآن كل الخير والازدهار
والطمأنينة ؛ بل وانهم ليعتزون بقوتهم وازدهارهم لان في ذلك قوة وعلو للعالم
الشرقي والاسلامي . ونحن على ثقة من ان الجمهور التركي يبادل العرب هذا
الشعور ؛ وما كان من الحركة العربية القومية بعد اعلان الدستور انما كان لاسباب
وبواعث لا تمت الى كراهية العرب للترك . ولقد انفصل العرب عن الترك الآن
ولم يبق في نفوسهم نحوهم الا شعور الاخوة الدينية المتزجة بعاطفة الذكريات
المديدة المستحبة التي يبادلهم إياها الجمهور التركي فيما نعتقد . فالحكومة التركية
والحالة هذه تستطيع أن تكسب من ثقة العرب فيها اذا سارت مصالحهم وقضاياهم
وعملت على حلها أضاف أضاف ما تظنه كسباً لمصالحها في موقفها المعاكس
في نظر المعسكر العربي والعالم الشرقي والعالم الاسلامي معاً دون خشية أي شيء
من العرب .

ومما يمكن من أمر فمن واجب العرب وحكوماتهم أن لا يفوتهم موقف
الحكومة التركية ؛ وأن يقفوا موقف الحذر المتحفظ من مشاريع تركية
وتنصر بحاتها وخطتها الى ان تبدل موقفها معهم تبديلاً أساسياً وثبتت بالأفعال حسن
نيتها نحو قضاياهم ومصالحهم بل وتساهم في حل هذه القضايا مساهمة فعالة وهي
قادرة على ذلك .

مقدمة الفصل

لقد كتبنا هذا الفصل ونحن نعرف أن سياسة العرب ووقوفهم مدركون لحالة العرب ومصالحهم وأهدافهم وما يدور حولهم حتى لا يكاد يغيب عنهم من ذلك شيء ، ثم ونحن نسمع منهم من حين إلى آخر تصريحات طنانة رنانة تتم عن ذلك الإدراك ، وتدل على أنهم لا يخفي عليهم وجه الصواب فيما يجب أن يقوم بين العرب من اتحاد واتصال وتعاون ، وما ينبغي أن يكونوا عليه من استعداد وجد وقوة ونشاط ، وكون هذا هو السبيل القويم الوحيد لحل قضايا العرب حلاً كريماً وتحقيق غايات العرب القومية من التكامل والتقدم والنمو والازدهار ، بل ونحن نعرف أنهم لم يقصروا في عقد الاجتماعات والمداولات وإصدار القرارات. غير أن كل ذلك ظل ويظل في حدود الكلام مما مرده في الدرجة الأولى إلى الاعتبارات الشخصية والأقليمية والأفكار الفردية التي شرعناها في أول الفصل.

ولقد كان من نتائج عدم تأييد الأقوال بالأفعال بل ومناقضة الأقوال بالأفعال زيادة الهوان على الهوان ، وفقدان الثقة والاحترام والاعتبار ، واستمرار حالة العلاقات بين الدول العربية على ما هي عليه ، وعدم الوصول إلى حل أي قضية من القضايا العربية . ولقد آن للذين يقبضون على زمام الدول العربية أن يدركوا إلى جانب ادراكهم ذلك ادراكهم هذا أيضاً ، وأن يتقوا الله في أوطانهم وأمتهم فيصدقوا في الرغبات والنيات ويؤيدوا الأقوال بالأفعال . وهذا ما يجب أن نشدد الدعوة إليه بكل وسيلة وفي كل موقف ومناسبة .



محتل الكتاب

مقدمة الكتاب	٣	الصحيفة
الفصل الأول — المشاكل الاجتماعية والاقتصادية	٤	✓
(١) مشكلة الجاهل	١٣ — ٤	✓
(٢) مشكلة الفوارق الطائفية والمذهبية	٢٠ — ١٤	
(٣) مشكلة تنوع المدارس والمناهج	٢٩ — ٢١	
(٤) الأفكار المسمومة	٥٠ — ٣٠	
(٥) مشكلة ميوعة الاخلاق في الناشئة وضعف التربية الدينية	٦٥ — ٥١	
(٦) مشكلة ضعف الوعي العام والتنظيم الشعبي وواجب الشباب في هذا المجال	٨٥ — ٦٦	
(٧) مشكلة المرأة العربية	١٠٥ — ٨٦	
(٨) مشاكل القرية والبلد ومشاريع البر	١٣٣ — ١٠٦	
(٩) ضعف استثمار إمكانيات وثروات البلاد العربية وآثاره وصلته بجهاز الحكم والأساليب الحزبية والنيابية فيها وبواعث الانقلابات السورية والعصرية والليمانية وخطواتها	١٦٦ — ١٣٤	
الفصل الثاني — المشاكل السياسية	١٦٨	
(١) علاقة الدول العربية ببعضها	١٨٢ — ١٦٨	
(٢) الوحدة العربية	١٩٤ — ١٨٣	
(٣) مشكلة فلسطين	٢٢١ — ١٩٥	
(٤) مشاكل القضايا العربية الأخرى ١ — قضية مصر	٢٥١ — ٢٢٢	
٢ — قضية العراق ٣ — قضية الأردن ٤ — قضايا		
إمارات الجزيرة العربية ٥ — قضايا المغرب العربي		
(٥) مشكلة الدفاع المشترك	٢٦٧ — ٢٥٢	

جدول الخطأ والصواب

صفحة	سطر	أخطأ	الصواب
١٦	١٨	أن كان كان السلطان	ان كان السلطان
٥٩	٨	بيبال	بينان
٧٧	٢٤	يكن	يكن
١٥١	١٨	المستعرض	المستعرض
١٥٥	٢١	التشريع حققت	التشريع وحقت
١٥٦	١١	بتضامن أفراد	بتضامن فيها أفراد
١٥٨	١٧	القادرة	القادرة
١٨٦	١٦	المرحلة وتاريخ	المرحلة من تاريخ
١٨٩	١٢	دل	قال
٢١١	١٧	الواجبة	الواجبة
٢١٦	٢٢	هذه المرة	الجملة لاجل لها
٢١٧	٢٢	العربية	العربية
٢١٨	٨	التكرار كل	التكرار على كل
٢١٨	١٩	البنوية	البنوية
٢٢٢	١٩	ولحلتها	وحالتها
٢٣٠	٢٠	البادرة	البادرة
٢٣٩	٢٠	بقيا	قيام
٢٤٣	٣	أسداد	أسداء
٢٤٤	٧	المضا	أيضاً
٢٤٧	٢٣	مضار	مضار
٢٤٩	١٩	مؤدبا	مؤدبا
٢٥٤	٤	معلومون	معلومون
٢٥٥	٣	الكامح	الكالح
٢٥٦	١٩	التساهل	من التساهل

كتب المؤلف الاخرى

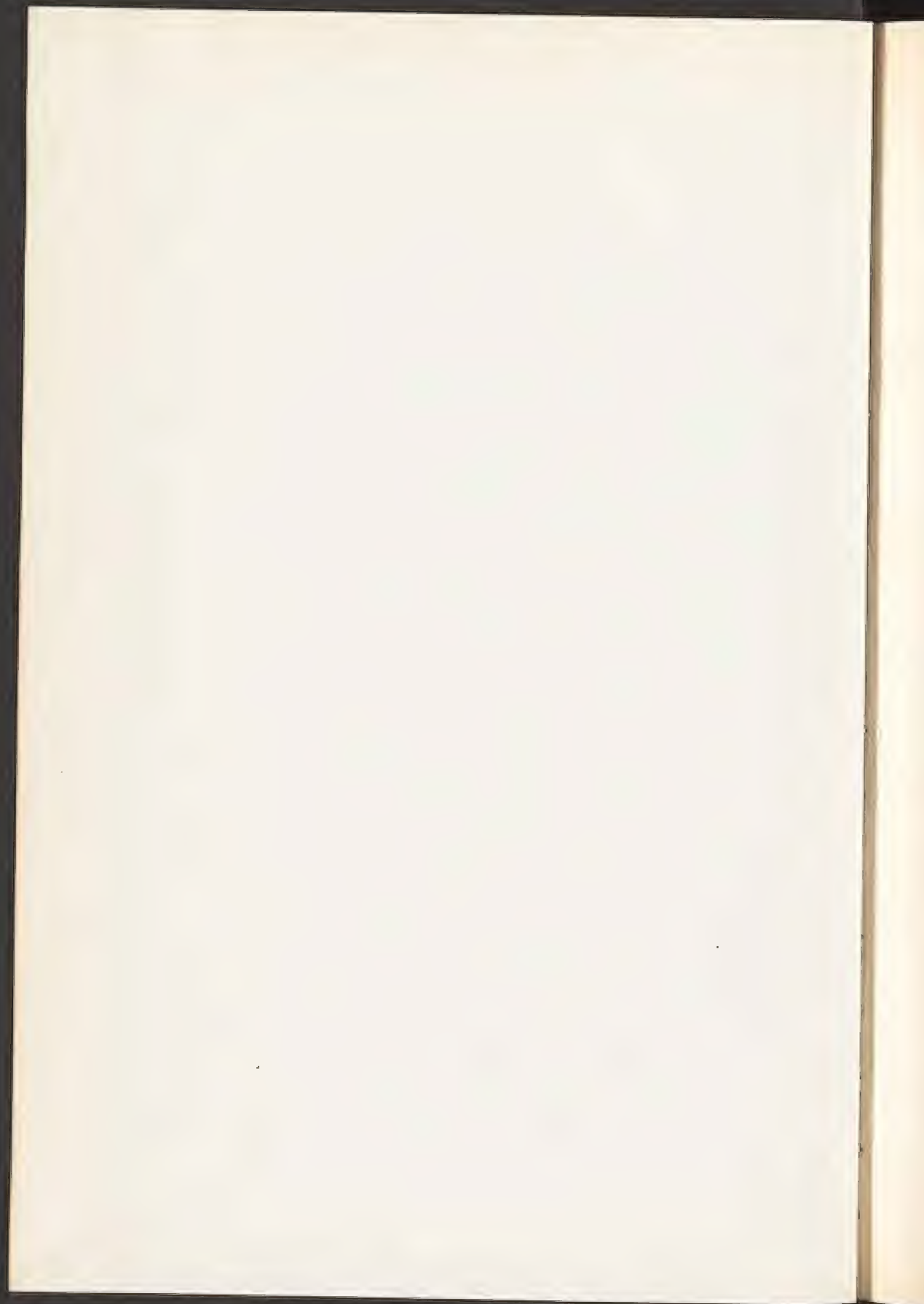
١ - المطبوعة

- دروس في فن التربية مترجم عن اللغة الافرنسية
مختصر تاريخ العرب والاسلام جزأنت
دروس التاريخ العربي
دروس التاريخ القديم
دروس التاريخ المتوسط والحديث
تركيب الحديث
موجز تاريخ حلول اوروبا في الشرق الادنى مترجم عن اللغة التركية
والافرنسية ،
عصر النبي عليه السلام ويؤنس من القرآن
سيرة الرسول عليه السلام جزآن
القرآن واليهود
القرآن والمرأة
القرآن والضمان الاجتماعي
القومية العربية
حول الحركة العربية الحديثة ستة أجزاء

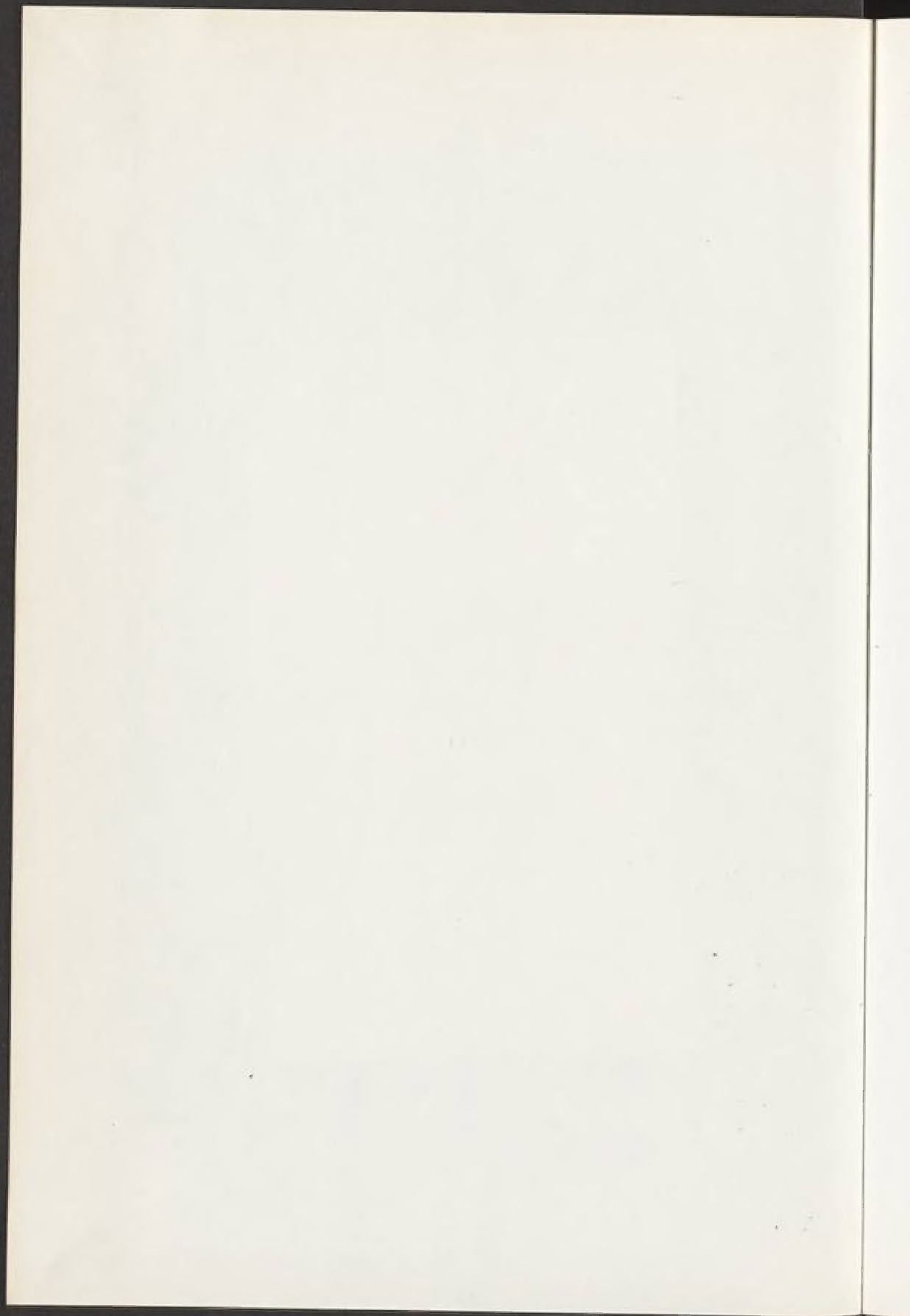
٢ - غير المطبوعة

- القرآن المجيد وسبحه وجمعه وتدوينه ومناهج تفسيره وسائر مسائله
نظم القرآن ودستوره في شؤون الحياة
التفسير الحديث وهو تفسير كامل للقرآن
تاريخ الجنس العربي في مختلف الادوار والاطوار والاقطار ،

2416



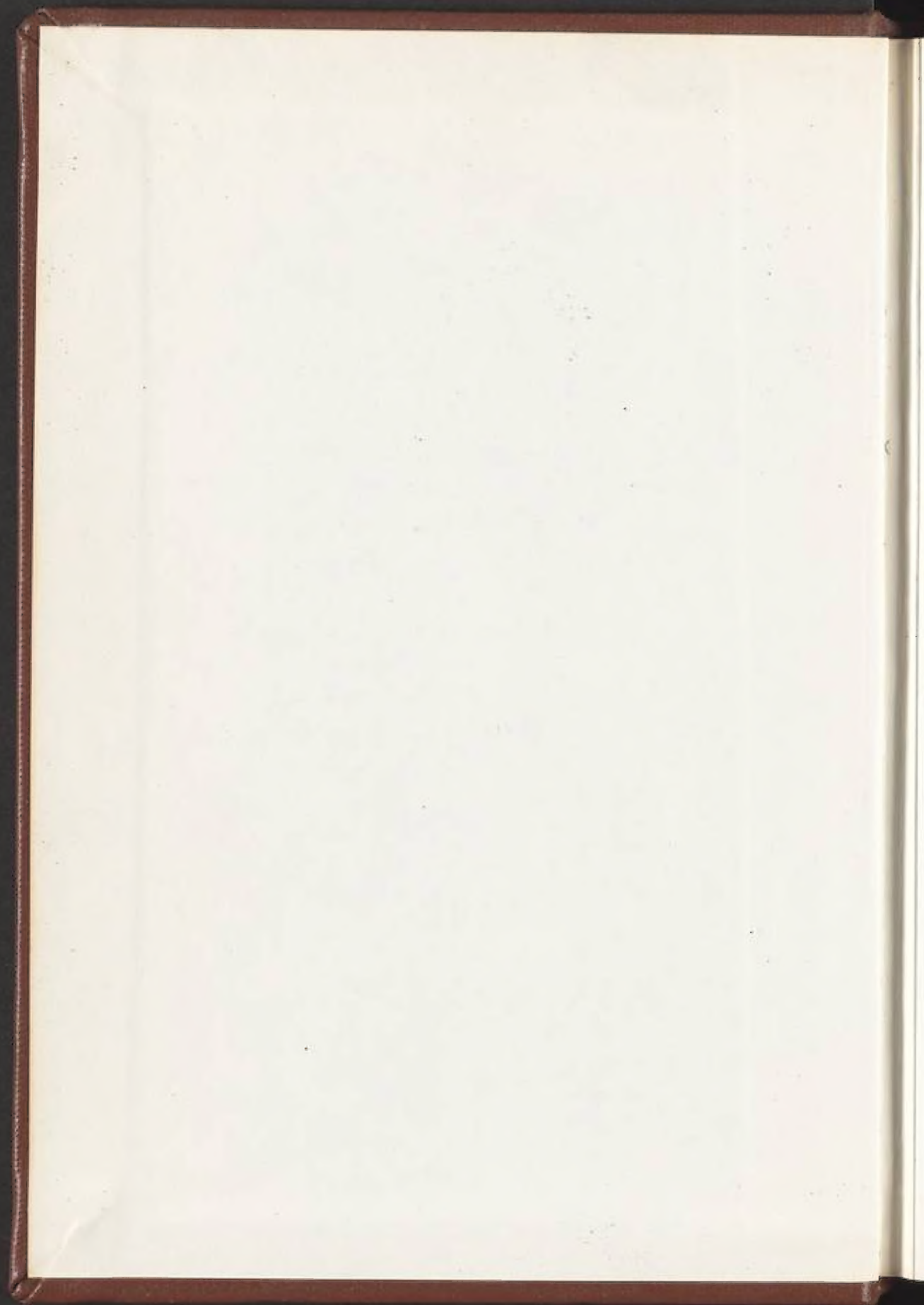




Date Due

[illegible]

Demco 38-287



NYU - BOBST



31142 02840 9301

HC498.D3

Mashakil a